محمد جواد مغنية

فضائل الإمام علي

علمه - جوده - شجاعته
صلاته - بلاغته - حروبه

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

فضائل الامام علي



محمد جواد مغنية

فضائل الإمام علي

علمه - جوده - شجاعته
صلاته - بلاغته - حروبه
وغير ذلك

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

بيروت — ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م

مقدّمة



الحمد لله ، والصلاة على صفوة الخلق ، وخاتم النبيين وآله وصحبه الهادين المهديين .

وبعد :

فان الحديث عن آل الرسول ، عليه وعليهم افضل الصلوات ، سهل يسير ، وصعب مستصعب ، سهل على من اراد أن يسرد ما تواتر على الألسن ، ودوّن في كتب الفضائل والمناقب ، وصعب اذا حاول الكشف عما فيها من كنوز واسرار ، وما تهدف اليه من غايات سامية ، ومقاصد رفيعة ، لأن الحديث عن كل اولئك ، بل عن بعضها يحتاج الى رصيد ضخم من العلم الصحيح والخلق الكريم .

ومما يؤسف له ان كثيراً من الذين كتبوا عن اهل البيت لا يملكون غير الحب والولاء ، وبديهة ان الحب شيء ، والعلم شيء آخر ، وهل يسوغ لمن يحب الرسول الاعظم ان يكتب في السيرة النبوية ؟! . ولمن

يؤمن بالقرآن ان يكتب في التفسير ، وان كان جاهلاً ؟! . ان في آثار اهل البيت ، وبخاصة امير المؤمنين انواعاً من العلوم والمعارف ، وكنوزاً من الاسرار والحكم لا يبلغها الاحصاء ، ولا شيء منهـا لدى الخاصة من شيعتهم الا الفقه ، بله العامة ! امـا غير الفقه والتشريع فاعتقد ان السُتر لم تكشف عنه حتى الآن

والغريب ان الذين كتبوا - منا - عن آل الرسول ما زالوا منـذ عهد الشيخ المفيد يكررون ما قاله هذا الشيخ الجليـل من مئات السنين لفظاً ومعنى ، وترتيباً وتبويباً ، دون ان يأخذوا بعين الاعتبـار ظروف التطور لعقول الناس واذواقهم وثقافتهم ، ودون ان يبذلوا اي جهد في الدراسة والتحليل على ضوء ما جد من تغيرات واحداث ، ان الكتابة عن العظماء لم تعد مجرد نقل ، وسرد كرامات ، فقد انتقلت الى استخراج العبر والمثل من حياة العظيم ، وتوجيه القاريء اليهما ، واغرائه بهما ، من حيث يدري ، ولا يدري .

ولو كان لغـير الشيعة مثل علي واولاده[1] لملأوا الكون بمفاخرهم ومآثرهم ، ومنذ أمد غير بعيد قرأنا كتاباً ضخماً للحفناوي وضعه في ابي سفيان الاموي ، لأن النبي (ص) قال يوم فتح مكة : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن » ومن قبله قال الشيخ الخضري في محاضراته : « ان قول الرسول من دخل دار ابي سفيان فهو آمن لشرف عظيم لم ينل احد مثله للان » . هذا ، مـع العلم بان النبي قال يومذاك : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن اغمـد سيفه فهو آمن » اي وان لم يدخل داراً بالمرة ، وبالرغم من كل ذلك فان شرف ابي سفيان عنـد

(١) اي لو دان غير الشيعة بالولاء لعلي كما تدين الشيعة ، والا فعلي للجميع.

الخضري والحفناوي لم ينل مثله احد من الاولين والآخرين ، حتى علي الذي حمله النبي على منكبه ، وكسر الاصنام التي ألهها وعبدها ابو سفيان !.

ومهما يكن ، فلست ادعي انلدي من الرصيد ما يحسن السكوت عنه لدراسة آثار اهل البيت ، كلا ، ثم كلا ، فان تتبعي لها حملني على الاعتقاد بان معرفتها كما هي لا تتيسر الا لمـــن كان من ذاك البيت الذي اذهب الله عنه الرجس ، وطهره تطهيرا ، او بلغ من العلم والايمان مبلغ سلمان الذي قال عنه الرسول الاعظم : « سلمان منا اهل البيت » ولكن سيري المتواصل ، وعكوفي على آثارهم ثلاثين سنة او اكثر انتهى بي الى شاطيء اليم ، فاغترفت غرفة سطرتها في هذه الصفحات ، واقسم ان ما من انسان ، اي انسان ، يتفهم كلمـــات آل الرسول ، ويتدبر معانيها الا تركت في نفسه قبساً من نور الله ، من حيث لا يحس ولاً يشعر .

وقد عنيت عناية خاصة بحروب الامام مع النبي وبعده ، وعرضتهـــا عرضاً موجزاً وواضحاً ، لان اكثر القراء يرغبون في الوقوف على حقيقتها، ويصعب عليهم الرجوع الى المطولات ، والصبر على اسلوبها القديم ، هذا الى ان حروب الامام تبرز شخصيته بأظهر معانيها ، وتعبر عن ثقته بالله وبنفسه ، وعن زهده في الدنيا ، وتواضعه ، وعن جلده وصبره عـــلى العواصف والصعوبات ، وعن حبه للخير والسلم ، وعطفه وحنانه ، حتى على اعد اعدائه والد خصومه ، كما تقدم حروب الامام اصدق الشواهد واعدلها على انها كانت من اجل « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومن اجل الضعفاء ، وآلام المعوزين .

ثم ان من جملة ما نهدف اليه من هذا الكتاب ان نثبت ان بين السنة والشيعة روابط عديدة وقوية لا رابط واحد ، وانه لا يحاول فصم هذه الروابط الا من يريـــد ان يقدم الاســـلام والمسلمين ضحية لاهوائـــه

واغراضه ، ولا شيء ادل على ذلك من ان الآيات والاحاديث التي استدل بهما الشيعة على تقديس آل الرسول هي بنفسها الآيات والاحاديث التي استدل بهما السنة على ذلك ، حتى كأن احدهما اخذ عن الاخر . او انهما قد استقيا من ينبوع واحد ، وهذا عين اليقين وبالتالي ، فـان هذه امثلة من « فضائل علي » وليست حصراً ولا احصاء كيف ؟! وقد قال الرسول الاعظم :

« ان الله جعل لاخي علي فضائل لا تحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر الى كتاب من فضـائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبهـا بالنظر »[1] .

والله سبحانه المسئول ان يجعل ثوابي ـ واياك ايها القارىء ـ ثواب من قرأ ، وكتب ، واستمع ، ونظر بالنبي واله الطاهرين ، والصلاة عليهم اجمعين .

---

(١) ذكره اخطب خوارزم ، واستدل الشيخ المظفر على صحة هذا الحديث بالشواهد والارقام من كتب السنة . انظر دلائل الصدق ص ٣٢٠ وما بعدها ج ٢ .

لماذا نوالي اهل البيت ؟

ما يجوز على اهل البيت وما لا يجوز :

قال الامام جعفر الصادق (ع) : ما جاءكم منا ممـا يجوز ان يكون في المخلوقين ، ولم تعلموه ، ولم تفهموه فلا تجحدوه ، وردوه إلينا ، وما جاءكم عنا ممـا لا يجوز ان يكون في المخلوقين ، فاجحدوه ، ولا تردوه الينـا .

اعتاد الناس منذ القديم ان ينسبوا الى العظماء من المناقب والخوارق ما لا عهد لهم بها ولا علم ، وقد يتجاوزون الحـد ، وينسبون اليهم ما لا يجوز عليهم بحال ، من ذلك ـ وعلى سبيل المثال ـ ما نسب الى الإمام (ع) انه ركب فرساً ، وصعد الى السماء ، وأصحابه ينظرون اليه .

وبالرغم من ان عظمة اهل البيت لا تقف عند الحـد المألوف بين الناس ، فانها لا تتعدى صفات المخلوقين ، ولا تتجاوز حدود الانسانية ومستواها ، لذا حذر الامام الصادق ، ان يرفعهم احـد فوق البشر ، وينسب اليهم ما يشعر بالغلو من قريب او بعيد .

وقد روى الرواة عنه في هذا الباب عدة أحـاديث باساليب شتى ، منها قوله : « حذروا شبابكم من الغـلاة لا يفسدوهم ، فان الغلاة شر خلق الله ، يصغرون الله ، ويدعون الربوبية لعبـاده » ، وكيف تنسب

الربوبية الى انسان لم يكن عظيما الا لأنه كان أعبد خلق الله لله ، وأكثرهم طاعة له ، وأشدهم خوفاً منه ، وأعلمهم بجلاله وعظمته ؟! .

عقيدة الشيعة

لقد حدد الامام صحة ما يعزى اليهم من الفضائل بأنها من صفات المخلوق دون الخالق ، ووضع بهذا الحد الفاصل بين قول الحق والصدق فيهم ، وبين قول الكذب والافتراء عليهم ، وبهذا نجد عقيدة الشيعة الامامية في أئمتهم على حقيقتها ، وانهم يؤمنون ايماناً لا يشوبه ريب بأنه لا شريك لله في الخلق ، ولا في الرزق ، ولا في علم الغيب ، وانه جل وعلا لا يحل باحد ، او يتحد به ، وانه لا نبي ولا وحي بعد رسول الله ، وان معرفة الأئمة وحدها لا تغني شيئاً بدون العبادات وسائر الطاعات .

الشيعة واهل البيت

ان الشيعة يعبدون الله الذي لا اله سواه ، ولا يشركون بعبادته احدا ، وفي الوقت نفسه يحيون ويموتون على ولاء آل الرسول ، لا لمجرد انهم عباد وزهاد ، ولا لمجرد انهم علماء يعرفون حلال الله وحرامه ، ولا لمجرد انهم يحبون الخير ، ويكرهون الشر ، ولا لمجرد انهم خدموا الدين والاسلام وضحوا في سبيله فحسب ، ان الشيعة يوالون اهل البيت ، لانهم صورة كاملة لروح النبي وعلمه وايمانه واخلاقه ، ان نفس علي هي نفس محمد بنص آية المباهلة ، حيث عبر النبي عن علي بلفظ انفسنا ، ويأتي التفصيل

في الفصل التالي ، واليك هذا الشاهد على ان آل الرسول صورة عنه ، قالت عائشة : « ما رأيت احداً من خلق الله اشبه حديثا وكلاما برسول الله (ص) من فاطمة » وقال الرواة والمؤرخون : اتت فاطمة الى ابي بكر تطالب بفدك ، ومشيتها مشية رسول الله ، ومنطقها منطق رسول الله فلما رآها المسلمون تذكروا اباهـا ، فاجهشوا بالبكاء ، وكان يوم كيوم مات فيه رسول الله ، لم ير اكثر باكياً وباكية .

ومما جـاء في خطبتها الشائعة الذائعة : « نحن وسيلة الله في خلقه ، ونحن خاصته ومحل قدسه ، ونحن حجته في غيبه ، ونحن ورثة انبيائه » . واي مسلم يدرك هـذا الكلام واسراره ، ثم لا يفنى في طاعـة الآل ومودتهم ؟! فهم خاصة الله ؛ فمن نأى عنهم فقد ابتعد عن الله ، وهم سبيل الله فمن جهل حقهم ، فلا يصل الى الله ، وهم حجة الله ، فمن اخذ عن غيرهم فقد ابتغى غير الله ، ومن هنـا كانت طاعتهم طاعة للرسول بنص حديث الثقلين ، وطاعة الرسول طاعة الله بنص الآية ٧٩ من سورة النساء : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » .

من اجل هذا وحده أحب الشيعة محمد وآل محمد اكثر من انفسهم ، ومن الآباء والامهات والابناء ، ودانوا مخلصين بالولاء لهم ، وبالسلم لمن سالمهم ، والحرب لمن حاربهم غير مكترثين ولا مبالين بتهجمات المعاندين ، ولا بتقوّل المفترين ، ما داموا على ثقة من دينهم ، ويقين من تمسكهم بالقرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم .

ما لعلي وفدك ؟!

وهنا سؤال يفرض نفسه : لماذا اهتمت سيدة النساء بفدك كل هذا

الاهتمام ، وهي من اهلٍ لا يبالون بشيء من امر الدنيا اقبل او ادبر ؟!
قال امير المؤمنين (ع) : ماذا اصنع بفدك وغير فدك ، والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها ، وتغيب اخبارها ؟!. ان اهل البيت لا يعملون إلا لظلمة القبر ووحشته ، والا لله ورحمته ، فما بال ام الحسنين تقيم الكون وتقعده من اجل فدك ؟!.

الجواب

ان القصد ابعد بكثير من فدك ، ان سيدة النساء تبتغي من وراء فدك من اغتصب الحق ، وصد اهله عنه ، انها تريد ان تفهم القوم انهم خالفوا الرسول ، ونكثوا عهده ، وتنكبوا عن صراطه ونهجه ، فما قالته في الخطبة : « سرعان ما احدثتم ! وعجلان ما اتيتم ! الآن مات الرسول ، فامتم دينه !.. وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته ، وانبأكم بها قبل وفاته ، « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبية فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين » .

وان قال قائل : ان هذه الآية نزلت يوم أحُد ، حيث خاطب الله بها المسلمين الذين فروا عن النبي بعد ان شاع خبر كاذب بقتله ، واللفظ صريح الدلالة على ذلك ، فكيف يستدل بها على من صرف الخلافة عن علي ؟!.

قلنا في جوابه : اجل ، انها نزلت في الذين فروا يوم أحد ، وان لفظها وسياقها صريحان بذلك بخاصة قوله تعالى : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » إشارة الى انتصار المسلمين على المشركين يوم بدر ،

ولكن المورد لا يخصص الوارد - كما قيل - هذا ، الى ان الذين فروا يوم احد هم الذين منعوا فاطمة فدكا ، وهم الذين خاطبهم الله ، وحكم عليهم بان ايمانهم بمحمد يرتبط بوجوده ، فيبقى ببقائه ، ويذهب بذهابه فكان عليهم لو كانوا مؤمنين حقاً ان يستميتوا حين شاع الخبر بقتل نبيهم ؛ لا ان يفروا وينقلبوا على اعقابهم خاسرين .

قال الامام الباقر (ع) : أصاب علياً يوم احد ستون جراحاً ، فامر النبي بعد ابتهاء المعركة بعض النساء ان تداوي جراحه ، فقلن يا رسول الله : لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكاق ، فدخل عليه الرسول وجعل يمسح الجراح بيده ، ويقول : ان رجلا لقي هذا في الله فقد ابلى واعذر ، فكان القرح الذي يمسه النبي ، يلتئم لساعته ، فقال علي : الحمد لله ، اذ لم افر ولم اولّ الدبر ، وكان هو المقصود بقوله سبحانه : « وسيجزي الله الشاكرين » .

وهل ثمن لهذه الجراح الزكية غير الولاء والطاعة ، وغير التعظيم والتقديس ؟! هل لهذه الجراح الخالصة لله الا الاخلاص والمودة ؟!. ولماذا عرض الامام نفسه للاخطار والمهالك ، ألشهرة او ملك او مال ؟!. انه اراد شيئاً واحداً لا غير ، اراد ان تردد الملايين في كل زمان ومكان على المآذن والمنابر ، وفي الصلوات والمحافل كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » . هذي هي امنية الامام ولا شيء سواها ، ومن اجلها قاتل وقتل المشركين اعداء الرسول والدين ، ومن اجلها أصابه في معركة واحدة ستون جراحاً ، ومن اجلها استشهد في محرابه وبين يدي ربه ، واستشهد اولاده من بعده بين منحور ومسموم ، لا يبتغون جزاءً ولا شكورا إلا ان يعبد الله،والا احياءً لكلمة لا اله الا الله ، فعلي في جهاده كالرسول الذي قال : لو وضعت الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ما

تركت قول : لا اله الا الله محمد رسول الله ، حتى انفذه او اقتل دونه . والنتيجة الحتمية المنطقية لذلك كله ان من دان لعلي بالولاء فقد دان بالشهادتين ، ومن وفى له فقد وفى للدين والاسلام ، ومن عانده وحاربه فقد عاند وحارب الله والرسول ، فالقضيتان متلازمتان متساويتان طرداً رعكساً ، وسلباً وإيجاباً .

آل النبي هم النبي وانما بالوحي فرق بينهم فتفرقوا
ابت الامامة ان تليق بغيرهم ان الرسالة بالإمامة اليق

غيرهم يعبد الله على حرف

قال احد وجوه العرب للنبي : ما لي اذا اسلمت ؟.

قال النبي : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم .

قال : اقاتل بسيفي معك ، ثم لا يكون لي شيء من الغنم ؟!. فاجعل الامر الي من بعدك .

وهكذا اكثر العرب — الآن وقبل الآن — لا يعبدون الله الا على حرف ، ولا يعملون الا على اساس الكسب والربح العاجل ، واقسم لولا محمد وآله ، ومن سار بسيرتهم لم يكن للعرب تاريخ ولا ذكر .

ابناء الرسول

قال المحب الطبري في كتاب « الرياض النضرة » ج ٢ صَ ٢٦٨ طبقة ١٩٥٣ :

« روى ابو سعيد في شرف النبوة ان رسول الله (ص) قال لعلي :

اوتيت ثلاثا لم يؤتهن احد ، ولا انا : اوتيت صهراً مثلي ولم اوت انا مثلي ، واوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم اوت مثلها زوجة ، واوتيت الحسن والحسين من صلبك ، ولم اوت من صلبي مثلهما ، ولكنكم مني وانا منكم ... وفي رواية اوتيت اربعة ، والرابعة لولاك ما عرف المؤمنون ... اشارة الى قول الرسول : من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وعن طريق الشيعة ، قال محمد بن علي بن شهر اشوب في كتاب « مناقب آل ابي طالب » :

« ان النبي قال : يا علي لك اشياء ليست لي منها : لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها ، ولك ولدان من صلبك ، وليس لي مثلهما من صلبي ، ولك مثل خديجة حماة ، وليس لي مثلها حماة ، ولك صهر مثلي ، وليس لي صهر مثلي ، ولك اخ مثل جعفر ، وليس لي مثله في النسب ، ولك ام مثل فاطمة بنت اسد الهاشمية المهاجرة ، وليس لي

مثلها » (١)

وطبيعي ان لا يكون للنبي زوجة ابوها كمحمد سيد الانبياء وخاتمهم ، وطبيعي ايضاً ان لا تكون له زوجة كفاطمة سيدة نساء العالمين ، ولكن من الطبيعي ان يكون له ابنـــاء للصلب كالحسن والحســـين ، كما كان لابراهيم ، وغير ابراهيم من الانبياء (ص) . فما هو السر لحرمان الرسول الاعظم من الابناء للصلب ؟

اجل ، لم يكن للنبي (ص) ابناء للصلب ، ولكنه لم يحرم من الذرية والنسل ، بل لم يحرم من الابناء ، فان كلا من الحسن والحسين ابن له بنص القرآن ، فلقد اتفقت السنة والشيعه على ان المراد بانفسنا النبي وعلي ، وبنسائنا فاطمة ، وبابنائنا الحسن والحسين في آيه المباهلة ٦١ آل عمران : « فقل تعالوا نـــدع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » . قال الرازي في تفسيره الكبير : « هذه الآية دالة على ان الحسن والحسين كانا ابني رسول الله (ص) وعد النبي ان يدعو ابناءه ، فدعا الحسن والحسين ، فوجب ان يكونا ابنيه » .

وقد تواتر الحديث عن النبي انه قال : ولداي هذان امامان قاما او قعدا . وقال : هما ريحانتاي من الدنيا ، وعن الامام احمد ان النبي قال : كل ولد اب فان عصبتهم لابيهم ما خلا ولد فاطمة ، فاني انا ابوهما .

وقال الامام علي في محمد ابن الحنفية : انه ابني ، اما الحسن والحسين فانهما ابنا رسول الله ، وكان الناس ، وما زالوا يعبرون عن علي وفاطمة

---

(١) لاحظت ، وانا اتتبع كتب الفضائل ان ما من منقبة يذكرها الشيعة لاهل البيت الا وفي كتب السنة ، مثلها وان كان هناك من تفاوت فهو اشبه بهذا التفاوت بين هذين الحديثين

والحسن والحسين انهم من آل محمد وآل الرسول وآل البيت ، اي بيت محمد .

وقال السيد المرتضى : ان آية المباهلة تدل على ان ابن البنت ابن حقيقة .

ونحن نقول : سواء أدلت الآية على ذلك ام لم تدل فانها نص صريح على ان الحسن والحسين هما ابنا الرسول حقيقة ، حتى ولو لم يكن ابن البنت ابنا بالقياس الى غيره ، وهذا خاص بالنبي (ص) دون سواه بنص القرآن والحديث واستعمال الناس جميعاً .

وان سأل سائل : ما هي الحكمة في كون الرسول الاعظم اباً حقيقيا لابناء بنته دون ان يكون ذلك لغيره ؟ .

ولكي يتضح الجواب عن هذا السؤال نمهد بما يلي :

لقد تزوج النبي خديجة ، وهو ابن خمس وعشرون سنة ، واقام معها اربعاً وعشرين واشهرا ، وبعد وفاتها تزوج سؤدة بنت زمعة ، ثم عائشة ، عقد له عليها ابو بكر في مكة ، وهي بنت ست سنوات ، وبنى بها النبي في المدينة بعد ان اكملت التسع وحين توفي النبي كان لها من العمر ثماني عشرة سنة ، وعاشت الى السبعين ، وماتت في ايام معاوية ، وايضاً تزوج النبي ام سلمة ، وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، وحفصة بنت عمر ، وزينب بنت جحش ، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وجويرية بنت الحارث ، وام حبيبة بنت ابي سفيان ، وصفية بنت حي بن احطب ، وميمونة بنت الحارث ، خالة عبد الله بن عباس ومارية القبطية ، وريحانة بنت زيد ، وتكانة بنت عمرو ، وقد دخل بهؤلاء جميعا ، وكن ثيبات الا عائشة كانت بكرا ، وله زوجات آخر طلقهن قبل الدخول .

وولدت له خديجة ذكرين : القاسم وعبد الله ، وهما الطيب والطاهر واربع أُنات : زينب ، ورقية ، وام كلثوم ، وفاطمة ، وولدت مارية القبطية ابراهيم ، ومات القاسم وعبد الله وابراهيم اطفالاً ، اما زينب فتزوجها ابو العاص بن الربيع قبل الاسلام ، وولدت له بُنتاً ، وهي امامة تزوجها الامام بعد فاطمة بوصية منها ولم ترزق اولاداً ، وتزوج رقية عتبة بن ابي لهب عم الرسول ، وام كلثوم تزوجها اخوه عتيق بن ابي لهب ، وبعد الاسلام طلقهما النبي من عتبة وعتيق ، فتزوج عثمان ابن عفان رقية ، وولدت منه ذكراً ، وهو عبدالله ، ومات في السنة السادسة من عمره ، فتزوج بعدها اختها ام كلثوم ، ولا عقب لها ، وتوفيت زينب ورقية وام كلثوم في حياة النبي (ص) ، ولم يبق له من الولد الا فاطمة ، ولا عقب له الا منها .

واذا لم يكن للنبي ابناء ولا ابناء ابناء ، ولا نسل ولا ذرية الا من فاطمة كان من المحتم — وبحكم الطبيعة البشرية ، وصرف النظر عن الآيات والاحاديث — ان تنحصر عاطفته الابوية بالحسن والحسين ، وان يهتم بتربيتهما وتعليمهما وسعادتهما ، ولو كان للنبي اولاد غير الحسن والحسين لتوزعت هذه العاطفة بينهما وبين اولاده ، بل لكان لغير الحسنين من ابنائه الشطر الاوفر ، اما وانه لا نسل ولا ذرية له الا الحسن والحسين فعاطفته منحصرة فيهما بحكم الواقع ، وكانا ابنين له حقيقة ، وقد عبر صلوات الله عليه وعلى آله عن هذه الابوة والبنوة بعبارات شتى ، منها ولداي ، وابناي وريحانتاي وهما مني وانا منهما ، وما الى ذلك .

ان للانسان ، اي انسان نبياً كان او غير نبي عاطفة ابوية تجاه ابنائه ان وجدوا ، والا استأثر بها ابناء ابنائه ان وجدوا ، والا استأثر بها ابناء البنت ، كما هي الحال ، في نبينا الكريم (ص)

هـذا ، الى ان عاطفة الأبوة ، وان كانت طبيعية ، الا انها قـد تضعف وتتلاشى ، بل قد تنقلب الى مقت وكراهية ، اذا كان الابن على غير طريقة الأب في دينه واخلاقه ، فلقد رأينا الاب ينازل ابنه بالسلاح في المعارك الدينية والعقائدية وكان الرجل مع رسول الله (ص) يقاتل اباه واخاه وابنه من اجل الدين ، كما رأينا من يخلص ويضحي بالنفس والنفيس من اجل صديق لا يجمعهما جامع من نسب او قوميـة ، او اي شيء سوى الخلق والمبدأ ، ومن هنا قال الرسول الاعظم : « سلمان منا اهل البيت » مع العلم انه كان فارسي الأصل ، وكان الامام جعفر الصادق يعبر عنه بسلمان المحمدي .

وقال الله على لسان ابراهيم في الآية ٣٦ من سورته : « فمن اتبعني فانه مني » ، وفي الآية ٤٥ من سورة هود : « قال نوح رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح » وفي الآية ١٠١ من سورة المؤمنين : « فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم » وفي ٦٧ من سورة الزخرف « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » . وقال امير المؤمنين : رب اخ لك لم تلده امك . وقـال : القريب من قربته الاخـلاق ، فالاخلاق هي مقياس القرب لا الانساب ولا القوميات .

وليس من شك في ان اخلاق الحسنين وشمائلهما وسيرتهما تعبير قوي وصريح عن اخلاق النبي وشمائله وسيرته ، ، فقد قاما بامره ، وعملا بوصاياه وتعاليمه ، ومهدا لامته وجاهدا في سبيل دينه ومبادئه ، وكان لهما من علمـه وحلمه ، وشجاعته وكرمه ، وزهده وصبره ما لم يكن لاحد بعد ابيهما امير المؤمنين (ع) ومن اجل ذلك امر الناس بالتمسك بهما تماماً كما امرهم بالتمسك بالقرآن ، ونص على امامتهما صراحة بقوله

« ولداي هذان امامان قاما او قعـــدا » وجعلهما حجة لله على الناس اجمعين ، فاذا كنا مسلمين حقاً فعلينا ان نسمع لهما ونطيع ، وان نخصهما بالولاء ، ونؤمن ايماناً صادقـــاً ، ونتذكر ابداً ودائماً ان عداء الحسن والحسين او جحود فضلهما وعـــدم الولاء لهما عداء وجحود لرسالة الرسول وتعاليمه .

علي وفاطمة

مولد فاطمة

اتفق الرواة على ان فاطمة الزهراء (ع) كانت الصغرى في ذريـــة الرسول (ص) واختلفوا في تحديد السنة التي ولدت فيها . وروي عن الامام محمد الباقر (ع) انها ولدت بعد النبوة بخمس سنين ، اما الامام فقد ولد قبلها بخمس عشرة سنة .

صفاتها :

كانت فاطمة كالشمس تخرج من تحت السحاب ، وكان علي على هيئة الاسد يغلظ من أعضائه ما استغلظ من اعضاء الاسد ، ويدق منهـــا ما استدق ، وكانت فاطمة أشبه الناس خلقاً وخلقا ومنطقاً برسول الله . وكان علي باب مدينة علم النبي ، وأخاه المؤاسي له ، وجامع فضائله وشمائله ، ووارث علمه وحكمه ونشأت فاطمة ودرجت في بيت محمد ، وكذلك علي نشأ وتربى في دار محمد وحجره ، وكانت فاطمة بنت اسد كالأم للنبي ، وكذلك كانت خديجة بنت خويلد كالأم لعلي ، وهي في الوقت نفسه أم لفاطمة

المرأة والرجل

قال النبي لفاطمة : أي شيء خير للمرأة ؟
قالت : ان لا ترى رجلا ، ولا يراها رجل .
فضمها الى صدره وقال : ذرية بعضها من بعض .
ونحن لا نفهم من جواب سيدة النساء إلا الدلالة على حصانتها وعفتها ، والا فأي شيء أعظم شرفاً للمرأة واكثر خيراً لها من ان ترى رجلا كعلي وتلد للانسانية الحسن والحسين ؟!

الكفاءة

جاء في كتاب دخائر العقبى للمحب الطبري (من السنة) ص ٣٠ طبعة ١٣٥٦ هـ. : ان ابا بكر خطب الى النبي فاطمة ، فقال له : لم ينزل القضاء بعد ، فخطبها عمر ، فأجابه بما أجاب صاحبه ، ثم خطبها عديد من كبار قريش ، وكان الجواب واحداً . ونقل السيد محسن الامين في الجزء الثاني من اعيان الشيعة مثل ذلك عن الامام احمد في كتاب الفضائل وعن الواقدي في الجزء الثامن من الطبقات ، وحين خطبها علي قال له النبي : اهلا ومرحباً ، يا علي هذا جبريل يخبرني ان الله زوجك فاطمة .
وروي الشيعة ان النبي (ص) قال : لو لم يخلق الله علياً ما كان لفاطمة كفء ، واتفق المسلمون جميعاً على ان للرجل - مهما سمت مرتبته - ان يتزوج بمن هي دونه شرفاً ونسباً . واختلفوا في المرأة : هل لها ان تتزوج بمن هو دونها او لا ؟ اي انهم اتفقوا على ان المرأة لا يشترط كفاءتها للرجل ، واختلفوا في كفاءة الرجل للمرأة .

قال الحنفية والشافعية والحنابلة : الكفاءة شرط .

وقال الامامية والمالكية : كلا ، ليست بشرط .

اذن ما رواه الشيعة عن النبي من انه لولا علي لم يكن لفاطمة كفء يتنافى مع قولهم بان الكفاءة في الزواج ليست بشرط . وايضاً لا يتفق مع قوله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقول الرسول . « لا فضل لعربي على اعجمي إلا بالتقوي » .

الجواب :

ان الشيعة الامامية ارادوا من الكفاءة في باب الزواج كفاءة النسب والمال والمهنة ، وارادوا من كفاءة علي لفاطمة الكفاءة في العظمه والفضائل والتساوي عند الله واليوم الآخر .

وفاطمة سيدة نساء زمانها ، ومن سيدات نساء اهل الجنة ، فقد جاء في كتاب الاستيعاب ، وكتاب المستدرك (للسنة) عن النبي ان سيدات نساء اهل الجنة مريم بنت عمران ، ثم فاطمة بنت محمد ، ثم خديجة بنت خويلد ، ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وجاء في صحيح البخاري ومسلم والترمذي عن النبي انه قال : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية وخديجة وفاطمة [1]

واذا كانت فاطمة سيدة النساء فلا كفء لها الا امير المؤمنين سيد الرجال والنساء بعد النبي ، قال ابن عبد البر في الاستيعاب ، وهو يترجم لعلي : ان رسول الله قال لفاطمة : ان زوجك سيداً في الدنيا والآخرة ، وانه لأول اصحابي اسلاماً ، واكثرهم علماً ، واعظمهم حلماً . وعن النبي انه قال لعلي : عاتبني رجال من قريش في امر فاطمة ، وقالوا : خطبناها اليك فمنعتنا ، وزوجت علياً . فقلت : ما انا منعتكم ، وزوجته ، بل الله منعكم

(١) اعيان الشيعة للامين ج ٢ ص ٥٤٥ الطبعة الثالثة .

وزوجه . فكفاءة علي لفاطمة ليست كفاءة نسبية فقط ، ولا خلقية فقط ، وانما هي كفاءة سماوية إلهيــة في تعادلهما بالقرآن ، وتساويهما في مــيراث النبوة ، وفي الحكمة والهدى والرحمة ، وفي افتراض الولاء والطاعــة على الناس اجمعين .

جهاز فاطمة

ان الغرض الاول من هذا الفصل هــو وصف الاثاث الذي كان في بيت فاطمة ، وجهاز عرسها ، وما قدمناه كان من باب التمهيد ، وتمنيت لو ان لي قلماً يستطيع التعبير عن ذاك السمو ، وتلك العظمة التي تكمن وراء هــذا الجهاز المتواضع ، وان لي ريشة فنــان بارع تنجدني على التصوير والتوضيح ، اما نفس الجهاز فانقله اليكم بالحرف الواحــد كما تواتر على ألسنة الرواة ، ودوّن في كتب الثقات ، وهذا هو :

قميص .
وخمار لغطاء الرأس .
وثوب له زغب .
وعباءة قصيرة بيضاء .
ومنشفة .
وفرشان : احدهما ليف ، والآخر صوف .
ومخدة ليف .
واربعة متكآت حشوها من بنات الارض .
وسرير من جريد النحل .
وجلد كبش .

وحصير .

وستار من صوف .

وقدح من خشب .

ورحى للطحن .

واناء من نحاس للعجن والغسيل .

وقربتان : كبيرة وصغيرة .

ووعاء من ورق النخل مزفت .

وجرة خضراء وكوزان من خزف .

ومنخل .

ورش الامـــام ارض الدار برمل ناعم ، ونصب في البيت خشبة من الحائط الى الحائط ، لتعليق الثياب ، اذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العرس .

ولو ان النبي زوج فاطمة من رجالات العرب الذين خطبوهـــا اليه لكان جهازها الاول من نوعه في ذلك العصر ، ولكان الحرير والديبـــاج مكان الرمـــل ، ولكان الابنوس والعاج مكـــان خشبة الثياب ، وكان الذهب والفضة بدل الفخار وسعف النخل ، وكانت العـــلالي والقصور ، والخدم والحشم بدل القربة التي استقت بها الزهراء ، حتى اسود صدرها ، وبدل الرحى التي طحنت بها ، حتى تورمت كفها ، ولكن هـــل السعادة والسكينة والرحمـــة في القصور الضخمة الفخمة ، او حيث يكون علي ابن ابي طالب امير المؤمنين وامام المتقين وابو الأئمة الميامين ؟!

وقديماً قيل : المكان بالمكين ، وقال المجنون لليـــلاه : وكل مكان انت فيه مكاني .

في هذا المكان ، وهذا البيت المتواضع الذي اكثر اثاثه مـــن الخزف

كان يبتهج الرسول ويغتبط ، ويجد لنفسه السكينة والسعادة والهناء ،ويفيض من قلبه الحب الابوي والحنان على بضعته فاطمة ، وريحانتيه من الدنيـــا الحسن والحسين ، وعلى اخيـــه وصهره ووارث علمه وحكمه وشريكه في خصائصه ، ما عدا النبوة .

في هذا البيت الذي ضم آل الرسول ، ودرج فيه الحسنان كان يجلس محمد ، وينعم برؤية الاهل والاولاد ، ويلقي عن كاهله الاتعاب والاوصاب وما لاقاه من الاذى في سبيل دعوته .

في هذا البيت كان يجلس رب العائلة محمد مع عائلته ، عليّ عن يمينه ، وفاطمة عن يساره ، والحسن والحسين في حجره يقبل هذا مرة ، وذاك اخرى ، يباركهم ويـــدعو لهم ، ويسأل الله ان يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً .

ومن هذا البيت كان يخرج النبي الى السفر ، وبه يبدأ اذا عاد .

في هذا البيت نزل الروح الامين بالوحي من الله على قلب رسول الله وخدم الملائكة فيه سيدي شباب اهل الجنة .

ومن هذا البيت المتواضع شع نور الهداية والاسلام على الناس مدى الاجيال ، وفي القصور الشامخة يولد العهر والفسق ، في هذا البيت الفقير سبحت الزهراء وبعلها وبنوها بالغدو والآصال . قال أنس : قرأ رسول الله : « في بيوت اذن الله ان ترفـــع ويذكر فيها اسمه يسبح فيهـــا بالغدو والآصال » فقام اليه رجل ، وقال : اي بيوت هـــذه يا رسول الله ؟ فقال : بيوت الأنبياء . فقام اليه ابو بكر ، وقال : يا رسول الله هذا البيت منها ، وأشار الى بيت علي وفاطمة . فقال الرسول : نعم من افضلها .

وفي ذات يوم دخل هذا البيت رسول الله ــ على عادته ــ فوجد علياً وفاطمة يطحنان بالجاروش ، فقال : ايكما أعيا ؟ ــ اي تعب ــ قال علي :

فاطمة يا رسول الله . فقال لها : قومي يا بنيـــة . فقامت ، وجلس يطحن مع علي .

واقسم لو خيرت بين الدنيا ، وبين ذرة من هذا الطحين لآثرت هذه الذرة على الكون بما يحويه .

وبعد ، فاين الفقر والعـــدم ؟! أفي بيت الوحي والنبوة ، حيث الرحى يطحن بها محمد وعلي وفاطمة ، وحيث كوز الفخار يشرب منـــه الرسول وآله ، وحيث تنزل الملائكة والروح ، أو في قصور االملوك والاغنياء ، حيث الزنا والخمر والفساد ؟!

عاشت فاطمة عنـــد علي ، وهو لا يملك إلا قلبـــه وسيفه ، والا علمـــه وايمانه ، وكان يسكن في بيت متواضع طحنت فيـــه فاطمة بالرحى ، حتى تورمت كفها ، واستقت بالقربـــة حتى اسود صدرها ، وكنست البيت ، حتى اغبرت ثيابهـــا . وعاشت آسية بنت مزاحم عند فرعون صاحب الاهرام والنيل ، وبين الخدم والحشم تأمر وتنهى ، فأيهما كانت اسعد حياة ، واهدأ قلباً وأصفى بالاً في هذه الدنيا؟!

ولو وجدت اليوم تلك الرحى او القربة او المكنسة لحج اليها اهـــل الشرق والغرب من المسلمين وغير المسلمين ، ولعادل جزء منها الف نيل ونيل واهرام واهرام .

ومن هنا قال الرسول : « ليست الدنيا من محمد ولا آل محمد » وماذا يصنع محمد وآل محمد بالدنيا ، وقد خلقوا للخير والرحمة والكرامة الدائمة ، خلقوا للهدى الى الله ودين الحق ، وللوجاهة والشفاعة غداً لمن أحبهم وأحبوه .

شجاعة الامام

ان الحديث عن شجاعة عليّ امير المؤمنين ، تماماً كالحديث عن نور الشمس نافلة وفضول ، واذا حاول انسان ان يتحدث عنها فبأي لفظ او ريشة يعبر عن شجاعة من قال فيه الروح الامين وسيد المرسلين : «لاسيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا عليّ » وقال هو عن نفسه : « لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت مدبراً » وقال : ان اكرم الموت هو القتل ، والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف في سبيل الله اهون من ميتة على فراش . والكل يعلم ان اقوال علي تعبير وتطبيق لاقواله .

وما كتب او تحدث احد عن شجاعة علي الا قال بالحرف الواحد : ما فرّ من حرب ، ولا خاف من جيش ، ولا بارز احداً الا قتله او اسره او منّ عليه بعد ان تمكن منه ، ولا ضرب ضربة فاحتاج الى ثانية، فكل ضرباته بالوتر لا بالشفع ، و « بالفرد لا بالزوج » واذا علا قد ، واذا اعترض قط ، ضرب ابن ود على ساقيه فبراهما مع ما عليهما من الدرع والثياب ، وضرب مرحبا على رأسه - وكان عليه مغفر وحجر ثقبه مثل البيضه - فقد الحجر والمغفر والرأس ، حتى وقع السيف في اضراسه .

اما مبيته على فراش الرسول ليلة الهجرة فقد اذهل اهل السماءوالارض

افتخرت عائشة يوماً بابيها ، لأنه ثاني اثنين في الغار ، فقال لها احد الاصحاب شتان بين من قيل له : لا تحزن ان الله معنا ، ومن بات على الفراش ، وهو يرى انه يقتل .. وانزل الله فيه ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله .

اما موقفه في بدر فقد قتل من المشركين النصف ، والمسلمون جميعاً قتلوا النصف ، وفي الذين قتلهم من يعد بالف ، اما يوم احد فقتل ١٨ ، وجيش النبي بكامله قتل ١٠ ، وفي حنين قتل القائد ابا جرول مع ٣٩ فارساً ، وفي صفين قتل في يوم واحد اكثر من ٥٠٠ ومثل ذلك يوم الجمل والنهروان .

وقيل له : الا تشتري فرساً سابقاً ؟

فقال : لا حاجة لي به ، انا لا افرّ ممن يكرّ ، ولا اكر على من يفر.

ومما قاله القائلون عن شجاعته : انه ما عرف عن بطل في العالم الا كان مغلوباً حيناً ، وغالباً حيناً ، الا علي فهو الغالب ابداً ودائماً ، وهذا من خصائصه ومنها ايضاً ، ان العرب يفخرون بأن قريبهم قتل بسيف علي ، ويجعلون من هذا دليلاً على ان صاحبهم بارز علياً ، وهو الموت الذي لا بد منه .

ومما جاء في شجاعته ، وهو طفل ان أمه فاطمة بنت اسد كانت اذا شدته بالقماط شقه ، فجعلته قماطين فشهقهما ، فجعلته ثلاثة من جلد وحرير فلم تجد شيئاً ، فاضطرت الى تركه بدون قماط ، وكان ابوه ابو طالب يجمع له اولاده واولاد اخوته ويأمرهم بمصارعته ، فكان علي يحسر عن ذراعيه ، ويصارع الكبير منهم والصغير فيصرعه ، وفي ذات يوم كان يسير مع طفل اكبر منه بسنة ، فما شعر الا والطفل يهوي في البئر على رأسه ، فاسرع علي ، واخذ برجله ، وانقذه .

وكان المفروض بمن يمتلك هذه الشجاعة النادرة الخارقة ان يشمـــخ ويستعلي على الآخرين ، وان يحقق المتع والمنافــع لنفسه وابنائــه ، فان الانسان ينساق بطبيعته وراء الملذات والمصالح الشخصية ، بخاصــة اذا استطاع اليها سبيلا ، وعلى الاقل ان لا يعيش عيش الفقراء والبؤساء .

فهل حقق الامام شيئاً من ذلك ؟.

الجواب

ان هذه الشجاعة على عظمتها تقترن بايمان اعظم ، فالايمان عند الامام هو الحاكم المطلق ، والمسيطر الأوحد على جميع حركاته وسكناته ، امــا العلم والشجاعة ، اما التواضع ، والجاه والسلطان ، اما هذه وما اليهــا فليست بشيء في ذاتها ، ولا بالقيــاس الى غيرهــا الا اذا كانت اداة ووسيلة لاحقاق الحق ، وابطال الباطل ، ومن هنا قال امير المؤمنين : « اغلب الناس من تغلب على هواه » اما من تغلب عليه الهوى فهو الجبان الخاسر ؛ بل الجبان خير منه وأفضل ، لأن الشجاع اذا لم يتق الله يتخذ من الشجاعة اداة للصوصية ، ووسيلة تعينه على الجرائم والمآثم .

لقد كان الامام شجاعاً ، ولكن شجاعته لم تكن لمصلحته ومصلحة ابنائه ، وانما كانت الدعامة الأولى للاسلام ، واعلاء كلمته ، كانت قوة للضعيف ، وعوناً للفقير ، وانصافاً للمظلوم مــن الظالم ، وخيرا للناس اجمعين . فاول موقف من شجاعه الامام كان للدفاع عــن الرسول ، وكشف الكربات عن وجهه ، واول مظهر من مظاهر جرأته واقدامه هو الفداء والتضحية بالنفس من اجل الاسلام ونبي الاسلام ، فلقــد تألبت قريش على النبي ، وصممت على قتله حين اعلن دعوة الحق ، ولم يجــد ناصراً الا علياً واباه ، ولما جمعت له الجموع في بــدر واحد والاحزاب كان علي سيف الله على اعدائه ، ولولاه ما قال قائل :

« لا الا الله محمد رسول الله »

نحن نؤمن بأن محمداً (ص) اخرج الناس من ظلمات الشك الى نور اليقين ، ومن عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن ، ومن الجهل الى العلم ، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن علياً كان عضده وسيفه ودرعه ووسيلته في كل ما حققه دون استثناء ، ودليلنا على ذلك قول النبي :

علي نفسي وأخي ووزيري وخليفتي ، ووارث علمي ، طاعته طاعتي ، ومعصيته معصيتي ، ومن أحبه فقد أحبني ، ومن أبغضه فقد أبغضني .. وهو سيد المسلمين ، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين .. وأمير البررة وقاتل الفجرة .. وقال لفاطمة : ان الله اطلع الى أهل الأرض فاختار رجلين أباك وبعلك . وقال : من أراد ان ينظر الى آدم في علمه ، والى نوح في تقواه ، والى ابراهيم في حلمه ، والى موسى في هيبته ، والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي بن ابي طالب[1] .

واذا صرفنا النظر عن الآيات والاحاديث ، ورجعنا الى التاريخ رأينا ان تاريخ علي يقترن بتاريخ محمد ، وجهاده بجهاده من اول يوم الى آخر يوم من حياته ، فاذا ذكرت نشأة محمد ذكرت بيت ابي طالب وفاطمة بنت أسد ، واذا ذكرت بعثة محمد ودعوته الى الاسلام ذكرت علياً وأباه ودفاعهما عنه ، وذكرت سبق الامام الى تصديقه والصلاة معه في أول صلاة صلاها الرسول في الاسلام ، واذا ذكرت حصار قريش للنبي في الشعب ذكرت حراسة علي له ، في الليل والنهار ، واذا ذكرت الهجرة ذكرت مبيت علي على الفراش ، واذا ذكرت حروب النبي بكاملها ذكرت علياً

(١) المستدرك والاستيعاب والخصائص للنسائي والمناقب للامام احمد والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي . انظر القسم الاول من الجزء الثالث من كتاب « اعيان الشيعة للسيد محسن الامين » فقد ذكر هذا ومعه اكثر منه من كتب السنة وغيرها .

في كل موقعة منها ، حتى غزوة تبوك لا بد ان تذكر استخلاف النبي له على المدينة ، وقوله : « انت مني بمنزلة هـــارون من موسى » واذا ذكرت ذرية الرسول وبيت الرسول ذكرت علياً وفاطمة والحسن والحسين ، واذا ذكرت وفاته ذكرت انه انتقل الى ربه ، ورأسه في حجر علي ، وانه هو الذي غسله وجهزه وصلى عليه .

ومن هنا قال المنصفون : ان علياً شريك محمد في كل ما تحقق لدين الله من انتصار على الكافرين والمعاندين ، ومن انتشار الاسلام في شرق الأرض وغربها .

وغريبة الغرائب ان يقول جاهل متحامل : ان الشيعة يحجون الى قبر علي ، وانه لشرك بالله !..

ونقول له : ان الشيعة يحرمون الحج الى غير بيت الله في مكة المكرمة ولكنهم يزورون قبر الامام كما يزورون قبر النبي ، لأن كلا منهما وهب نفسه لله ، وجـــاهد لتثبيت دينه وانتشاره في الخافقين ، فزيارة قبر علي تقديس للاسلام ، واكبار للدين ، واجلال لمحمد ، وزيارة لقبره بالذات ، فاذا كان القصد الى قبر علي والتبرك به وتعظيمه حرام وبدعة فكذلك القصد الى قبر النبي وزيارته وتعظيمه حرام وبدعة ايضاً .

جود الامام

ان الحديث عن جود الامام وسخائه يعرف من الحديث عن زهده واعراضه عن الدنيا ومتاعها ، لأن من تبين العلـــل استطاع ان يتنبأ بمعلولاتها ، فان النواة يكمن فيها ما تنتجه من نبات .

ومع هذا فانا نذكر شذرات من أقواله ، وأمثلة من افعاله في هذا الباب ، قال :

• البخل جامع لمساوىء العيوب ، وهو زمام يقاد به الى كل سوء .

• الكرم أعطف من الرحم .

• من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

• لا يجتمع شح وايمان في قلب ابداً .

• المهلكات ثلاث : شح مطاع ، وهوس متبع ، واعجاب المرء بنفسه .

• البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب في بلدته .

• البخيل كالخنزير لا ينتفع به الا بعد موته . حيث يصبح طعاماً للكلاب والوحوش .

ورأى عذرة على مزبلة ، فقال : هذا ما بخل به الباخلون .

ومن كانت الأموال عنده كالفضلات والجيف على المزابل فهو أجل واسمى من ان يقال بانه كريم وجواد بالمعنى المعروف بين الناس .. وهل يقال كريم لمن بات على فراش الرسول وفداه بنفسه ؟ كلا ، انه ملاك لا يهتم الا بالله ، ولا يُقبل على احد سواه .

وقد بلغ من جوده انه كان يحارب مشركاً ، فقال له المشرك : هبني سيفك . فرمى به اليه ، فقال له : عجباً ، أفي مثل هـذه الساعة تدفع الي سيفك ؟!.. فقال له : انك سألت ، وما كنت لأرد سائلاً

وقال الشعبي : كان علي أسخى الناس ، ما قال لا لسائل قط .

وعن ابي الطفيل انه قال : رأيت علياً يدعو اليتامى ، فيطعمهم العسل، حتى قال بعض اصحابه : وددت اني كنت يتيماً . واوقف الامـام جميع املاكه على الفقراء والمساكين ، وكان غلتها في السنة اربعين الف دينار ، وكان يسقي النخل بيـده لبعض اليهود باجر زهيد ، ويتصدق به على المحتاجين .

وروى الرازي عن ابن عباس في تفسيره الكبير ان هـذه الآية : « الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ـ ١٧٥ البقرة » نزلت في علي ، ونقل هذا صاحب دلائل الصدق عن الواحدي في كتاب «اسباب النزول » وعن السيوطي في كتاب « الدر المنثور » اما نزول هل اتى .. ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً ، في علي وفاطمة والحسن والحسين فاشهر من ان يذكر [1] وليس بعد ثناء الله قول لقائل .

ومما استدل به الامامية على افضلية الامام انه كان اسخى الناس بعد رسول الله (ص) وانه اشتهر بالسخاء الى حد الجأ معاوية الى الاعتراف

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ، والنيسابوري ، والبغوي ، والثعلبي ، والدر المنثور للسيوطي ، وتفسير الرازي نقلا عن الواحدي .

والقول بانه لو ملك بيتاً مـــن تبر ، وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه ، ولا شيء بعد الايمان بالله افضل من السخاء ، فقـــد جاء في الحديث أن النبي (ص) همّ بقتل احد المشركين ، فاوحى الله اليه ان يعفو عنه ، لأنه كريم يطعم الطعام ، ولما علم المشرك بذلك اسلم وشهد الشهادتين ، وهـــذا الحديث يوحي الينا بان سجية الكرم محبوبة لدى الله سبحانه ، ولو كانت من جاحد كافر ، وروي ان حاتماً لا يدخل الجنة لكفره ، ولا يعذب في النار لكرمه ، وقال الامام الرضا : ان الكريم قريب من الجنة ، قريب من الله ، قريب من الناس ، والبخيل بعيد عن الجنة ، بعيد عن الله ، بعيد عن الناس .

وبالتالي ، فنحن حين نتكلم عن جود الامام وشجاعته وزهده وعلمه فلا نضيف وصفاً الى وصف ، كما يضاف الواحد الى الاثنين ، وانما نتكلم عن خصائص عظمته ، وآثار شخصيته التي هي المصدر الاول لكـــل فضيلة ومكرمة ، فاذا اردنا ان نذكر الفضائل بكاملها ذكرنا اسم علي بن ابي طالب وكفى ، لأنه هو الفضائل ، تماماً كالشمس التي يغني ذكرها عن ذكر النور لأنها هي النور .

دنيا علي

لباسه :

كان لباس عـــلي يتألف من ثلاثة اثواب : (١) القميص الى فوق الكعب (٢) الازار الى نصف الساق (٣) المدرعة . وهي ثوب من صوف . وكان ثمن لباسه كاملاً ديناراً واحداً .

وقال الامام ؛ « والله لقد رقعت مدرعتي هذه ، حتى استحييت من راقعها . وقال لي قائل : الا تنبذها ؟! فقلت له : اغرب عني ، فعند الصباح يحمد القوى السرى » .

قيل : وكان راقع المدرعة ولده الحسن ، وكان يرقعها بجلد تارة ، وبليف أخرى . اما حذاؤه فمن ليف ، وكان يصلحه بيده ، وقال له آخر : بدّل ثوبك هذا . ففال له : وأي ثوب استر منه للعورة ؟! وقال له ثالث مثل ذلك . فأجابه الإمام : هـــذا أبعد لي عن الكبر ، وأجدر ان يقتدي به المسلم . وعن احياء العلوم للغزالي كان علي بن ابي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه . ولا يكون له إلا قميص واحد ، لا يجـــد غيره في وقت الغسل ، وقال علي مرة : من يشتري سيفي هذا ، فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكروب عن وجه رسول

الله ، فوالله لو كان عندي ثمن ازار مـــا بعته . وقال لأهل البصرة : ماذا تنقمون مني ؟ ان هذا من غزل اهلي ، واشار الى قميصه .

وعن الامام الباقر ان امير المؤمنين ذهب مع قنبر الى سوق البزازين ، وطلب من رجـــل يبيع الملابس ان يبيعه ثوبين . فقـــال له : يا أمير المؤمنين عندي حاجتك ، ولما ايقن الامام ان الرجل يعرفه تركه ومضى ، وأبى ان يشتري منه خشية ان يتساهل معه في الثمن ، ثم وقف على غلام واشترى منه ثوبين : احدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين ، وبعد ان قبض الغلام الثمن جاء ابوه ، وعرف الامام ، فقال له : يا مولاي ان ابني لا يعرفك ، وهذان درهمان ربحهما منك . فقال له : ما كنت لأفعل لقد اتفقنا مع ولدك على رضى .

واعطى الامام الثوب الذي بثلاثة دراهم لقنبر ، وأبقى الذي بدرهمين لنفسه ، فقال قنبرٌ : انت اولى به مني ، لانك تصعد المنبر ، وتخطب الناس . فقال له : وأنت شاب ، ولك شره الشباب ، وانا استحيي من ربي ان اتفضل عليك ، سمعت رسول الله يقول : البسوهم مما تلبسون ، واطعموهم مما تأكلون .

ومن أقواله : ان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه ، وجاء في وصفه : يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، الله اكبر !.. علي خليفة المسلمين في العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر ، يبيع سيفه ليشتري ازاراً بدرهمين !.. علي والدنيا في يده يتصرف فيهـــا كيف شاء ، ومتى شاء يكتفي منهـــا بطمرين وقرصين !.. اجل ، لقد اكتفى علي بطمريه من هذه الدنيـــا ، ولكنه لم يكتف من الفضائـــل والمناقب إلا بكاملها وأكملها ، فلقد ضم ذلك المئزر البالي شريك التنزيل ، ومستودع التأويل ، وقسيم الجنة والنـــار ،

وسيد الكونين ، وحجة الله على خلقه بعد الرسول الاعظم .

وهل يهتم الامام بالملابس ، وهو القائل : قيمة كل امريء ما يحسن ؟! وهل تدل مفاخر الثياب على العظمة والقداسة ؟! قال الامام يصف دخول موسى وهارون على فرعون :

« ولقد دخل موسى بن عمران ، ومعه اخوه هـارون (ع) على فرعون ، وعليهما مدارع الصوف ، وبايديهما العصي ، فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ، ودوام عزه فقال : ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك ، وهما بما ترون من حال الفقر والذل ؟!

فهلا القي عليهما أساورة من ذهب ؟!. إعظاماً للذهب وجمعه ، واحتقاراً للصوف ولبسه »

هذا منطق من استحوذ عليه الشيطـان ، وكان له قرينـاً ، يزدري الفضيلة واهلها ، ويقدر اصحاب المال والجاه !.

جاء رجل موسر الى رسول الله ، وكان نقي الثوب ، فجلس الى جنبه ، ثم جـاء رجل معسر درن الثوب ، فجلس الى جنب الرجـل الموسر ، فقبض الموسر ثيابه وضمها ، فقال له النبي : أخفت ان يمسك من فقره شيء ؟! قال : لا . قال : أخفت ان يوسخ ثوبك ؟! قال : لا قال : فما حملك على ما صنعت ؟! . فقال : يا رسول الله ان لي قرينا يزين لي كل قبيح ، ويقبح لي كل حسن ، وقد جعلت لهذا الرجل نصف ما املك . فقال الرسول للمسر : اتقبل ؟ قال : لا . فقال له الرجل الموسر : ولماذا ؟! فقال : اخاف ان يدخلني ما دخلك ويزين لي الشيطان ما زين لك .

طعامه

دخل عليه بعض اصحابه ، فوجد بين يديه اناء فيه لبن تفوح منه رائحة الحموضة ، وفي يده رغيف ظهر فيه قشار الشعير ، وهو يكسره بيده ، ويطرح الكسر في اللبن ، فقال له الأمام : ادن واصب من طعامنا . فامتنع الرجل ، وقال لفضة خادم الامام الا تتقون الله في هذا الشيخ ؟! ألا تنخلون هذا الطعام من النخالة ؟. قالت : امر ان لا ننخل له طعاماً .

وعن الامام الصادق انه اهدي الى امير المؤمنين طست من فالوذج ، وكان في نفر من اصحابه ، فقال مدوا أيديكم ، فمدوها ومد يده الشريفة ، ثم رفعها ، فقالوا له : امرتنا ان نمد يدنا ، ففعلنا ، ومددت يدك ، ثم قبضتها ؟.. فقال : ذكرت ان رسول الله (ص) لم يأكله ، فكرهت اكله .

وذكر صاحب سفينة البحار في مادة « كبد » عن كتاب مصباح الانوار ان امير المؤمنين عليا اشتهى كبداً مشويا في خبزة لينة ، فذكر ذلك لولده الحسن ، فصنعها له ، وكان صائما ، فلما اراد ان يفطر قدمها اليه ، وما ان مد يده . حتى وقف سائل على الباب ، فقال : يا بني احملها اليه .

ولو صدر هذا الايثار من غير علي لتعجبنا ، وبحثنا عن سببه ، اما وقد صدر عن الذي يرجح ايمانه على السموات السبع ، والارضين السبع [1] فلا عجب ، وانما العجب ان لا يصدر منه ذلك .

(١) جاء في كتاب الرياض النضرة للمحب الطبري من السنة ج ٢ ص ٣٠٠ طبعة ١٠٥٣ عن عمر بن الخطاب انه قال : اشهد على رسول الله لسمعته يقول : لو ان السموات السبع والارضين السبع وضعت في كفة ، ووضع ايمان علي في كفة لرجح ايمان علي .

واذا تنافس المتنافسون من اهل الجهالة والضلالة على المآكل والمشارب وتكالبوا على الجاه والمال وتسابقوا الى اقتناء السيارات الحديثة الفارهة ، وبناء العمارات الضخمة ، فان اولياء الله واصفياءه يتسابقون الى مرضاة الله وثوابه ، ويتأسون بموسى وعيسى ومحمد ، فلقد جاء في بعض خطب نهج البلاغة :

« لقد كان في رسول الله (ص) كاف لك في الاسوة .. اذ قبضت عنه اطرافها ، ووطئت لغيره اكنافها ..

وان شئت ثنيت بموسى كليم الله (ص) اذ يقول : رب لما انزلت الي من خير فقير ، والله ما سأله الا خبزاً يأكله ، لانه كان يأكل بقلة الارض .. وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارىء اهل الجنة ، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ، ويقول لجلسائه : ايكم يكفيني بيعها ، ويأكل قرص الشعير من ثمنها .. وان شئت قلت في عيسى بن مريم (ص) فلقد كان يتوسد الحجر ، ويلبس الخشن ، ويأكل الجشب ، وكان ادامه الجوع ، وسراجه بالليل القمر ، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها ، وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ، ولم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولامال يلفته ، ولا مطمع يذله ، دابته رجلاه ، وخادمه يداه » .

تأسى علي بمحمد وموسى وعيسى ، لأنه من هذا البيت ، بيت الرحمة ، ومن هذه الشجرة ، شجرة النبوة ، اما ابناء الدنيا فقد ساروا بسيرة ابن العاص الذي باع دينه بولاية مصر وخراجها لمن بايع وتابع وشايع الشيطان ، قال الامام : « الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب » . ولذا لفظها الامام لفظ النواة ، وكانت عنده احقر من حذائه ومن ورقة في فم جرادة .

قال الاستاذ العقاد في آخر كتاب « عبقرية الامام » : اما معيشة علي في بيته بين زوجاته وابنائه فعيشة الزهد والكفاف ، واوجز ما يقال فيها انه كان يتفق له ان يطحن لنفسه ، وان يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته ، وان يلبس الرداء الذي يرعد فيه ، وان احداً من رعاياه لم يمت عن نصيب اقل من النصيب الذي مات عنه ، وهو خليفة المسلمين ».

بيتـــه

حين بنى رسول الله المسجد في المدينة بنى حوله عشرة بيوت : تسعة منها لازواجه ، وعاشرهـــا لعلي وفاطمة ، وكان في وسط البيوت ، وكان يسكنه مدة وجوده في المدينة ، ثم سكنه من بعده اولاده واحفاده الى ايام عبد الملك بن مروان ، فاغتاض من وجوده ، واراد ان يهدمه محتجاً بتوسيع المسجد ، وكان فيه الحسن بن الحسن بن عـــلي بن ابي طالب ، فطلبوا ان يخرج منه ، فقال : لا اخرج ، ولا امكن من هدمـــه ، فضرب بالسياط ، واخرج قهراً عنه ، وهدم الدار ، وزيد في المسجد .

ولما بويع الامام بالخلافة ، وانتقـــل الى الكوفة « ابى ان ينزل القصر الابيض المعروف بقصر الامارة ايثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء ، ولم يبن آجرة على آجرة ، ولا لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة »[1]

ان علياً لا يهتم بالقصر الابيض ولا بغيره بعد ان قال له النبي : انت معي في قصري في الجنة ، كما ذكر الامام احمد في المناقب ، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٧ ، وقال في الصفحة المذكورة قال رسول الله : الجنة تشتاق الى ثلاثة : علي وعمار وسلمان ، وقال في صفحة ٢٧٩ :

---

(١) عبقرية الامام للعقاد ، واسد الغابة لابن الاثير .

قال رسول الله : أن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، وان قصري في الجنة وقصر ابراهيم متقابلان ، وقصر عليّ بن ابي طالب بين قصري وقصر ابراهيم ، فياله من حبيب بين خليلين !.. وقال اي المحب الطبري في صفحة ٢٨٠ : قال رسول الله : يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض . اخرجه الطبراني .

بيت المـــال

قال ابن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » : كان علي يقسم ما في بيت المال بين المسلمين ، ثم يأمر بكنسه فيكنس ، ثم يصلي فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ، واتاه مال من اصبهان قسمه سبعة اسباع ، ووجد فيــه رغيفاً ، قسمه سبع كسر ، وجعل على كل قسم كسرة .

وفي « حلية الاولياء » لابي نعيم ان ابن النباج قال له : يا امير المؤمنين امتلأ بيت مـــال المسلمين من صفراء وبيضاء ، اتت مـــن الخارج ، فقال : الله اكبر !.. علي بالناس ، فنودي فيهم ، ولما أقبلوا فرق جميع ما في بيت المال ، وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري .

كان يفرق المال ، حتى لا يبقى منه درهم ولا دينـــار ، ثم يحمل المسحاة ، ويعمل في الارض ، فيستنبط العيون ، ويقفها في سبيل الله . وفي ذات يوم وصل مال الصدقة مساء ، فقال لمن حضر : اقتسموه . فقالوا : أمسينا . أخره الى غد . فقال : من يضمن بقائي الى غد . وقيل له : اعط من هذه الاموال الذين يخشى منهم ، ويفرون الى معاوية فقال : أتأمروني ان اطلب النصر بالجور ، اما خبره من مع ابنته ام كلثوم حين استعارت العقد من بيت المال لتلبسه يوم العيد ، فمعروف ذكره جميع المؤرخين من السنة والشيعة .

والذي تبين معنا من سيرة علي في الحكم ان له نظرة خاصة إلى مهمة

الامام والحاكم ، وان وظيفته لا تنحصر بحفظ الحدود ، واقرار النظام ، وفرض الانضباط على الناس ، ولا بحفظ الدين والشريعة وإقامة الفرائض فقط ، بل هناك مسؤولية اخرى تقع على عاتق الراعي ، وهي الاهتمام بحاجة المحتاجين ، وعوز المعوزين . فان عجز عن سد هـذا العوز ، وحالت الظروف والاوضاع الراهنة دونه وجب عليه ان يقدر نفسه بأدنى افراد الرعية ؛ وأكثرهم فاقة ، ليشعر كل بائس ومحتاج بأنه أصبح في ذمة الراعي ، وان الراعي مسؤول امام الله والناس عن مظالم البائسين وآلامهم ، وان لهم الحق كل الحق ان يسألوه ويحاسبوه اذا استطاع ، ولم يفعل ، او عجز ولكن استأثر عليهم ، ولو بحبة خردل ، تماماً كما يحاسب رب العائلة اتجاه أهله واولاده ، وقد جاء في الحديث الشريف : ان السلطان العادل كالوالد رحيم » .

وكلام امـير المؤمنين صريح في ذلك ، فمن كتاب له الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة : « ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هـذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة ، ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له بالقرص ، ولا عهد له بالشبع ، ، او أبيت مبطاناً ، وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرى ! او أكون كما قال القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنه وحولك أكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال : امير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ؟! . »

واذا لم يقدر الحاكم نفسه بضعفة الناس من رعيته فقد تجاوز حده ، وخان مهمته ، واصبحوا في حل من بيعته ، وجاز لهم الخروج على حكمه

وسلطته .

ان المفكرين في هذا العصر يرون ان عــلى الدولة ان تضمن لكل واحد من رعاياها الحد الادنى من العيش ، وان تسلك كل سبيل وتتعاون مع كل هيئة ودولة تمدها بالعون لتحقيق هذه الغاية ، وبديهة ان العلم في عهد الامام لم يبلغ المرحلة التي بلغها الآن ، كي يحاول العمل عــلى تطبيق هذه الفكرة ، فلم يبق بالامكان الا تقسيم الخراج بالسوية ، وتقــدير نفسه باضعف الافراد .

ومن مظاهر عدل الامام ولطفه بالرعية انه كان يأخذ الضريبة من اهل كل صناعة من صناعتهم وعملهم ، ولا يحتم عليهم الدفع نقــداً ، فيأخذ الابر من صانع الابر ، وكذا المال والخيوط والحبال ، وما الى ذلك .

وبالاختصار ان مبدأ الامام في الحكم يبتني على اساس شعور الراعي بالمسؤولية تجاه رعيته ، سواء في ذلك العامل ورب العمل ، والتاجر والمستهلك والقادر والعاجز ، وهذا المبدأ ديني اسلامي مستقل بذاته ، ولا صلة له بأي نظام من الانظمة المعروفة بالاشتراكية او الشيوعية او الرأسمالية .

صلاة الامام

ان صلاتنا أشبه بمركب يتألف من كلمات وحركات ، ولا هدف لنا من ورائها الا ان نؤدي عملاً فرضه علينا الدين ، قال النبي (ص) : اقرأوا « كذا » ثم اركعوا واسجدوا ، ففعلنا كما أمر ، ورفعنا الايدي بالتكبير مفتتحين به « الصلاة » وختمناها بالسلام والتحيات علينا وعلى العباد الصالحين ، وهذا كل شيء .

وأي فرق بين صلاتنا هذه ، وبين من يعبد الله باضاءة الشموع ؟

وقد يخشع البعض في صلاته ، ويتجه بها الى الله سبحانه ، اما ان يشعر بانه واقف امام الله ، وبين يديه شعور من رأى بالعين ، ولمس باليد ، فلم نعهده الا من الأئمة الاطهار والصفوة من أتباعهم، لأنهم يعرفون الذي يقفون بين يديه معرفة لا ستر دونها ولا حجاب .

قال ابان بن تغلب للامام جعفر الصادق : اني رأيت على بن الحسين اذا قام في الصلاة تغير لونه . فقال الامام : والله ان علي بن الحسين كان يعرف من يقوم بين يديه .

وكل انسان اذا رأى عظيماً ملكته الرهبة والدهشة ، واستولى عليه الخوف والجزع . رأى اعرابي رسول الله ، فاهتز من أعماقه ، فقال له :

هون عليك ، انا ابن امرأة كانت تأكل القديد . وقال صاحب سفينة البحار في مادة « هيب » : ان فاطمة بنت رسول الله قالت : دخلت على ابي ، فما استطعت ان أكلمه من هيبته ، وان علياً قال : دخلت على رسول الله وكانت له هيبة وجلال ، فلما قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت ان أتكلم .

علي على شجاعته وجرأته يهاب الرسول ، وهو منه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة [1] وفاطمة تهاب اباها ، وهي بضعته ، وقد اعتادت عطفته وحنانه ، وما ذاك الا لجلال النبوة ، وهيبة الرسالة ، وقد روى الرواة ان امرأة أسقطت حملها من هيبة عمر بن الخطاب

والسبب الوحيد لهذا الخوف هو علم الخائف بعظمة من خافه وهاب منه ، قال بعض المؤلفين : « ان الخوف هو العلم وصدق المشاهدة ، فان أعطي العبد حقيقة العلم ، وصدق اليقين ، سمي خائفاً » ، ولا أحد أعلم بالله من أمير المؤمنين الذي قال : لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً ، وقال : اعبد الله كأنك تراه ، وقال له قائل : هل رأيت ربك ؟ فقال لم أعبد رباً لم أره .

وإذا عرفت ان الخوف هو المعرفة ، او ملازم له بنص الآية ٢٨ من فاطر : « انما يخشى الله من عباده العلماء » عرفت صحة ما روي من ان الامام كان في بعض عباداته ومناجاته يغشى عليه حتى يظن انه قد فارق الحياة ، وهذا الغشيان العميق لا يتنافى مع قوله مخاطباً ربه عز وجل :

---

(١) قال امير المؤمنين في خطبته المعروفة بالقاصعة : « ولقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره ، وانا ولد يضمني الى صدره ، ويكنفني الى فراشه ، ويشمني جسده ، ويشمني عرقه – أي رائحته – ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنه ، وماوجد لي كذبة في قول ؛ ولا خطلة في فعل .

« ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك » لانه ليس خوفاً من العقاب ، بل خشوعاً لهيبة الجلال ، وعلماً بعظمة المبدع ، وشكراً لنعمة المنعم .

وجاء في الحديث ان النبي (ص) كان اذا قام للصلاة تربد وجهه خوفاً من الله ، وكان لصدره أزيز كأزيز المرجل ، وفي حديث آخر : كأنه الثوب الملقى ، وفي حديث ثالث عن عائشة : كان رسول الله يحدثنا ونحدثه ، فاذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ، ولم نعرفه .

وعلم علي بالله سبحانه تماماً كعلم النبي لا يختلف عنه في شيء ، ومن هنا كانت حالتهما في الصلاة واحدة ، وقد تواتر الحديث ان محمداً وعلياً وخديجة اول من صلى في الاسلام ، قال ابو نعيم في حلية الأولياء : « ان قوله تعالى : واركعوا مع الراكعين نزلت في رسول الله وعلي خاصة ، وهما اول من صلى وركع » وفي سنن ابن ماجة وتفسير الثعلبي ان عليا صلى مع النبي مستخفياً سبع سنين واشهراً ، وفي تاريخ الطبري ان عليا قال : انا عبد الله وأخو رسول الله ، وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله سبع سنين [1] .

وقال المحب الطبري في كتاب « الرياض النظرة » ج ٢ ص ٢٠٨ وما بعدها طبعة ١٩٥٣ :

« قال ابن عباس : لعلي اربع خصال ليست لا حد غيره ، وذكر منها انه اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله .. وان عفيف الكندي قال : كنت امرءاً تاجراً ، فقدمت الحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ،

---

(١) انظر كتاب « مناقب آل ابي طالب) ص ٢٤٧ وما بعدها طبعة ايران لمحمد ابن شهراشوب توفي سنة ٥٨٨ هـ ، ودفن في ظاهر حلب فقد نقل الشيء الكثير في هذا الباب عن كتب السنة .

فوالله اني عنده بمنى اذ خرج رجل من خباء قريب ، وقام يصلي ، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء فصلت خلفه ، ثم خرج غلام فقام معه يصلي . فقلت للعباس : ما هذا ؟ قال : هذا محمد وامرأته خديجة وابن عمه علي . فقلت ما الذي يصنعون ؟ قال ان محمداً يزعم انـه نبي ، ولم يتبعه أحـد إلا امرأته وابن عمه . وأسلم عفيف بعد ذلك . وكان يقول آسفاً متحرقاً : لو كان رزقني الاسلام يومئذاك فأكون ثانيـاً مع علي بن ابي طالب »[1] .

واهدي الى رسول الله ناقتـان سمينتان ، فقال لاصحابه : من يصلي ركعتين لا يهتم بشيء من امر الدنيا ، ولا يحدث قلبه بفكر من افكارها اهديه احدى الناقتين ، فلم يجرأ احد الا الامام ، فقال له : انا يا رسول الله فقال له : قم وصل . فصلى الامام وحين التشهد خطر له أن يأخذ احسن الناقتين ، فينحرها ويتصدق بها لوجه الله ، وحين انتهى الامام من الصلاة اخبر النبي بذلك ، فقال له : هذا الفكر لله والآخرة ، لا للدنيـا ونفسك ، واعطاه الناقتين ، فنحرهما واطعمهما المعوزين .

قال العلامة الحلي في كتاب « نهج الحق » :

« بلغ في العبادة انه كان يؤخذ النشاب من جسده عند الصلاة ،لانقطاع نظره عن غير الله تعالى بالكلية ، وكان مولانا زين يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ، ويدعو بصحيفة ، ثم يرمي بها كالمتضجر ، ويقول : أنّى لي بعبادة علي ؟! وقال الامام الكاظم : ان قوله تعالى : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم مـن اثر السجود »

---

(١) نقل هذا باللفظ تارة وبالمعنى اخرى الطبري في تاريخه ، والثعلبي في تفسيره ، وابو يعلي الموصلي في مسنده ، وابن الاثير في اسد الغابة والنسائي في خصائصه والحاكم في مستدركه ، وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم وغيرهم .

نزلت في امير المؤمنين ، وكان في صفين مشتغلاً بالحرب ، وهو بين الصفين يراقب الشمس ، فقال ابن عباس : ليس هذا وقت صلاة ، ان عندنا لشغلا. فقال علي : فعلام نقاتلهم ؟ انما نقاتلهم على الصلاة » .

واستشهد الامام في فجر الجمعة ، وهو قائم يصلي بين يدي الله في مسجد الكوفة ، فجاء آخر حياته كأولها : ولد يوم الجمعة ، واستشهد يوم الجمعة ، واستقبل الحياة في الكعبة المشرفة حيث ولدته فيها امه ، وسقط على الارض وهو ساجد ، وضربه ابن ملجم ، وهو ساجد لله في بيت الله . ولم تكن هذه الكرامة لاحد قبله ، ولن تكون لانسان من بعده .

ولدته في حرم الاله وامنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
ما لف في خرق القوابل مثله الا ابن آمنة النبي محمد

الإمام والتنبؤات العلمية

ذكرت أحاديث وشواهد كثيرة على علم الامام في صفحات متفرقة من هذا الكتاب ، حسبما تطلبته المناسبات ، وتكلمت عن ذلك مطولاً في كتاب « علي والقرآن » بعنوان « المغيبات » . لذا لم يكن من قصدي الكلام عن علمه في فصل مستقل . وحين باشرت بطبع الكتاب شعرت بالحاجة الى كتابة هذا الفصل ، ذلك ان للامام تنبؤات تحتاج الى التفسير والتعليل .

لقد ذكر اصحاب التاريخ والسير تنبؤات كثيرة للامام ، ولكنهم لم يفرقوا بين أسبابها وأنواعها ، واعتبروها جميعاً من باب واحد ، وخلطوا بين معرفة الامام التي مصدرها القرآن الكريم ، والرسول العظيم ، وهي التي لا ترتقي العقول الى إدراكها مهما كانت درجتها من السمو ، لأنها غريبة عن الفكر ، ولا تتصل بأي شيء غير الوحي والغيب ، خلطوا بين هذه المعرفة ، وبين المعرفة التي مصدرها عظمة الامام وفكره الصافي النقي الذي سبق عصر التقدم ، واتفق مع حضارتنا ، ومع كل حضارة يصنعها الانسان ، ولو بعد الف عام .

لقد وثق علي بالانسان بعد ان نظر اليه من خلال النزعات الوقتية

العارضة ، وبعد ان عرف ما في طبيعته من قوى الخير ، والغرائز التي تؤهله لأن يسخر الكون بكامله ويجعله أطوع له من بنانه . قال في تحديد الانسان : « الانسان يشارك السبع الشداد » ، ومعنى هذا ان موهبته لا تقف عند حد الوضع الذي هو فيه ، بل تتعداه الى ما هو أرفع وأسمى بل والى مشاركة القمر والزهرة والمريخ وسائر الكواكب .

ولم يكتف الامام بهذا الاجمال ، فقد ضرب أمثلة على تقدم الانسان ورقيه ، فقال على لسان حفيده الامام جعفر الصادق : « يأتي على الناس زمان يسمع ويرى من في المشرق من في المغرب » ، اشار الى الراديو والتلفزيون . وقال مشيراً الى تقدم العلم في حقل الزراعة : سيأكل الانسان ثمرة الصيف في الشتاء ، وتحمل الشجرة مرتين في سنة واحدة ، وينتج الصاع مئة صاع . وقال عن المواصلات : تكون السنة كالشهر ، والشهر كالاسبوع ، والاسبوع كاليوم ، واليوم كالساعة . وقال : من العلماء من يضع علمه عند ذوي الثروة والشرف تماماً كعلماء هذا العصر الذين يستعبدهم أصحاب المؤسسات الحربية والاحتكارية حتى أصبحوا كجزء منها . وقال : ستزيد الخيرات ، حتى تصبح كالتراب ، وحتى تستوي الارزاق بين الناس ، ويكون الجميع على أحسن حال ، وفي أمن وأمان لا يظلم احد احداً ، ولا يخاف شيء من شيء ، ولا يراق محجمة دم[1] ولا غرابة في ذلك ما دام يمثل امنية الناس ، ورغبة كل انسان ؟؟ بل لقد تحققت انتصارات كثيرة للحق والحرية والسلم والتقدم العلمي ، اذن ميتحرر العلماء من رجال السياسة ، وتجار الحروب وتصدق نبوءة الامام في الأمن والأمان وعيش الهناء للجميع ، كما صدقت في

(١) تكلمت عن ذلك مطولا في كتاب « علي والقرآن » ، وذكرت المصادر التي يرجع تاريخها الى مئات السنين وبعضها الى اكثر من الف سنة .

غيرها ، لان من أصاب في معرفة الاسباب يصيب في معرفة النتائج لا محالة

ان لعظمة الامام مظاهر شتى تجلت في زهده وتضحيته ، وفي صلابته في دينه وعقيدته ، وفي شجاعته وبطولته ، وفي صبره وسيطرته على نفسه ، وفي علومه ومعارفه ، وقد تجلت هذه العظمة باظهر معانيهـا في ثقته بالانسان ، وبتعبير أصح ، في ثقته بعلم الانسان ، لان الانسان لولا العلم لكان تراباً يتحرك ، لا فرق بينه وبين سائر الحيوانات .

ومن اقواله في تقدير العلم كفى العلم شرفاً ان يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح اذا نسب اليه من ليس من اهله ، وكفى بالجهل خمولا ان يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب اذا نسب اليه . وقال : العلم اكثر من ان يحصى ما حوى العلم جميعاً احد ولو مارسه الف سنة .. اعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمه . وبعد علي بقرون ادرك المفكرون هذه الحقيقة ، وتبادلوا المعلومات ، وعقدوا المعاهدات الثقافية . وقال : لو جمعت الدنيـا في لقمة واحدة ، واعطيت لطالب العلم لكانت دون حقه . ومن هنـا رأينا الدول في الشعوب المتقدمـة تفضل العلماء ، وتقدمهم على جميع الفئات بعكس الدول المتخلفة التي تعظم الجهال من اهل الثراء والانساب ، ومحال ان يحس هذا الاحساس العميق بعظمة العلم الا « من كان في صدره عـلم جم .. والا من فتح له الف باب من علم ما كان ويكون .. والا من كان عنده اصدق العلوم وفصل الخطاب » .

وآية الاعجاز في عظمة الامام ان يقدر العلم هذا التقدير ، ويخبر عن نتائجه وثمراته التي تحصل بعد مئات السنين ، وهو يعيش في عصر أبعد ما يكون من الوعي والعلم ، في عصر لا شيء فيه غير الوثنية والبداوة .

وقال يصف الارض: انشأ الارض فامسكها من غير اشتغال ، وارساها

على غير قرار ، واقامها بغير قوائم ، ورفعها بغير دعائم . قال هـذا حين كان الناس يعتقدون انها قائمة على قرن الثور ، ولم يدركوا هذه الحقيقة الا بعد مئات السنين .

قرأت فيما قرأت كتيباً جديداً ، اسمه « النشاط العملي » اشاد فيه المؤلف بالتجربة ، وجعلها السبيل الوحيد لتقدم العلوم ، ومضي الانسان في طريق الاختبار والعمل المثمر ، لأن العالم اذا حدثت له فكرة ، وامتحن صحتها بالتجربة ، تولد من تجربته فكرة ثانية لم تكن في حسبانه ، ولدى امتحان الثانية تتولد الثالثة ، وهكذا الى ما لا نهاية ، وقد لخص الامام هذه الحقيقة بقوله : « في التجارب علم مستأنف » اي ان التجربة ليست سبباً للعلم ، وكفى ، بل تنتقل بصاحبهـا من علم الى علم ، واذا حصر الفلاسفـة التجريبون سبب المعرفة بالتجربة فان الامام قد ربط بين النظريات الحديثة وبين التجارب ، وهذا ما اثبته الحس والعيان .

وبالتالي ، فلا مصدر لهـذه الافكار الا اشعاع العقل الذي تغلب على المحيط والبيئة ، ولا اثر فيه لشيء الا ذات الامام ، وعظمته التي تخطت حدود الزمان والمكان . ان علي بن ابي طالب لم يسبق عصره فحسب ، بل وعصرنا ايضاً ، ان عصر علي هو العصر الذي يكون الانتـاج فيه كالماء والهواء ، هو العصر الذي لا ظلم فيه ، ولا استعمار ولا اقطاع ولا جوع ولا جهل ، ولا شيء يكدر صفو الحياة في شرق الارض وغربها .

الحمزة اسد الله واسد رسوله

قبل البعثة

نزل الوحي على رسول الله (ص) بعد ان بلغ سن الاربعين ، وامضى حياته قبل البعثة بين قوم مشركين يعبدون الاصنام ، تسيطر عليهم اخلاق الجاهلية الجهلاء وعاداتهم ، ولكن محمد رفض بفطرته الاعتراف بآلهتهم منذ حداثته ، وسمى باخلاقه عن اخلاقهم وبعاداته عن عاداتهم ، بل جاهر ببغضه واعراضه عن اللات والغزى ، قال له بعض المشركين : اسألك بحق اللات والعزى الا اخبرتني عما اسألك . فقال له : لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما بغضت شيئاً بغضهما . وكان بينه وبين رجل نزاع على شيء فقال له الرجل : احلف باللات والعزى . فقال له : ما حلفت بهما قط ، واني اغرض عنهما .

وتركه المشركون وشأنه ، ولم يضايقوه في شيء ، فلم يطلبوا منه ان يسجد لصنم ، او يضحي له ، او يحضر معهم الاحتفالات الدينية ، بل احترموه واكرموه ، واسموه الصادق الامين ، واحتكموا اليه في بعض خصوماتهم ، وبعد ان نزل عليه الوحي عارضوه وحاربوه ، ذلك انه لم يتركهم وشأنهم ، كما تركوه وشأنه ، بل لعنهم ولعن آباءهم وآلهتهم ،

ووصفهم بالصم البكم وقال فيهم : أنتم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم .

وقد يتساءل : لماذا لم يترك النبي المشركين ودينهم كما تركوه من قبل ؟. ثم كيف يقول لهم : انتم الضالون المضلون ، وانا وحدي الصالح المصلح ، وهو يعلم بان فيهم العدة والعدد ، ولهم الحول والطول ، وهو فقير اعزل ؟.

الجواب

ان محمد (ص) صاحب رسالة الهية ، ومبادىء انسانية يبغي تنفيذها والعمل بها بكل ثمن ، فهو مكلف من الله سبحانه بأن ينقل الناس من الضلال ، ويهديهم سواء السبيل ، ويحملهم على الحق والعدل ، ويطهرهم من الشرك والجهل والفساد ، ولو سكت واعتزلهم وما يعبدون لكان عابداً كغيره من العباد ، لقد دعاهم النبي الى الحق ، وهو على يقين انهم سيغضبون ويثورون ، ويحاولون القضاء على حياته بكل سبيل ، ولكنه لم يعبأ لانه علي يقين من أمره اجل ، ان دعوته قد أثارت الحروب واراقت الدماء ، وكلفته حياة عمه الحمزة وابن عمه جعفر الطيار ومئات المخلصين من اصحابه ، ومع ذلك فان دينه دين الرحمة والسلام ، والامن والامان ، فلقد دعاهم الى الله بالحسنى ، فاصروا على الضلال ، ودعوه بدورهم الى السكوت ، فاصر علي دعوته ، ولما عجزوا عن اقناعه واستسلامه اعلنوا عليه الحرب .

ولماذا يسكت عن الباطل ؟. أحباً بالسلم وحقنا للدماء ؟. وهل في مسالمة الظلم واهله ، والفساد ومعدنه شيء من الخير ؟ وهل كل سلم

مرغوب فيه ، حتى ولو ادى الى استبداد الطاغية بالجماعات ، وانتهاك الحرمات ؟. وليس من شك ان في حقن الدماء خيراً كثيراً ، ولكن على ان لا يؤدي الى ما هو اشد ضرراً ، واسوأ اثراً ، لقد طلب المشركون السكوت من الرسول ثمناً لسكوتهم عنه ، ولكن هـذا السكوت مسالمة للشيطان والطغيان ، لذا اصر النبي عـلى دعوة الحق ، دون ان يعلن الحرب ويشهر السلاح ، فاعلنها عليه اعداء الحق ، وشهروا في وجهه السلاح ، فتقبلها صابراً محتسباً ، وقد ازعجهم هذا الصبر والثبات الذي حقق له النصر والغلبة في نهاية المطاف .

بعد البعثة

لم يستطع المشركون ان يعتدوا على حياة النبي ، وابو طالب حي ، فتعمدوا أذاه ، والاساءة اليه ، وصده عن إداء رسالته بشتى الوسائل غير القتل ، منها انه كان يصلي يوماً في حرم الله ، فقام رجلان عن يمينه يصفران ، ورجلان عن يساره يصفقان ، ومنها انهم ألقوا عليه الفرث والدم ، ومنها انهم كانوا يغرون به صغارهم وسفاءهم ، يرمونه بالحجار ، وهو مار في طريقه ، فكان يخرج معه علياً ، ليردهم عنه . ومن الطريف ان ابا جهل رأى النبي يصلي عند المقام فقال له : ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده . وفي كل عصر يوجد اناس على مبـدأ ابي جهل يرون امرهم ونهيهم فوق امر الله ونهيه ، وهم لا يشعرون .

ولأبي جهل مع النبي مواقف كثيرة ، فقـد كان مولعاً بأذاه والنيل منه . من تلك المواقف ان النبي كان جالساً عند الصفا ، فلما لقيه ابو جهل اسمعه بغض ما يكره ، فانصرف النبي ولم يكلمه ، وكان

الحمزة بن عبد المطلب في الصيد ، وحين عاد من قنصه متوشحاً سيفه ، لقيته امرأة ، واخبرته بما كان من ابي جهل ، وقالت له : يا ابا عمارة لو رأيت ما لقي ابن اخيك منه . فامتلأ الحمزة غضباً ، وانطلق مسرعاً يبحث عن ابي جهل ، فوجده جالساً بين قومه ، فأقبل نحوه ، حتى اذا قام على رأسه رفع القوس وضربه بها ، فشجه شجة منكرة ، وقال له : رد علي ان استطعت ، فتقبلها ابو جهل صاغراً ، ولم يحرك ساكناً .

قال محمد حسين هيكل في كتاب « منزل الوحي » ص ٥٦٣ الطبعة الثانية :

« ولا يقولن احد ان النعرة العصبية او العزة العربية هي التي دفعت الحمزة الى ما صنع .. لكنه الايمان امتلئت به نفس الحمزة هو الذي دفعه الى ما صنع ، وهــل مثل الحمزة في بسالته واستهانته بالموت من يقول لأبي جهل ، وهو من هو مكانة في قومه بعـــد ان شجه لسبه محمداً : أتسبه وانا على دينه أقول ما يقول ، الا ان يكون صادق الايمـــان ، بلغ من امتثال قلبه رسالة الله الى نبيه ألا يطيق التعريض به ؟. ومن يومئذ وهب الحمزة حياته لله وللدفاع عن دينه ، لانه أيقن ان هذا الدين هو المثل الأعلى الذي توهب الحياة في سبيله » .

بابي طالب شيخ الابطح ، وبعلي سيف الله ، وبالحمزة اسد الله واسد رسوله ، كفى الله نبيه كيد المشركين في مكة ، وهزمت الوثنية وانتصر الاسلام ، والعجب العجاب انه لم يذكر في كتب السنة ، ولا في غيرها ان أحداً ناصر الرسول في هذا الدور غير علي وأبيه وعمه الحمزة ، ومع ذلك يقول من يدعي الاسلام : ان ابا طالب مات كافراً ، وان فلانا افضل من علي والحمزة ؟.. ولا بدع فان الذين يقدرون الكفــاح في سبيل الله هم اهل المعرفة والتقوى ، اما اهــل الجهل والهوس فبينهم وبين الحق

حجاب .

وقد يقول من لا يرى ابعد من انفه : ان موقف ابي طالب وابنه واخيه في هذه الفترة من حياة النبي ليس شيئاً ذا بال ، اما العارف المنصف ، اما الذي يقدر الأشياء حق قدرها ، وينظر الى آثارها ونتائجها فيرى ان موقفهم يومئذ مع الرسول كان حجر الاساس لصرح الاسلام وحياته وانتشاره ، ان الاشياء لا تقاس بلحظات حدوثها المحدودة ، بل بآثارها من البداية الى النهاية ؛ وحماية ابي طالب للنبي ، ومحافظته على حياته تمتد آثارها حيث يمتد الاسلام ، وتبقى ببقائه الى يوم الله الذي لا اله سواه .

من هو الحمزة ؟

لما افتدى عبد المطلب ابنه عبد الله بمئة من الابل فكر في تزويجه ، وكان عبد المطلب يومئذ في السبعين من عمره ، فخرج بعبد الله ، حتى اتى به منزل بني زهرة ، وخطب آمنة بنت وهب الى ابيها زوجة لابنه عبد الله ، وخطب ابنة عمها هالة زوجة لنفسه ، وولدت آمنة محمداً ،وولدت هالة الحمزة ، وارضعتهما مرضعة واحدة ، فالحمزة عم النبي واخوه من الرضاعة ، وشب محمد يهيئه الله لما اراد من رسالته ، وشب الحمزة فتى ابياً قوياً رضي الخلق ، وسيم الطلعة ، مفتول العضل ، محباً للقنص يخرج في الفلاة فاذا عاد من الصيد لم يرجع الى اهله ، حتى يطوف بالكعبة ، ثم لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم ، وتحدث مع من فيه ، وكانوا جميعاً يحبونه ويهابونه أن كان اعز قريش واشدها شكيمة » [1]

(١) منزل الوحي لمحمد حسين هيكل .

وفي ذات يوم ، والنبي جالس في بعض الدور مع المسلمين ، ومن بينهم الحمزة ، واذا بالباب يطرق ، فقام احد الجالسين ، ونظر ثم عـــاد ، وهو يقول : هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف ، ولم يكن قد اسلم بعـــد . فقال الحمزة : ائذن له ، فان اراد خيراً بذلناه له ، وان اراد شراً قتلنـــاه بسيفه . ولما هاجر النبي الى المدينة ، وآخى فيهـــا بين المهاجرين والانصار آخى بين الحمزة وزيد بن حارثة مولى رسول الله .

وفي كتاب « ذخائر العقبى » للمحب الطبري ص ١٧٦ طبعة ١٣٥٦ هـ ان النبي قال : « والذي نفسي بيده انـــه مكتوب عند الله عز وجل في السماء السابعة حمزة بن عبـــد المطلب اسد الله واسد رسوله .. خير اعمامي حمزة .. سيد الشهداء يوم القيامة حمزة » . وكان حمزة اول من بعثه النبي على رأس اول سرية قامت من المدينة لمناوأة قريش ، فقد عقد له النبي الراية على ثلاثين فارساً من المهاجرين .

ويوم بدر خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه الوليد ، فخرج اليهم الحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقتل الحمزة شيبة ، وقتل علي الوليد ، ثم اعانا عبيدة على قتل عتبة ، وغاص الحمزة في قلب المعركة يقلب اليمـــين على الشمال ، يقط الرقاب ، ويطيح بالرؤوس . وفعل يوم أُحد كمـــا فعل يوم بدر ، وكان يمسك سيفاً بيمينه ، وآخر بيساره ، وقتل فيمن قتل سباع بن عبد العزى ، وارطاة بن شرحبيل ، وانه لفي الغمار يقتل مقبـــلاً ومدبراً اذ عثر عثرة فوقع على ظهره ، وانكشف درعه عن بطنه ، فانتهز وحشي الفرصة ، فرمـــاه بحربة فوقعت في ثنته ، وخرجت من بين رجليه ، واقبلت هند ام معاوية وجدة يزيد ، فجدعت انفـــه ، وقطعت اذنيـــه ، وشقت بطنه ، واخرجت كبده تمضغهـــا وتلوكها تشفياً ، وارادت ان تبتلعها فلم تستطع ، وجاء زوجها ابو سفيان

وضرب شدق الحمزة بزج الرمح ، واقتدى يزيد بجـده حين رأى رأس الحسين (ع) ، ولله در الشاعر الكبير الاستاذ بولس سلامة حيث يصف هذا الموقف المجزي من ابي سفيان وزوجته هند :

اعملت ذئبة النساء بكبد الليـ ث نابا لعل تشفي الغليلا
فرت الكبد من فم العهر فر البـ كر من غاصب لتبقى بتولا
فدعهيـا للـدود اطهر نفساً منك يا هند واتركي المأكولا
زوجك الذئب ليس ارفع خلقاً والخسيس المرذول يهوى الرذيلا
شامتـاً مر بالشهيـد طروباً كالعريس السكير عب الشمولا
طاعنا بالقتيـل شدق قتيـل صار شيئاً مهشماً مجهولا
يرهب الهر زبدة الليث حيـاً ويبـاهي بنهشه مقتولا
اوليس السرحان جـد يزيـد اورث الولد طبعه في الهيولى

وان هذه الظاهرة من ابي سفيان وزوجته هند ، ومن حفيده يزيـد من بعده تعطي ضوءاً ساطعاً على روح الامويين وطبيعتهم ومقاصدهم . قد يوجد في العرب لصوص وقتلة ومجرمون ، اما هذه الخسة والضعة ، اما هذه القسوة والغلظة فنادرة جداً الا في امية وشيعة امية .

وبالتالي ، فأين الذين يتغنون بأمية وعروبتها وامجادها عن هذه المخازي والاوباء ؟!. اين هم عن هذه الحقارة والنذالة والحقد والضغينة ؟! ولماذا يبررون ، بل يفخرون باعمـال الفجار والاشرار ؟! ولمـاذا لا يدرسون التاريخ ، ويواجهون الحقائق بتجرد ؟! ومحال ان تكون آراؤنا على صواب في تفسير التاريخ وغيره اذا آمنا بها مسبقاً وقبل البحث والنظر ، كما فعل الحفناوي ومحب الدين الخطيب والجبهان واضرابهم ، اما نحن فقد

درسنا القرآن والسنّة والكتاب ، وآمنا ايماناً عن فهم وعلم بأن طعنة ابي سفيان لأسد الله واسد رسوله هي طعنة للاسلام بالذات ، وان حماية ابي طالب للنبي هي حمايـة للاسلام بالذات ، وان مـن والى ابا سفيـان او عده من المسلمين المتقين ، وعادى ابا طالب ، او أخرجه من زمرة الاسلام فهو عـدو لله ورسوله وجميع الانبيـاء والمرسلين وملائكة الله المقربين [1] .

(١) كان للحمزة ولدان عمارة ويعلي ، ولم يعقب عمارة ، ورزق يعلي خمسة اولاد ذكور ماتو كلهم من غير عقب (ذخائر العقبى للمحب الطبري) وفي الجزء السادس من البحار ان اعمام النبي تسعة : الحرث والزبير وابو طالب والحمزة والغيداق وضرار والمقوم وابو لهب والعباس ، ولم يعقب منهم الا اربعة : الحرث وابو طالب والعباس وابو لهب ويقوى في الظن ان ابناء الحرث والغباس وابي لهب قد نسبوا انفسهم الى الحسن والحسين لينالوا شرف النسبة الى الرسول ، والا فأين هم الان ، وغير بعيد ان يكونوا مع هؤلاء السادة الكثر الذين يدعون بكاملهم الانتساب الى خاتم الانبياء (ص) .

الغدر

حب السلطة

مهما اختلف المسلمون ، وتعددت فرقهم ومذاهبهم فانهم متفقون كلمة واحدة على اتباع القرآن ، وما ثبت عن الرسول الاعظم (ص) وانهما الحجة القاطعة لكل حجة ، وأن أي عالم مهما سمت مكانته لا يؤخذ كدليل ، بل يطالب هو بالدليل على اقواله ، وينظر اليها كدعوى تحتاج الى بينة ، اما القرآن وسنة الرسول فكل منهما دليل قاطع ، وحجة بالغة بنفسها .

ويحاول اليوم رجال من السنة والشيعة ان يحصروا الاختلاف بين المسلمين في تفسير لفظ او صحة سند ، ومثل هذا الاختلاف حاصل بين الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ، وبين فقهاء الشيعة ايضاً بعضهم مع بعض ، وعليه يكون الاختلاف عرضياً لا جوهرياً ، وفي الفروع لا في الأصول .

ويصح هذا القول لو كانت الاختلافات كلها من نوع ما حصل في

تفسير الآية ٦ من سورة المائدة : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم ، وارجلكم الى الكعبين » ، حيث اوجب الشيعة مسح الارجل عطفاً على الروؤس ، وأوجب السنة غسلها عطفاً على الأيدي ، اما اذا كان الاختلاف من نوع آخر ، كالذي وقع في تفسير لفظة الولاية من الحديث المتواتر : « من كنت مولاه فعلي مولاه » حيث ذهب السنة في تفسير الولاية الى انها الحب والمودة ، وذهب الشيعة الى انها الحكم والسلطان ، اما اذا كان الاختلاف من هذا النوع فهو جوهري لا عرضي ، وفي اللباب لا في القشور .

وعلى أية حال ، فان الاهم ان نبحث عن الاسباب والدوافع التي بعثت « اولئك » على تفسير لفظ الولاية بالحب لا بالحكم وتفسير لفظ الوصي من قول النبي لعلي : « انت وصي » بالوصاية بالعلم والهداية ، او بالتجهيز والصلاة ، وتفسير لفظ : « انت خليفتي » بأنه الخليفة الرابع لا الاول ، وتفسير « انت مني بمنزلة هارون من موسى » بأنه ارضاء لعلي وتطييب لقلبه .

والذي يظهر للباحث المتأمل ان السبب الاول لهذا التكلف والتعسف، هو الظلم والبغي على امير المؤمنين ، ولو انصفوه وابقوا اللفظ على دلالته الظاهرة لكان المسلمون جميعاً على ما كانوا عليه في عهد الرسول امة واحدة الى يوم يبعثون ، ولكنهم حرفوا كلام الله والرسول عن مواضعه ظلماً وعدواناً ، فتفرقوا من جراء هذا التحريف شيعا واحزابا ، قال تعال في الآية ١٣ من سورة الشورى : وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم » . قال الرازي في تفسيره الكبير : ما تفرقوا إلا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلالة ، ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرئاسة » .

ركلنا يعلم ان الذين طلبوا الرئاسة هم الذين ترأسوا بالفعل ، أما علي فقد سكت خشية أن يتسع الخرق ، وتكلمنا عن ذلك مفصلا في كتاب « الشيعة والحاكمون » وقد دل تاريخ علي وسيرته ان الدنيا عنده احقر من ورقة في فم جرادة تقضمها ، وأهون عليه من رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، ومن أجل هذا اختاره الله والرسول للخلافة ، وانتخبته الطبيعة لهذا المنصب ، لأن من يحرس حقوق الناس ونصيبهم من هذه الحياة يجب ان يكون منزهاً عن اغراضها واهوائها ، بل معصوماً عن ذنوبها واخطائها ، تماماً كعلي بن ابي طالب ، أما الذين اغتصبوا هذا الحق الالهي الطبيعي ، فهم الذين تكالبوا على حب السلطة ، وآثروها على طاعة الله والرسول ، ومزقوا من اجلها المسلمين شر تمزيق ، وتركوهم يعانون ادواء هذه التفرقة الى اليوم ، والى آخر يوم .

قال رسل الفيلسوف الانكليزي الشهير المعاصر : « لا نكون على صواب في تفسير التاريخ القديم منه والحديث على السواء الا حين ندرك ان السبب الكامن وراء النشاطات المهمة في امور المجتمع انما هو حب السلطة » ومن اجل حب السلطة غدروا بعلي ، ومن غدرهم هذا تولدت الاحداث المهمة في العالم الاسلامي ، قال الحاكم في المستدرك : ان النبي قال لعلي ان الامة ستغدر بك بعدي .. وقال له ايضاً : ستلقى بعدي جهدا [1] .

بين القرآن الكريم ان السبب لتفريق كلمة المسلمين هو الظلم والبغي ، وفسر الحديث النبوي هذا البغي بالغدر بعلي ، فالنتيجة الحتمية ان الغدر بعلي كان السبب لشتات المسلمين فرقا واحزابا .

---

(١) انظر دلائل الصدق للمظفر ــ ج ٣ ص ٤٨ ، واعيان الشيعة للامين ــ ج ٣ للقسم الاول ص ١٠٦ طبعة ثالثة ، والكتابان ينقلان عن كتب السنة .

التحذير من العواقب

وقد ادرك هذه الحقيقة ، واعلنها ، وحذر من عواقبها الصحابي الجليل عمار بن ياسر ، فقال حين بويع عثمان : يامعشر قريش اذا اردتم ان لا يختلف المسلمون فولوا علياً .. يامعشر قريش إن تصرفوا هـذا الامر عن بيت نبيكم ، وتحولوه ها هنا مرة ، وها هنا مرة فما انا بآمن ان ينزعه الله منكم ، ويضعه في غيركم ، كما نزعتموه من اهله ، ووضعتموه في غير اهله » [1]

وصدقت نبوءة ابي اليقظان ، فتنـازع المسلمون فيما بينهم ، وفشلوا وذهبت ريحهم وهيبتهم ، ثم انتزع السلطان الترك والديـلم من قريش ، وانتزعه الافرنج من الترك والديلم ، وضربت الذلة على المسلمين ، والسبب الاول والاخير اغتصاب الحق من اهله ، ووضعه في غير محله .

ومن الخير ان ننقل حواراً بين المقداد بن الاسود الكندي ، وبـين عبدالله بن ربيعـة بن المغيرة يوم بويع عثمان ، لانه يلقي ضوءاً ساطعاً على هذه الحقيقة ، قال المقداد لقريش : اذا بايعتم علياً سمعنا واطعنا ، واذا بايعتم عثمان سمعنا وعصينا .

فقال عبدالله : اذا بايعتم عثمان سمعنا واطعنـا ، واذا بايعتم علياً سمعنا وعصينا .

ويدلنا هذا الحوار على ان الصراع بين قريش وعلي كان صراعاً بين مصالح الارستقراطيات التي يمثلها عثمان ، ومصالح الجماعات التي يمثلهـا

---

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٩ طبعة سنة ١٩٥٢ . والكشكول فيما جرى على آل الرسول ص ١٦٨ .

علي ، صراع بين قريش التي تريد الحكم لحمايـة مصالحها وامتيازاتها ، وبين مصالح المسلمين طلاب الحق والعدل ، ولم تجد قريش في اخلاق علي ما تتذرع به لابعاده عن الحكم ، فكل صفاتـه تؤهله لامرة المؤمنين ، فجاهرت علناً بهذا العـداء ، تارة على لسان هشام بن المغيرة الذي قال لعمار بن ياسر حين دعا الى مبايعة الامام : « مـا انت وثارات قريش لانفسها » [1] واخرى على لسان الخليفة الثاني .

قال عمر لابن عباس : ما اظن صاحبك الا مظلوما .

قال ابن عباس : ما يمنعك من رد ظلامته ؟!

قال عمر : ان القوم استصغروا سنه ..

قال ابن عبـاس : ولكن الله لم يستصغر سنه حين امره ان يأخذ سورة براءة من ابي بكر .

قال عمر : ان قريشاً تبغضه .

قال ابن عباس : على من نقمت قريش ؟ هل نقمت على الله ، وقد امر نبيه بقتالها ، ام على النبي حين امر علياً بقتالها ، ام على علي حين اطاع الله والرسول ؟!.

فالتفت عمر الى ابن عباس ومشى [2]

اعترف الخليفة الثاني بأن قريشاً تبغض علياً ، ولم يشر الى سبب هذا البغض ، فصارحه ابن عباس بأن نقمة قريش على الامـام الذي قاتلها على الاسلام ، تمامـاً كنقمتها على النبي الذي قاتلها بأمر الله عز وجل على الاسلام ، نقموا على علي ، لا لشيء إلا لأنـه أرادهم

(١) كتاب « الكشكول فيما جرى على آل الرسول » لحيدر الحسيني الاملي ص ١٦٨ .

«٢» المصدر السابق ص ١٧١ .

للحق والعدل والخير العام ، وأرادوه للاطماع والسلب والنهب ، فمن اقواله في نهج البلاغة : « اني اريدكم لله ، وانتم تريدونني لأنفسكم ، ايها الناس اعينوني على أنفسكم ، ولايم الله لانصفن المظلوم من ظالميه ، ولاقودن الظالم بخزامته ، حتى اورده منهل الحق ، وان كان كارها »

وقال النبي (ص) « علي يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الظلمة » وليس من شك أن معاوية أظهر افراد الظلمة لانه اشترى دين الرجال وضمائرهم ، ليوطد ملكه ، ويمهد لولده يزيد نقل الحاكم في المستدرك عن أبي قيس الأودي انه قال : « ادركت الناس ثلاث طبقات : أهل دين يحبون علياً ، وأهل دنيا يحبون معاوية ، وخوارج » وما زال اهل الدين والحق حتى اليوم يحبون علياً ، ويكرهون معاوية ، وسيبقى علي محلا للتقديس والتعظيم ، ومعاوية محلا للاحتقار والهوان الى آخر يوم .

سفينة النجاة

جاء في الحديث أن رسول الله اخبر علياً بما يلقى بعده ، فقال له علي : ادعو الله أن يقبضني اليه . فقال : يا علي تسألني ان ادعو الله لأجل مؤجل وتواترت الاحاديث من السنه والشيعة على ان النبي اخبر بجميع ما تحدثه الامة من بعده حادثة حادثة ، بخاصة ما وقع على اهله ، وبين انهم سفينة النجاة ، والفارق بين الحق والباطل ، وبين حزب الله وحزب الشيطان ، نقل المظفر في الجزء الثاني من كتاب دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٨ عن كتب السنة ان النبي قال : « ستكون فتنة ، فمن ادركها فعليه بالقرآن وعلي بن أبي طالب ... انه أول من آمن بي ، وأول من يصافحني ، وهو فاروق هذه الأمة ويعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة ، وهو الصديق الاكبر ، وهو خليفتي من بعدي » وفي القسم الثاني من الجزء الثالث من أعيان الشيعة للامين ص ١٠٦ طبعة

ثالثة . ان الحاكم في مستدرك ، والسيوطي في الدر المنثور قالا : ان النبي حين نزلت هذه الآية : « انما أنت منذر ، ولكل قوم هاد » وضع يده على صدر علي ، وقال : انا المنذر وانت الهادي ، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي » .

ولم يكتف النبي بهذا الحديث ، بل ذكر جميع ما جرى على أهل بيته من بعده حادثة حادثة ، ونبه على انهم الحق في جميع الحالات ، وان المعتدي عليهم هو الآثم الظالم ، قال للزبير : لتقاتلن علياً ، وانت له ظالم ، ونهى عائشة عن الخروج ، وذكرها بالجمل الاحمر وكلاب حوأب ، وقال مشيراً الى القاسطين والمارقين والناكثين الذين حاربوا علياً : « حرب علي حربي ، وسلمه سلمي » وعبر عن معاوية ومن معه بالفئة الباغية ، وعلم أن ابن آكلة الاكباد سيسب علياً ، فقال : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، بل اسس قاعدة كلية ، واصلا عاملا بقوله : « يا علي لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق « حيث جعل حب علي معياراً في قياس الايمان ، وبغضه معياراً في قياس النفاق ، وفي احاديث أخر : علي مع الحق والحق مع علي .. علي مع القرآن والقرآن مع علي ... علي مني ، وانا من علي وهو ولي كل مؤمن من بعدي » وما إلى ذلك من النصوص الصحيحة الثابتة عند السنة والشيعة .

ومن اعاجيب المزاعم والتمحلات أن يقول قائل بأن معاوية أجتهد في شق عصا المسلمين والخروج على أمير المؤمنين ، وسبه على المنابر ! ..

الجواب

اولا : انه اجتهاد في قبال النص ، فان قول الرسول : الحق مع

علي يدور معه كيفما دار ، وقوله : لا يبغضك إلا منـــافق ، وقوله : حرب علي حربي لا يقبل التأويل والتفسير ، ومخالفته نفـــاق وفساد لا تأويل واجتهاد . ثم هل اجتهد معاوية في دس السم بالعسل ، واغتيال الحسن والاشتر وعبد الرحمن بن خالد ؟! وهل اجتهد في إلحاق زياد بابي سفيان ، والنبي يقول : للعاهر الحجر ؟! ومن هنا قال الفقهاء : إن زياد اول دعي في الاسلام . وهل اجتهد في الاحتيال على عبد الله بن سلام وحرمانه من زوجته ؟! وهل اجتهد في اعطاء مصر واهلها لابن العاص طعمة ؟! وهل اجتهد في شراء ضمائر الناس ودينهم ليبايعوا ولده يزيد الكافر الفاجر ؟! واذا اجتهد معاوية وتأول في كل ذلك فابو جهل وأبو لهب وسائر المشركين الذين حاربوا الرسول في بدر وأحـــد والاحزاب اجتهدوا وتأولوا !..

ثانيـــاً : ان الذين اعتذروا عن معـــاوية قد صرحوا في كتبهم الفقهية بانه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر ، بل يجب الصبر عـــلى جوره حقنا للدماء ، ومع ذلك فقد اجازوا لمعاوية ان يخرج على الامام العادل ، حتى قُتل بسبب فتنته سبعون الفاً او أكثر في حرب صفين ، وعليه وحده تقع اوزار دمائهم وتبعاتهم . قال عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب « صيد الخاطر » ص ٣٨٥ : لا يختلف العلماء ان علياً رضي الله عنه لم يقاتل احداً إلا والحق مع علي كيف وقد قال رسول الله (ص) اللهم أدر الحق معه كيفما دار » .

واختم هذا الفصل بكلمة للامام عثرت عليها ، وأنا ابحث وانقب في المصادر ، وهي « ما اختلفت امة بعد نبيها الا ظهر أهل باطلها عـــلى اهل حقها الا ما شاء الله » .

وإذا سألني سائل عن السر والحكمة لظهور الاشرار على الاخيار في مثل هذه الحال فلا جواب لدي الا أن أقول : « الله اعلم » مع الايمان بحكمة الخالق عز وجل . واذا كنت على يقين من عقل رجل وتدبيره ، ثم رأيته يهدم داره بعد أن اتم بناءها ، فليس لك أن تقول بانه مجنون ، وانت تجهل سر البناء والهدم ، فان الحكيم لا يعبث ، وان غابت عنك حكمته .

نهج البلاغة

قال اعداء محمد (ص) وجاحدو رسالته ونبوته : ان القرآن من وضعه ، لا من وحي الخالق جل وعلا .

وقال اعداء علي وجاحدو امامته وولايته : ان نهج البلاغة ـ كله او جله ـ من تأليف الشريف الرضي ، لا من أقوال الامام (ع) .

الجواب

ان كتاب نهج البلاغة يختلف عن هذه الكتب التي يضع المؤلف تصميمها ، ثم يباشر بالتأليف والكتابة ، انه مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ قالها الامام تبعاً للظروف والمناسبات ، فمنها ما كان اجوبة عن اسئلة ، ومنها خطاب لاهل العراق الذين قاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين ، ومنها في عظمة الاسلام ونبيه ، ومنها وصايا لارحامه وأصحابه ، ومنها في وصف الجنة والنار ، ومنها نفثة مصدور ،

الى غير ذلك [1] .

فهل تتبع الشريف الرضي كل هذه الحوادث والمناسبات ، وأحصاها حادثة حادثة ، ووضع لكل منها خطبة تلائمهـا !!. وكيف استطاع ان يتقمص روح الامام التي يستحيل على انسان ان يجاريها او يقلدها ، لانها روح النبي بالذات ؟! كيف استطاع ان يتجاوب مع الذات العلوية باحساسها ومشاعرها ، ويرسم شخصيتها وعظمتها ، من قريب وبعيد ؟! كيف استطاع ان يجرد من نفسه بابا لعلم مدينة الرسول ، وللنبأ العظيم الذي شغل وسيشغل الناس اجيالا واجيالا .

ان كل كلمة من كلمات نهج البلاغة تعكس في وضوح روح الامام وعلمه وعظمته في دينه وجميع صفات الجلال والكمال ، ولو لم يحمل نهج البلاغة اسم الامـام ، ثم قرأه عارف بسيرته وشخصيته لا يتردد في القول بانه كلام الامام من ألفه الى يائه [2] .

ومما تذرع به الزاعمون بان نهج البلاغة كله او بعضه مدسوس ومنحول ، ان فيه معاني واصطلاحات كلامية وفلسفية ، مع ان الفلسفة كانت مجهولة عند المسلمين في عهد الامام ! . .

---

(١) جاء في آخر مقدمة الامام محمد عبده : « جمع الكتاب ما يمكن ان يعرض للكاتب والخاطب من اغراض الكلام ، فيه الترغيب والتنفير ، والسياسات ، والجدليات ، والحقوق واصول المدنية وقواعد العدالة ، والنصائح والمواعظ ، فلا يطلب الطالب طلبة الا ويرى فيه افضلها ، ولا تختلج فكرة الا وجد فيه ا كملها .

(٢) قال الاستاذ الهنداوي في كتاب « مع الامام علي » ص ٢٠٠ : « لا نكاد نرى كتاباً انفرد بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة والاسلوب الواحد ، كما نراه في نهج البلاغة ، لذلك نقرر ونكرر ان النهج لا يمكن ان يكون الا لشخص واحد نفخ فيه نفس واحد » .

الجواب

ان في القرآن قضايا علمية وفلسفية وتشريعية لم تعرفها العرب في عهد النبي ولا قبله ، وقد استدل علماء الكلام وفلاسفة المسلمين بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية في كثير من الموضوعات الفلسفية التي تكلموا عنها ؛ فهل هذه الآيات والاحاديث منحولة ملسوسة ؟! وهل من الضروري اذا اتفق قول مع قول ان يكون احدهما مصدراً للاخر ؟! . وقد اثبت علماء الغرب والشرق من غير المسلمين بان القرآن والسنّة هما المصدر الاول للحضارة الاسلامية وعلومها وفلسفتها ، وكلنا يعلم ان علياً هو صنو الرسول وتلميذه ونجيه ، وشريك القرآن ، بل هو القرآن الناطق ، وما بين الدفتين القرآن الصامت [1] .

والغريب ان هؤلاء المنكرين لا يستكثرون على ابن خلدون الكلام في علم الاجتماع قبل ان يعرفه روسو ومنتسكيو ، وان يقولوا عن علومه ومعارفه : « انها تدفق فجائي وحدس باطني واختمار لاشعوري » ، ثم يستكثرون على باب مدينة العلم ان يصف الطاووس ، وان يقول : الله أيّن الأين ، فلا يقال له : أين ؟ وكيّف الكيف ، فلا يقال له : كيف ؟ وان يصف الباري تعالى بصفات تليق بجلاله . وهو أعرف الناس به بعد الرسول ؟!

هذا الى ان الامام تكلم عن اشياء لا يعرفها اليونان ولا غير اليونان

(١) بعد البحث لم اجد اي سبب للشك في نسبة نهج البلاغة الى الامام الا ان جامعه الشريف الرضي شيعي وهم لا يعتبرون رواية الشيعة ،فقد رد ابن عساكر بعض الروايات لان «الراوي رافضي ليس بثقة» وكذلك فعل ابن عدي لان الراوي « شيعي محترق » وقال التباني في كتاب «تحذير العبقري» : الرضي رافضي امامي معتزلي انظر كتاب التباني المذكور ص ٦٢ و١١٢ ج ٢

ـ فيما اعـلم ـ كقوله : يعيش الولد لستة اشهر ، ولسبعة اشهر ، ولتسعة اشهر ولا يعيش لثمانية اشهر [1] .

وقوله : العقل في الدماغ ، والضحك في الكبد ، والرأفة في الطحال ، والصوت في الرئة ، وما الى ذاك [2] .

ولو نسب نهج البلاغة لمعاوية بن ابي سفيان لكانت النسبة حقاً وصدقاً ولكان ابا يزيد المصدر الاول للفلسفة والحضارة الاسلامية ، ولكنه نسب الى امام المتقين وحبيب المؤمنين وعدو المنافقين فأصبح موضع الريب والتشكيك .

وقد أثبت السيد محسن الامين في الجزء الاول من اعيان الشيعة ، والشيخ هادي كاشف الغطاء في المستدرك ، اثبتنا بطرق السنة ان خطب نهج البلاغة كانت مدونة في كتب شتى تحفظها الناس مع غيرها من كلام الامام ، قبل ان يخلق الشريف الرضي . وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣١ الطبعة الثانية : « والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته اربعماية خطبة ونيفاً وثمانين خطبة يوردها على البديهه ، تداول الناس ذلك قولاً وعملاً » وقد توفي المسعودي سنة ٣٤٦ هـ . أي قبل ان يولد الشريف الرضي بأكثر من عشر سنوات ، لانه توفي سنة ٤٠٦ عن ٤٧ سنة .

ثم ان تدوين الفلسفة وترجمتها في عصر العباسيين ان دلا على شيء فانما يدلان على ان التدوين والترجمة حصلا في ذلك العصر ، امـا ان المسلمين ليسوا على علم بمـا عند غيرهم من الفنون والفلسفات فلا ، لان

---

(١) سفينة البحار للقمي ج ١ ص ٤٧

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٩٠ طبعة ١٩٥٣

الفتوحات الاسلامية ، واختلاط المسلمين بالاجانب ابتدأ منذ خلافة عمر ابن الخطاب ، حيث انتصر المسلمون على الرومان والفرس ، واتصلوا بالسوريين واللبنانيين والمصريين ، وكانت مدرسة الاسكندرية مقراً للتراث العقلي ، وبقي التعليم فيها الى ايام عمر بن العزيز ، حيث انتقل منها الى مدرسة انطاكية ، وقد اشتهرت بيزنطة بالمجادلات الالهية والعقائد ، وكان الاتصال على أتمه بينها وبين المسلمين ، فالقول بان المسلمين كانوا يجهلون علم الكلام في عهد الخلفاء الراشدين لا يعتمد على اساس ، بل ان ترجمة الفلسفة في عهد العباسيين جاء نتيجة لحياة فكرية سابقة تبتديء من الصدر الاول ، ولكنها لم تنتشر في عهد الصحابة كما انتشرت في عهد العباسيين ، تماماً كما هو الشأن في تدوين الحديث والتفسير ، فقد كان كل منهما موجوداً ومعروفاً قبل التدوين ، وان منطق الحوادث يحتم هذا التدرج ، ويثبت هذه الحقيقة ، لان الارتقاء دفعة واحدة محال .

ولا نقول هذا ، لنثبت ان الامام اخذ عن الفرس والرومان ، بل لنصحح الخطأ الشائع من ان المسلمين بوجه عام كانوا يجهلون الفلسفة ايام الصحابة والتابعين ، والا فان النبي (ص) قد افرغ في اذن علي كل ما لديه من علوم الدنيا والدين بنص الحديث الشريف « انا مدينة العلم وعلي بابها » فعن الامام تأخذ الناس ، ولا يأخذ هو إلا عن الرسول عن الله عز وعلا .

والآن تعال معي ، لننظر ونتأمل في بعض ما جاء في كتاب « نهج البلاغة » .

اموړ المسلمين

حين عزموا على بيعة عثمان قال الامام :

« لقد علمتم اني أحق الناس بها من غيري ، والله لأسالمن ما سلمت امور المسلمين ، ولم يكن فيهـا جور إلا علي خاصة التماساً لاجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة » .

ان الحكم والسلطان في نظر الامام وسيلة لاحقاق الحق ، وإقامة العدل وليس غاية في نفسه ، فأي حاكم تجرد عن الأهواء والاغراض ، وعمل للصالح العـالم ، وأنصف المظلوم من الظالم يسلم له الامام ، ويتناسى نفسه وحقه ، ويتحمل الجور اذا وقـع عليه وحده ، ولم يتجاوزه الى سواه ، زهداً فيما يتنافس فيه الناس من الجاه والمال ، وهذه هي سيرته مدة حياته ، قبل الخلافة وبعدها .

حين تولى الخلافة قال له الخريت بن راشد : لن أأتمّ بـك ، ولن أشهد معك الصلاة ، ولن أأتمر بامرك ، ولن يكون لك علي سلطان .

فقال له الامـام : لك ذلك مع عطائك كاملاً غير منقوص ، على شريطة ان لا تعتدي على أحد ، فان اعتديت عاقبتك بما تستحق . وحين دار القتال بين الامام ومعاوية اعتزلت فئة من القراء ، فلم يكرهها على المضي معه . وبلغه ان رجالاً من رعيته يتسللون الى معـاوية ، فتركهم وشأنهم ، ونهى عن منعهم بالقوة ، وقال : انهم اهل الدنيا مقبلون عليها .

وبهذا يفترق اصحاب المبادىء عن الانتهـازيين ، فصاحب المبـدأ شعاره حب الخير للخير ، والبعد عن الشر لذات الشر ، وهدفه تحقـق المصلحة العامة ، ومن اجلها يضحي بالنفس والنفيس ، اما الانتهـازي

النفعي فلا هدف له الا مصلحته الشخصية ، يضحي بالافراد والجماعات للحصول عليها ، ولا يحب خيراً الا اذا كان له منـه النصيب الاوفى ، ولا يكره شراً الا خشية ان يصيبه طرف منه ، هكـذا كان اعـداء الامام لا يباركون ديناً ولا مبدأ الا على ربح ، ولا يعبـدون الله الا على حرف .

وكان الامام كما قال : « لاسالمن ما سلمت امور المسلمين ، وليس فيها جور الا علي خاصة » فضالة الامام هي المصلحة العـامة يباركها انّى وجدت،، ولو عند ألد خصومه واعدى أعدائه [1] فان سالم فمـن اجلها يسالم ، وان قاتل فمن اجلها يقاتل ، قال : « كنا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ، لا يزيدنا ذلك الا ايمـاناً وتسليما ولعمري لو كنا نأتي ما اتيتم ما قام للدين قائمـة ، ولا اخضر للايمان عود » .

وغير بعيد أن يكون قول الامام : « لاسالمن ما سلمت امور المسلمين » هو المدرك والدليل لقول ابن طاوس : « الكافر العادل خير مـن المسلم الجائر » .

سورات الزفير

قال في خطبته الطويلة المعروفـة بالغراء يصف الانسان ، وهـو في يومه الاخير :

« دهمته فجعات المنية في غُبَّر جمـاحه [2] وسنن مراحـه ، فظـل سادراً [3] وبات ساهراً في غمرات الآلام ، وطوارق الاوجاع والاسقام

---

(١) ومن كلامه في نهج البلاغة : « الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق » .

(٢) غبر جمع غابر ، والمراد به ايام تعنته ومعاندته للحق

(٣) السادر هو الحائر

بين اخ شقيق ، ووالد شفيق ، وداعية بالويل جزعاً ولادمـــة للصـــدر قلقاً ، والمرء في سكرة ملهية ، وغمرة كارثة ، وأنة موجعة ، وجذبـــة مكربة ، وسوقة متعبة ، ثم ادرج في أكفانه مبلساً [1] وجذب منقـــاداً سلساً ثم القي على الأعواد رجيع وصب ، ونضو سقم ، تحمله حفـــدة الولدان ، وحشدة الاخوان الى دار غربة ، ومنقطع زورة ، حتى اذا انصرف المشيع ، ورجع المتفجع اقعـــد في حفرته نجيـــا ، لبهتة السؤال وعثرة الامتحان ، واعظم ما هنالك بلية نزول الحميم ، وتصلية جحيم ، وفورات السعير وسورات الزفير ، ولا فترة مريحة ، ولا قوة حاجزة ، ولا موتة ناجزة ، ولا سنة مسلية بين اطول الموتات ، وعذاب الساعات إنّا بالله عائذون » .

هذه صورة صادقة ناطقة عن خاتمة الانسان ونهايته ، يشاهدها ويلمسها في غيره بين حين وحين ، حتى اذا جاء دوره ، ودنا اجله كان هـــو العبرة والموعظة ، صورة تعبر عن آخر ساعة من ساعات الدنيا ، واول ساعة من ساعات اليوم المشهود الذي يخرج الناس فيه من قبورهم حفاة عراة ، يقومون الى ربهم للحساب والجزاء ولا حاكم الا هو ، ولا شاهد الا الاسماع والابصار والايدي والارجل ، ولا شفيع الا العمل الصالح ولا ملجأ الا اليه وحده ، ولا عقاب للمسيء الا الحريق والسعير ، والا انوع العذاب على ايدي ملائكة غلاظ شداد .

من عجائب الصدف ــ وكم للصدف من عجائـــب وغرائب ــ اني قبل ان اقتطف هذه الكلمات ، واعلق عليها بيوم واحد عـــدت مريضاً مع ثلة من الاخوان ، فوجدناه على حال دونها كل حال .

عرفت هذا المريض منذ اربعين سنة على التحقيق ، وكان شاباً فقيراً

....

(١) مبلس اي يائس

يسكن مع زوجته في غرفة في احدى قرى جبل عامل ، وكانت الغرفة اشبه بالكوخ ، سقفها وارضها من طين ، لا نوافذ لها الا باب صغير وطيء للدخول والخروج ، اما محتوياتها من ادوات وطعام فتتلاءم تماماً مع وضعها ، ويستطيع رجل واحد ان يحمل كل ما فيها على ظهره ، وكان في اول امره يشتغل حمالا في بيروت ينقل امتعة الناس على ظهره باجر زهيد ، ثم فتح حانوتاً صغيراً في القرية ، وتدرج في التجارة شيئاً فشيئا ، وكان ذا خبرة بها ومهارة ، وله عقل وتدبير ، ولما تقدمت تجارته ، وتحسنت حالته نقل تجارته الى مدينة صور ، فتدفقت عليه الارباح ، واشترى بناية محترمة في بيروت ، وانشأ بستاناً في صور ، واصبح من الاغنياء واهل الثراء ، ومن ابرز صفاته الحرص على المال ، والولوع بتحصيله وكنزه ، ولا يخرج القرش من يده الا لضروره ماسة ، وحاجة لا مناص منها ولا خلاص ، وكان في الوقت نفسه اميناً على حقوق الناس ، ولا يعتدي على احد ، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ، ويؤدي الصوم والصلاة على اكمل الوجوه .

وفجأة وقع طريح الفراش فريسة للسرطان ، وحين عدته شاهدت صورة يعجز عن وصفها القلم واللسان ، فقد كان قبل احزانه وسرطانه معتدل القامة ، وسيم الوجه ، مفتول الساعدين ، ممتليء الجسم ، قوياً نشيطاً في ذهابه وايابه ، تطفح الحياة على وجهه ، وفي عينيه ، وحين دب الداء في جسمه اصبح رسماً بدون جسم ، وخيالاً بلا حقيقة ، ولو كان هذا وحده لكان فيه سعادته وهناؤه بالقياس الى آلامه واوجاعه ، فلقد رأيته يقضم اللحاف بأسنانه تارة ، ويعض يده اخرى ، وهو يبكي ويقول : أواه يا حبذا الموت ... عشرة أشهر لا أعرف فيها النوم ، ولا الطعام إلا بعض العصير ، ثم يلتفت الى ابنه ، ويقول بصوت باك

حزين : اشتروني ، لا أريد مالاً ولا عقاراً ... يا ليتني أعمى اكسح أرعى نبات الارض عاريا كالحيوانات ، ولا أتألم ألمي هذا . اني أحس عظام ظهري تنشر بالمناشير ، وأمعـــائي تقطع بالسكاكين ، وكأن في خاصرتي مياسم من حديد ..

خرجت من بيته ، وأنا اقول : كلنا معرض لموضعه ومضجعه ، ومن الذي يضمن لنفسه السلامة والعـــافية ، ولكن لا نحس بألم الضرب قبل وقوعه ، ولا بلذع الحريق قبل ان تمسنا النار ، وهنا يكمن سر الاهمال والتقصير ، والى الله نعتذر ونفزع من كل مكروه .

وما زالت تلك الصورة المرهبة ماثلة أمـــام عيني ، تؤثر في نفسي أثرها المخيف ، ولا أخالها تتوارى عني ما دمت حياً ، وما وجدت شيئاً أشرح به كلمات الامام اوضح منهـــا ، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام : « فاتعظوا بالعبر ، واعتبروا بالغير ، وانتفعوا بالنذر » .

العيان والسماع

قال : كل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه ، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه ... واعلموا ان ما نقص من الدنيـــا ، وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة ، وزاد في الدنيا .

اذا سمعت من يثني على شيء من أشياء هذه الحياة ، ويصفه بأسمى الصفات وأكملها فانك واجده لدى التجربة والعيان دون الوصف ، ان كنت ممن يدرك الامور على حقيقتهـــا ، وهذه نتيجة حتمية تستدعيها طبيعة الدنيا التي أخذ في تحديدها الفناء والعناء ، وانها اذا احلولى منها جانب أمر منها جانب ، وان لذاتهـــا مهما عظمت فانها الى زوال لا

محالة ، على العكس من الآخرة ، فاذا سمعت وصفاً لشيء من ثوابها او عقابها فستجده لدى العيان والتجربة أعظم من الوصف بكثير ، ذلك انك لا تدرك الآن شيئاً من أشياء الآخرة إلا بالقياس الى حياتك هذه وقد أخبرنا الوحي ان ذرة من عقاب الآخرة لا تعادلها ألوان العذاب في الدنيا مجتمعة ، وان أقل ثواب هناك يفوق نعيم الدنيا من بدايتها الى نهايتها .

ولكن العاقل يتخذ من دنياه الفانية الوسيلة الى الدار الباقية ، وينقص من تلك ليزيد في هذه ، فكما ان النمو في حياتنا يعتمد على البذل والعمل كذلك النجاة في الآخرة تعتمد على طاعة الله سبحانه ، والتضحية في سبيل الخير والصالح العام .

ابو ذر والحق

في عقيدتي ان خلافة عثمان كانت اهم حدث في تاريخ المسلمين ، وانها تركت اسوأ الاثر في حياتهم من يومها الى قيام الساعة [1] فلقد افسح المجال لبني ابيه الامويين ان يعبثوا بالدين ، كما يعبث الصبيان بالكرة وجاء قتله نتيجة حتمية ، لهذا الاستهتار ، كما كانت الحروب والفتن بين المسلمين نتيجة لقتله .

وكل من يعرف عثمان ، وتاريخه قبل الخلافة وبعدها يخطر له هذا السؤال :

(١) قال بعض المؤلفين : لو تولى الخلافة علي بعد عمر لاستقامت امور المسلمين ، وتجنبوا ما حصل من الاحداث ثم القى مسئولية الحوادث والكوارث التي نشأت من خلافة عثمان على عمر . انظر مع « الامام علي » لخليل الهنداوي ص ٣٠ وما بعدها

لماذا حين تولى عثمان الخلافة نكل بالصفوة الاخيار من الصحابة ، كابن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابي ذر ؟! . . [1] ألم يكن عثمان وهؤلاء في زمرة واحدة ، وجبهة واحدة يقاتلون مع رسول الله اعداء الاسلام ؟! وهل زاحموا عثمان على السلطان وجمع المال ؟! وكيف تجاهل عثمان سابقة ابي ذر وتعذيبه في الله ، ومكانه من رسول الله ، وقوله : « ما اظلت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر » وتجاهل سابقة عمار وابويه ، وتعذيبها واستشهادهما في سبيل الدين يوم لم يكن للاسلام معين ولا ناصر ؟!. فهل احدث عمار وابن مسعود وابو ذر حدثاً بعد رسول الله ، او ان عثمان هو الذي احدث ؟!.

ونجدُ الجواب في قول الامام : « يا ابا ذر انك غضبت لله . . ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك .. ولو قبلت دنياهم لاحبوك » . رأى ابو ذر سننا تموت ، وبدعاً تحيا ، فثارت ثائرته ، وطالب بالرجوع الى القرآن ، وسنة الرسول ، وحاول عثمان ان يستميله بالمال ، فاصر ، وابى ، لان الدين لا يشترى ، بل تبذل الارواح في سبيله ، بخاصة اذا اعتنقه قلب كقلب ابي ذر ، واحتواه صدر كصدره .

آمن ابو ذر بما انزل على الرسول بعقله وقلبه وجميع مشاعره ، آمن به ايماناً أشد واصلب من الحديد ، لان الحديد يلين اذا مسته النار ، اما المؤمن الحق فلا يتغير ولا يتبدل ، وان قتل وقطع ونشر .

واسلم غير ابي ذر في ظروف كان فيها عاجزاً عن تحقيق أي شيء من ميوله واغراضه ، فلم يكن اسلامه ، والحال هذه ، بدافع من الغايات

---

(١) انكر ابن مسعود على الوليد بن عقبة شربه الخمر ، فضربه عثمان وكسر ضلعيه ، وحرمه من العطاء ، لانه انكر المنكر ، ونفى اباذر لانه دعاه الى الحق ، وشتم عمارا ، وامر بان يدفع في قفاه ، ويخرج من مجلسه ، وحاول نفيه ، لانه ترحم على ابي ذر حين سمع بوفاته .

والشهوات ، لانه اعجز من ان يحقق شيئاً في عهـــد الرسول ، وايضاً لا يعلم الغيب بانه اذا اسلم سيحقق ما يريد في المستقبل القريب او البعيد ، ولما انتقل الرسول الى ربه ، واستطاع ان يحقق هواه آثره على دينه ، وهنا يعرف الايمان ، وتبرز الخصائص ، فالمسالمة من الحمل ليست بوداعة وترك الشر من الضعيف ليس بفضيلة مـــا دام عاجزاً لا يملك إلا قول « نعم » .

وعثمان لا يجرأ في عهـــد الرسول ان يكرم ويحابي ابا سفيان ، ولا يستطيع ان يرجع الى المدينة عمه الحكم طريد رسول الله ، ولا ان يسند ولاية الى اخيه الفاسق الفاجر الوليد بن عقبة ، ولا ان ينكل بابن مسعود وعمار وابي ذر ، ولما استطاع فعل كل ذلك وزاد عليه ، فأكرم ابا سفيان وأجلسه معه على السرير بعد ان سمعه يقول : « تلقفوها يا بني اميه تلقف الكرة .. فلا جنة ولا نار » وأعاد الحكم وولى الوليد الكوفة ، وبسط ايدي أقاربه بأموال المسلمين ، ونفى ابا ذر ، وضرب ابن مسعود ، وأهان عماراً ، ولم يكترث بقول الرسول : « عمار جلدة بين عيني .. من عادى عماراً فقد عادى الله ، ومن أبغضه أبغض الله » .

نفى ابا ذر الى الشام ــ اولا ــ ، ولما دخل ابو ذر على معاويه قام له ، واستقبله استقبالاً حاراً ، وأجلسه الى جنبه ، وأمر بالطعام ، فمدوا الخوان ، وعليه ما لذ وطاب ، وطلب معاوية من ابي ذر ان يأكل ، فأبى ، وقال : قد غيرتم وبدلتم .. ينخل لكم الشعير ، ولم يكن ينخل وخبزتم الرقيق ، وجمعتم بين ادامين ، وغدا احدكم في ثوب ، وراح في ثوب . فأعاده معاوية الى عثمان ، فنفاه الى الربذة .

وقال الامام يعزيه ويواسيه : « لا يؤنسك الا الحق ، ولا يوحشنك الا الباطل » . فنظر ابو ذر الى الامـــام نظرة عطف وحنان ، وقال :

« رحمكم الله أهل البيت ، اذا رأيتك يا ابا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله »

وهنا يكمن السر ، ابو ذريرى شخص الرسول ممثلاً بعلي والحسن والحسين ، ثم يأمن الأذى والتشريد ! ابو ذر يؤمن ويدين بولاية علي وامامته ، ويتركه عثمان ومعاوية ومروان حرا سليما ! ولكن أبا ذر لا يرهب الموت ولا يخشى التنكيل ، ولا يهتم إلا بالحق الذي كان عليه رسول الله ، ونطق به كتاب الله ، وعمل به امير المؤمنين ، ان الأمنية الوحيدة لابي ذر ان يسيطر الحق والعدل ، وان توزع الاموال على الناس بالسوية ، حتى لا يوجد فقير على وجه الارض ، وهذا هو مبدأ الامام الذي قال : « لو كان الفقر رجلاً لقتلته » . وقال : « لو كان المال لي لسويت بينهم ، كيف وانما المال مال الله ؟! » . ومن اجل هذا وحده ثار ابو ذر ، ومات غريباً مشرداً .

محاسبة النفس

قال : ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره ، وما من معصية الله شيء الا يأتي في شهوة ، فرحم الله رجلا نزع عن شهوته ، وقمع هوى نفسه ، فان هذه النفس ابعد شيء نزعاً ، وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى .

وقال : طوبى لمن ذل في نفسه ، وطاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت خليقته ، وانفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من لسانه ، وعزل عن الناس شره .

لكل انسان عدو في داخله ، يزين له ارادة الشر ، ويغريه بالشهوات

ويلقيه في المهلكات ، وهذا العدو هو نفسه النزاعة الى المعصية ، وهنا يكمن الخطر .. نفسك التي تعتقد بأنها ناصحة امينة مخلصة تسلمك للخطايا والذنوب ، تسرك لحظة ، لتسيء اليك مدى الحياة ، واذا كان اعدى اعداء الانسان نفسه فلماذا لا يحاسبها وينتقدها كما يحاسب وينتقد عدوه ؟! لماذا يتساهل معها ، ويبرر اعمالها ذاهلا عن ميولها الأجرامية ، وشهواتها الشيطانية ؟!

جاء في الحديث ان رجلا عبد الله اربعين سنة ، ثم قرب قرباناً ، فلم يقبل منه . فقال لنفسه : ما اتيت الا منك . فاوحى الله اليه : ذمك لنفسك افضل عندي من عبادتك اربعين عاماً . وقال الامام الصادق : لا حجاب اعظم وأوحش بين العبد وربه من هوى النفس . وكل كلام في هذا الباب نافلة وفضول بعد قول أمير المؤمنين في وصف التقي الصالح : « نفسه منه في عناء ، والناسُ منه في راحة ، اتعب نفسه لآخرته ، واراح الناس من نفسه » .

اتعب نفسه : لأنه يراقبها ويحاسبها على كل شيء ، ولا يستجيب لشيء من اهوائها واغراضها ، تماماً كالذي يجتهد في تأديب ولده ، ويؤاخذه على هفواته ، ولا يستجيب لميوله التي تضر بتربيته وتهذيبه . واراح الناس من نفسه لان اهتمامه بعيوبه صرفه عن الناس ، على العكس من الخبيث الشرير الذي يتلهى بعيوب الناس ويذهل عن عيوبه ، قيل لرسول الله (ص) : من شر الناس ؟ فقال من تخاف الناس من شره . وفي حديث آخر : من ابغض الناس ، وابغضه الناس . وفي ثالث : أكيس الكيسين من حاسب نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واحمق الحمقى من اتبع هواه ، وتمنى على الله الاماني .

وسئل الامام : كيف يحاسب الرجل نفسه ؟

قال : اذا اصبح ثم أمسى رجع الى نفسه ، وقال : يا نفس ان هذا يوم مضى عليك ، لا يعود اليك ابداً ، والله يسألك عنـــه فيما افنيته ، فما الذي عملت فيه ! أذكرت الله ؟ أقضيت حق اخ مؤمن ؟ أنفست كربته ؟ أحفظته في ظهر الغيب !

الجاهل

قال : ان الجاهل من عد نفسه بما جهل عالمـــاً ، وبرأيه مكتفياً ، وما يزال للعلماء مباعداً ، وعليهم زاريا ، ولمن خالفه مخطئاً ، ولمـــا لا يعرف مضللاً ، فاذا ورد عليه من الأمر ما يجهله أنكره وكذب به وقال بجهالة : ما اعرف هذا ، وما أراه كان ، ولا أظن ان يكون

وقال الامام : اربع من خصال الجهل : من غضب على من لا يرضيه ، أي لا يهتم بغضبه ولا برضاه ، ومن جلس الى من لا يـــدنيه ، أي لا يحترمه ، ومن تفاقر الى من لا يغنيه ، أي أظهر الفقر لمن لا يعطيـــه شيئاً ، ومن تكلم بما لا يعنيه .

وقال رسول الله (ص) : الجاهل ان صحبته عناك ، وان اعتزلتـــه شتمك ، وان اعطاك منّ عليك ، وان اعطيتـــه جحد نعمتك ، وان اسررت اليه ساءك ، وان اسر اليك اتهمك بافشاء سره ، وان استغنى بطر ، وكان فظاً غليظـــاً ، وان افتقر جحـــد ولم يتحرج ، وان فرح اسرف وطغى ، وان حزن آيس ، وان ضحك فهق ، وان بكى خار ، يقع في الابرار ، ولا يستحي من الله ، ولا يـــذكره ، وان ارضيتـــه مدحك ، وقال فيك من الحسنات ما ليس فيك ، وان سخط عليك وقع فيك من السوء ما ليس فيك .

فساد الزمان

قال : اذا استولى الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر .

ليس هذا القول مجرد موعظة ، ونصيحة فحسب ، بـــل هو تعبير عن حقيقة علمية ، فقد اثبت العلم الحديث ان الانسان في تفاعل مستمر مع المجتمع الذي يعيش فيه ، فهو جزء من كل يثبت له ما يثبت للكل من عادات واخلاق ــ اذن الفرد يمثل التوافق مع البيئة الا اذا كان من العباقرة المتمردين ، وقليل ما هم ، وما دام الفرد عضواً في جسم المجتمع فلا يسوغ ان يظن به الصحة اذا كان الجسم فاسداً .

ومن هنا قال العلماء : « العقل السليم في الجسم السليم في مجتمع سليم » ولا سلامة لعقل الفرد ، وان سلم جسمه ما دام عقل مجتمعه عليلا .

وهكذا جميع وصايا اهل البيت ونصائحهم ترتكز على اساس من العلم الذي يكشف عن حقيقة الانسان وغرائزه واعماقه

نكتفي ــ الآن ــ بهذه الكلمات ، لنعود الى حكم الامام مرة ثانية عندما نذكر طرفاً من اقوال الائمة الاطهار وحكمهم .

مساجدنا

عامرة من البناء ، خراب من الهدى

لو رجعنا الى الآثار والحفريات ، والتاريخ المكتوب لوجدنا شعائر الدين تسير جنباً الى جنب مع الانسان منذ اللحظة التي وجد فيها آدم ابو البشر على ظهر هذا الكوكب ، فمن كهوف العبادة في العصر الحجري الى هياكل الآلهة في مصر والصين وبابل ، الى الفلسفة الالهية في اليونان ، الى معبد سليمان ، الى الكعبة وحرم الرسول في المدينة ، الى الاعتاب المقدسة في ايران والعراق ، الى الفن وهندسة البناء الديني في كل مكان.

وحين هاجر النبي (ص) من مكة الى المدينة فاول عمل قام به بناء المسجد ، وكان يعمل فيه بنفسه ، واشترك معه في البناء امير المؤمنين وعمار بن ياسر ، وكان الامام يعمل ويرتجز :

لا يستوي من يعمل المساجد يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وأخذ عمار هذا الرجز ، وجعل يردده ، وكأن بعض الاصحاب قد ساءه ذلك ، فأخذ يحمّل عمارا ما لا يستطيع ، فقال عمار : يا رسول

الله قتلوني ، فانهم يحملوني ما لا يحملون . فنفض النبي شعر عمار بيده ، وهو يقول : ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما تقتلك الفئة الباغية .. ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار ؟

واثنى الله على من بنى المساجد ، وقرن تعميرها بالايمان بـه وباليوم الآخر : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله — « التوبة » وانما تكون المساعدة مظهراً من مظاهر الايمان بالله واليوم الآخر اذا اقيمت فيها شعائر الدين للدين ، وذكر فيها اسم الله لله ، ودعي فيها الى الحق لوجه الحق ، اما اذا كان القصد من بناء الاحجار ان يقال : بانيها فلان ، وان مسجد هذا البلد اضخم وافخم من مسجد او كنيسة البلد الآخر ، امـا ان يكون القصد مجرد الظهور والتنافس دون نظر الى حاجة المصلين والمتعبـدين كما كان القصد من مسجد ضرار فان عـدم هذا المسجد خـير من وجوده ، وهدمه افضل من بقائه (١)

قال الامام : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه ومن الاسلام إلا اسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة من البناء ، خراب من الهدى ، سكانها وعمارها شر اهـل الارض ، منهم تخرج الفتنة واليهم تأوي الخطيئة .

---

(١) تتلخص قصة مسجد ضرار بان جماعة من اصحاب رسول الله بنوا مسجد قبا ، وطلبوا من رسول الله ان يصلي فيـه ففعل ، فحسدهم جماعـة من المنافقين ؛ فبنـوا مسجداً ، ودعوا الرسول الى الصلاة فيه فنزل فيهم قوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وارضاء لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحفلن ان اردنا الا الحسنا والله يشهد انهم لكاذبون ــ ١٠٧ التوبة » فوجه النبي جماعة الى هذا المسجد ؛ وامرهم بهدمه وحرقه ، وان يتخذ مكانه مزبلة تلقى فيها الجيف . وهذا حكم الاسلام في كل مسجد يقام للحزبية وتفريق الكلمة .

هذه صورة صادقة واضحة لكثير من مساجد هذا العصر ، فانهــا عامرة بالفن والجمال والمتانة والضخامة ، خراب من الهدى والدين ، والتقى والصلاح ، لا جمعة تقام فيها ولا جماعة ، ولا أمر يسمع فيها بالمعروف ، ولا حلقات للتفقه في الدين ، ولا احد يؤمهــا للصلاة إلا نادراً ، وفي هذه الحقيقة التي نراها رأي العين شاهد صدق وعدل على ان الامام يخبر عن أشياء غيبية عن النبي عن جبريل عن الله عز وجل

ويوم كان النــاس يتسابقون الى ذكر الله والتعبد ، ودراسة الفقــه والتفسير والحديث في المساجد كانت صغيرة متواضحة ، والآن حيث لا شيء ، تكثر وتتسع ، وانه لغريب حقاً ان يكثر عددها ، وتزداد ضخامة كلما قل عدد المصلين ، غريب ان نرى قرية صغيرة حقيرة تبني جامعــاً فخماً بمئذنة شامخة ، ثم تهمل مشاريع اخرى هي في أشد الحاجة اليها ؟.

ليست المساجد قلاعاً حربية ، ولا قصوراً لمفاخرة الانداد والاضداد ، وانما هي للخشوع والخضوع ، والعبادة والمناجاة ، فعظمتها باحيائها بذكر الله والصلوات ، والعلم النافع ، والارشاد المفيد ، لا بالقباب العالية ، والعمد الرفيعة ، والمآذن الشامخة ، كان مسجد الرسول في المدينــة من النخل وسعفه ، وكان علوه قامة رجل ، واذا نزل المطر أصاب المصلين ، ولكن الركعة فيه تعدل عشرة آلاف ركعة بالقياس الى غيره من المساجد ، فلا البساطة وضعت من قــدره وجلاله ، ولا الفن والجمــال رفع من شــأن غيره ، وكفى مسجد الرسول عظمة وكمالا ان يصــلي فيه محمد ومن معه .

لقد رأينا عدداً من أثرياء هذا العصر يتبارون في بناء مساجد جاءت آية من آيات الفن والجمال ، ولكنها لا تبعث في النفس الهيبة والجلال ، وانها ان عبرت عن شيء فانها تعبر عن ان الرياء والتظاهر بالدين قــد

تقدم وتطور في عصر الذرة ، حتى صيغ في فن جميل .

فأولى ثم أولى لمن يبذل الاموال على تلك القباب والمآذن ان ينفقها على الجياع العراة ، او لبناء مسجد متواضع في بــلد او حي لا جامع فيه ، او في انشاء ميتم او مستشفى او مأوى للعجز او مدرسة ، وما الى ذاك مما ينفع الناس ، امـــا من يبني جامعاً الى جنب آخر ، وهو يعلم بأن الاول يشكو الى الله الهجر وعدم المصلين [1] فلا يلومن من يسوء به الظن ، ويجعله مثالاً لقول الامام : « وعمارها شر اهل الارض » .

ونختم هــذا الفصل بقول الصادق : « من كسب مالاً من غير حله سلط عليه البناء والطين والماء » .

واصدق شاهد على هذه الحقيقــة ما نراه من ناطحات السحاب في هذا العصر .

---

(١) جاء في الحديث ، ثلاثة يشكون الى الله ؛ مسجد لا يصلي فيه أهله ، وعالم بين جهال ، ومصحف معلق لا يقرأ فيه .

لا اشتراكية ولا رأسمالية

في الاسلام

كتبت فصلاً في كتاب « مع الشيعة الامامية » بعنوان : « هل ابو ذر اشتراكي ؟ » وفصلين من كتاب « الاسلام مع الحياة » طبعة ثانية : أحدهما بعنوان « الارض لله ومن عمرها » والثاني بعنوان « الاشتراكية في الاسلام مبدأ أخلاقي » أوضحت في هذه الفصول ان للاسلام نظاماً مستقلاً ، لا هو بالاشتراكي ، ولا بالرأسمالي المعروفين في هذا العصر، ولم أفكر أبداً في العودة الى هذا الموضوع ، ولكن بعض الافاضل حين علم اني أكتب في فضائل الامام رغب الي في العودة ، والاشارة الى ما يراه سيد الكونين بعد الرسول في هذا الباب .

وبديهة ان ما يراه هو عين ما نزل به القرآن الكريم ، وثبت في السنة النبوية ، فرجعت اليهما مرة اخرى ، ولم اعتمد على معرفتي السابقة ، عسى ان اهتدي الى جديد ، ولكن لم انته الى شيء سوى قوة الايمان بانه لا اشتراكية ولا رأسمالية في الاسلام ، بل تعاون وتآزر .

لا اشتراكية ، لأن الاسلام يقر بمبدأ الملكية الخاصة ، ولا يعترف

بدكتاتورية العمال ، ولا يحتم ان يكون دخل الفرد مساوياً لعمله ، او لدخل سائر الافراد ، ثم انه لم تبلغ الحال في عهد الرسول (ص) الى ان يعمل عشرات الالوف من العمال السنوات الطوال في مصنع واحد لرجل واحد او فئة معينة ، كما هي الحال الآن ، حتى تتولد فكرة الاشتراكية ، فقد كان الرجل يستأجر معه شخصاً او أكثر ليبني بيتاً ، او يغرس بستاناً في أيام معدودات ، ثم يذهب العامل الى شأنه ، ومثل هذا لا يستدعي التفكير بالنظام الاشتراكي الذي يؤمن حيـاة العامل ، ويضمن له معاش التقاعد .

ولا رأسمالية ، لان الاسلام لا يقر حرية التملك بدون قيد او شرط المعبر عنها بـ « دعه يعمل » ويستغل مواهبه كيف شـاء ، ولا يعترف بسلطة اصحاب الاعمال والثروات على احد من الناس عاملاً كان او غير عامل ، وينهى عن التكتلات الاقتصادية ذات الامتياز ، ويحرم احتكار المشروعات العامة .

وهنا سؤال يفرض نفسه : اذا نفينا الاشتراكية والرأسمالية فماذا يبقى ؟ وهل هناك من ثالث ؟

الجـــواب

لقد كان الناس ــ عدا الحكام والموظفين ــ وما زالو على فئـات ثلاث : الفلاحـين ، وارباب الحرف والتجار ، والفئة الاولى تزرع الطعام وما اليه ، وتعطي الثانية ، والثانية تصنع الملابس والادوات وتعطي الاولى ، والتجار صلة الوصل ، واداة التسلم والتسليم بينهما ، ولما كانت

سعادة الجميع ، واستتباب الامن والنظام لا يتم الا بالتعاون الصحيح بين هذه الفئات حدد الاسلام مفهوم هذا التعاون الذي لا تطغى معه فئة على فئة ، ولا انسان على انسان ، حدده بالآية ٢٨ من سورة النساء : « يا ايها الذين أمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عـن تراض منكم » وجاء في الحديث « لا يحل مـال امرىء الا عن طيب نفس » وليس من شك ان طيب النفس وتراضي الاطراف المعنية هو قوام التعاون ، لان الانسان بطبعه لا يرضى الا بالعدل والمساواة ، اجـل ، لقد استثنى الاسلام من الرضا المعاملة الربوية . بشتى انواعها ، والاحتكار وشركة الابدان [1] ، وحكم بتحريمها لانها استغلال من جانب واحد .

وهنا سؤلان :

الاول : ما حكم هذه الثروات المكدسة في ايدي الافراد ، وهي تعد بمئات الملايين ؟ هل هي جائزة في نظر الاسلام ؟

الجـــواب

قال كثير من الخبراء : ان هذه الثروات تمنح صاحبها سلطة غيرمشروعة على الناس ، وتستدعي الحد من حقهم في الحرية ، اي ان امتلاك الاراضي الواسعة والثراء الضخم امتلاك لحرية الآخرين ، واذا كان الامر كذلك فهي محرمة

السؤال الثـاني : ما معنى قول الامـام ما جاع فقير الا بمـا متع به غني ؟

---

(١) شركة الابدان ان يتفق اثنان على ان يقتسما بينهما مايكتسبانه بايديهما ، قال فقهاء الامامية : لا تصح هذه الشركه بحال ، لان كل واحد مستقل بنفسه ، ومنافعه تابعة لعمله ، ولو اشتركا اخذ احدهما ما لا يستحقة من عمل الآخر .

الجـــواب

ان الامام قال : ان الله فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا بما متع بـــه غني . فهو يشير بذلك الى ان جوع الفقير مسبب عن منع الاغنياء زكاة اموالهم ، ولو اخرجوها كما امر الله لما وجد على ظهر الارض فقير ، كما جاء في حديث آخر ، وكلام اهل البيت (ع) كآي الذكر الحكيم يفسر بعضه بعضا ، اجل ، ان قول الامام ما جاع فقير الخ ... يؤيد النظرية القائلة ان وجود الفقر الى جانب الغنى مستلزم قهرا لوجود الظلم ، وايضاً يدل عليها بدلالة اوضح واصرح قوله مـــا رأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع .

ومهما يكن ، فان المهم هو التعاون ، فكل ما يحققه فهو جائز ، سواء أكان تملك عقار او مصنع او تجارة في السوق الحرة ، وكل ما يتنافى مع التعاون فهو حرام من أي نوع كان ، وعليه فاذا افترض ان هناك نوعاً من الاشتراكية يحقق للانسانية حياة افضل ، مع بقاء التعاون والاحتفاظ بحق الانسان في حريته المشروعة فان الاسلام يقرها بلا ريب ، لان «كل ما فيه صلاح للناس بجهة من الجهات فهو جائز» في الشريعة ، وجاء في الحديث عن الامام الصادق : «ان رجلاً سأله عن زكاة الاموال فقال : «اما الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون درهماً ، واما الباطنة فـــلا تستأثر على اخيك بما هو احوج اليه منك» .

وبالتالي ، فنحن مع القائلين بالنزعة الاشتراكية في الاسلام ، وضد من يقول بالاشتراكية او الرأسمالية فيه .

حروب الامام

بـــدر

١ ـ بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدرا ، وتقع في مكان بين مكة والمدينة ، وتبعـد عنها ١٦٠ كيلومتراً على التقريب ، وحصلت الموقعـة فيها في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك السنة الثانية من الهجرة .

عدد الجيش

كان المسلمون ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، وكان معهم فرسان ، وسبعون بعيراً ، فكان الرجلان والثلاثة يتعاقبون على بعير واحد ، وكان النبي (ص) وعلي واحد الاصحاب ، واسمه مرثد ، يتعاقبون على بعير لمرثد ؛ وقال علي ومرثد للنبي : اركب انت يا رسول الله ، ونحن نمشي . فأبى ، وقال : ما انتما بأقوى مني على المشي ، ولا انا بأغنى منكما عن الأجر

وكان المشركون تسعمئة وخمسين رجلا ، ومعهم مئتا فرس وسبعمئة بعير

القتال

قبل ان يقع القتال انزل الله على نبيه « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ـ ٦٢ الانفال » فبعث النبي الى المشركين : ارجعوا فلان يلي هذا الامر مني غيركم احب الي ، اي يحـــاربني غيركم ، فوافق عتبة ، ونهى عن القتال ، وقال : ما رد هذا قوم فافلحوا ... يا معشر قريش ان محمداً ابن عمكم فخلوه والعرب ، فان يك صادقاً فانتم أعلى عيناً به ، وان يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب امره . فابى ابو جهل إلا القتال .

ودفع رسول رايته العقاب[1] الى علي ، وكان عمره يومذاك ٢٥ سنة وهي اول مرة يحارب فيها الامام ، كما ان معركة بدر هي اول حروب النبي .

وبرز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة وبرز لهم الحمزة بن عبدالمطلب ، وابنا اخيه علي بن ابي طالب ، وعبيدة ابن الحارث ، فحمل عبيدة ـ وكان عمره سبعين سنة ـ على عتبـــة ، وضربه على رأسه ، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها ، وسقطا معاً ، وحمل علي على الوليد ، وكانا اصغر القوم سناً ، فضربه الامام على حبل عاتقه ، فخرج السيف من ابطه ، وحمل الحمزة على شيبـــة[2] فتضاربا بالسيف حتى انثلما ، فاعتنق كل واحد صاحبه ، وكان الحمزة اطول من شيبة ، فقال علي للحمزة : طأطيء راسك يا عم ، فادخل الحمزة رأسه

(١) قال بعض العلماء : ان الفرق بين الراية واللواء ان الراية هي العلم ، واللواء دونها ، فالراية كانت مع علي ، والالوية وزعها الرسول بين المهاجرين والانصار .

(٢) وقيل : ان الحمزة بارز عتبة ، وعبيدة بارز شيبة .

في صدر شيبة فضربه الامام على عنقه فقطعها ، ثم كر علي والحمزة على عتبة فاجهزا عليه ، وحملا عبيدة فالقياه بين يدي ابن عمه الرسول ، ولم يلبث بعدها الا يسيرا .

ثم التحم الجيشان ، ودار بينهما اعنف قتال ، وانجلت المعركة عن سبعين قتيلاً ، وسبعين اسيراً من المشركين ، وفر بقيتهم ، واستشهد من المسلمين اربعة عشر رجلاً ، وخاطب الله سبحانه المسلمين بقوله : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

قتلى الامام

عن الشيخ المفيد ان امير المؤمنين قتل ببدر ٣٥ رجلاً من المشركين سوى من شرك في قتله ، وكان في جملة من قتل ، حنظلة بن ابي سفيان اخو معاوية ، والعاص بن سعيد العاص الاموي ، وعقبة بن ابي معيط الاموي ، والوليد بن عتبة الاموي اخو هند وخال معاوية ، وابو قيس ابن الوليد اخو خالد بن الوليد ، واشترك في قتل عتبة جد معاوية ، ومن كلام الامام لمعاوية : وعندي السيف الذي اعضضت به اخاك وخالك وجدك يوم بدر

مثل عليا -

هذا موجز لموقعة بدر ، وقد حوت شواهد كثيرة على عظمة البدريين ، ومثلاً عليا من اخلاصهم وجهادهم :

« منها » ان الآباء كانوا يقاتلون ابناءهم ، والاخوة اخوتهم ، فكان

ابو بكر مع المسلمين ، وكان ولده عبدالرحمن يقاتل مع المشركين ، وكان عتبة مع المشركين ، وهو اول من بارز المسلمين ، وكان ولده ابو حذيفة مع المسلمين . وروي انه لما سحبت جثة ابيه ترمى في القليب الذي حفر لقتلى المشركين تغير لون ابي حذيفة ، فقال رسول الله : لعله دخلك من شأن ابيك شيء ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في ابي ولا في مصرعه ، ولكني حزنت ، لأنه مات على الكفر .

وكان الحمزة مع رسول الله ، وكان اخوه العباس مع المشركين ، وكان نوفل بن الحارث مع المشركين ، وكان اخوه عبيدة مع رسول الله ، وهو اول من استشهد بين يـــدي الرسول . وكان عقيل بن ابي طالب مــع المشركين ، وكان اخوه علي مع الرسول [1] .

و « منها » ان المشركين لما دنوا الى القتال قال رسول الله لأصحابه : قوموا الى جنة عرضها السموات والارض . فقال عمير بن الحمام الانصاري : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والارض ! قال : نعم . قال . بخ بخ .. قال الرسول : وما حملك على قول بخ بخ ؟ قـــال : رجاء ان أكون من أهلها . فقال له النبي : انك من أهلها . ولمـــا سمع البشارة بالجنة رمى من يده تمرات كان يأكلها ، وصاح : لئن انا حييت ، حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة ، وبرز ، وهو يقول :

---

(١) كان العباس وعقيل ونوفل قد اسلموا ، ولكن المشركين أكرهوهم على الخروج . قال السيد محسن الامين في الجزء الثاني من أعيان الشيعة ص ٢٠٢ الطبعة الثالثة : « ان العباس قال : يا رسول الله اني كنت مسلماً ، ولكن القوم استكرهوني . فقال له : الله اعلم باسلامك ، اما ظاهر امرك فقد كان علينا » .

ركضنا الى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعـاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفـاد
غير التقى والبر والرشاد

وما زال يقاتل ، حتى قتل .

و « منها » ان حارثة بن سراقة كان مع رسول الله ، وقتل ، فجاءت امه ، وقالت يا رسول اخبرني عن ابني حارثة ، فان كان في الجنـة صبرت ، وإلا ليرن الله ما أصنع ، اي انها تبالغ في النياحة والبكاء . فقال لها الرسول : ويحك أهبلت ؟! انها جنان ثمان ، وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى . فرضيت واطمأنت .

و « منها » ان عبدالرحمن بن عوف قال : كنت في الصف يوم بدر فاذا شابان حديثا السن احدهما عن يميني ، والآخر عن يساري ، فقال لي كل واحد منهما سراً من صاحبه : يا عم ارني ابا جهل . فقلت : ما تصنع به ان رأيته ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته ان اقتله ، او اموت دونه . فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه كالصقرين ، حتى تركاه بين الحياة والموت ، وقد تكاثر عليهما المشركون ، ولم يتركوهما حتى استشهدا ، فوقف الرسول على مصرعهما يدعو لهما ، ويذكر صنيعهما .

و « ومنها » ان عليا رأى اخاه عقيلا بين الاسرى ، فتجاهله وحاد عنه ، فقال له عقيل : يا ابن ام والله لقد رأيت مكاني . فتركه ، ولم يلتفت اليه ، وهو اخوه لامه وابيه .

و « منها » ان معاذ بن عمر وكان مع المسلمين ، فضربه مشرك على يده فقطعها ، وبقيت الجلدة ، فكان يمشي ويسحبها معه ، فلمـا آذته وضع رجله عليها ، ثم تمطى في الهواء ، حتى قطعها .

بهذا النكران للذات ، وهذه الاستهانة بالحياة غلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة ، وانتصر الاسلام ، وعم الشرق والغرب ، لا بالخطب في المحافل والكلام بالجرائد ، والحديث بالصالونات .

احد

٢ - احد اسم جبل يبعد عن المدينة ثلاثة اميـال على التقريب ، وكانت معركة احد في شوال سنة ثلاث من الهجرة .

عدد الجيش

بعد ان دارت الدائرة على مشركي قريش في بدر ، اخذوا يعدون العدة للثأر ، وقد استطاعوا ان يؤلفوا جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتـل ، وزحف الجيش بقيادة ابي سفيان الى المدينة ، ونزل قريباً من جبل احد ، وكان معهم مئتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وكان خـالد بن الوليد وعمرو بن العاص وزوجته ريطة مع المشركين ، وأخرج ابو سفيان النساء ليحرضن الرجال على القتال ، وكما قاد هو الرجال ضد الرسول قادت النساء زوجته هند ام معاوية .

وخرج النبي (ص) لقتالهم في الف رجل ، ولكن عبدالله بن ابي رأس النفاق نادى في الطريق قائلاً : علام نقتل انفسنا ؟! ارجعوا ايها الناس ، فرجع معه ثلاثمئة ، وبقي مع النبي سبعمئة ، وحاول عبـد الله بن عمرو والد جابر الانصاري ان يثنيهم عن عزمهم ، ويعود بهم الى النبي ، وقال لهم فيما قال : يا قوم اذكـركم الله ان تخذلوا قومكم ونبيكم ، فلم يستجيبوا له .

القتـــال

رسم النبي خطة القتال ، فجعل الرماة على جبل خلف عسكر المسلمين، وكانوا خمسين رامياً ، وأمَّرَ عليهم عبدالله بن جبير ، وقال لهم : احموا ظهورنا ، ولا تفارقوا مكانكم ، ان رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وان رأيتمونا نغنم فلا تشاركونا .

وكان لواء المشركين مع طلحة بن ابي طلحة الملقب بكبش الكتيبة ، وهو من بني عبد الدار ، فاعطى النبي (ص) اللواء لمصعب بن عمر ، لانه من بني عبد الدار ، ولما قتل مصعب دفعه النبي الى عــلي ، وبرز طلحة ، وصاح : من يبارز ، فبرز اليه علي ، فقال له : من انت ؟ قال: انا علي بن ابي طالب . فقـــال : لقد علمت انه لا يجسر عليّ احـــد غيرك . وضربه الامام على فخذيه فقطعهما ، فسقط على الارض ، ولما همّ الامام ان يحتز رأسه ناشده الله والرحم ، وقيل : بل كشف عـــن عورته فانصرف عنه الامام ، ولكنه لم يلبث بعد الضربة الا قليلا .

قال صاحب اعيان الشيعة في الجزء الثاني ص ٢٣٢ الطبعة الثالثة :

« روى الطبري انه لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب الالوية ابصر رسول الله جماعة من المشركين ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبدالله الجحمي ، ثم ابصر جماعة اخرى، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ، ففرق جمعهم ، وقتل شيبة بن مالك ، فقال جبريل : يا رسول الله ان هذه لهي المواساة . فقال الرسول : انه مني ، وانا منه ، فقال جبريل : وانا منكما ، قال : فسمعوا صوتاً :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا عــليّ

وفي ارشاد المفيد ان أصحاب اللواء كانوا تسعة قتلهم علي بن ابي طالب عن آخرهم ، وانهزم القوم . »

اجل ، انهزم المشركون لا يلوون على شيء ، وانتقضت جموعهم بسيف علي ، وسيف عمه الحمزة بن عبدالمطلب ، اسد الله واسد رسوله ، وأطلقت هند ساقيها الى الريح مع صويحباتها ، ونادين بالويل والثبور . قال الواقدي : « ما ظفر الله نبيه في موطن قط ما ظفره واصحابه يوم احد » .

ولكن الرماة عصوا الرسول ، وأخلوا مكانهم الذي رتبهم النبي فيه بعد ان رأوا هزيمة المشركين ، ونظروا الى اخوانهم المسلمين ينتهبون الغنائم ، وردعهم اميرهم عبدالله بن جبير . وقال لهم : أطيعوا الله والرسول فأبوا ، وقال بعضهم : علام نقيم هنا ، وقد هزم الله العدو ، وهؤلاء اخواننا ينتهبون عسكرهم ، ثم انطلقوا للسلب والنهب ، ولم يبق مع ابن جبير الا عشرة رجال ، ولما رأى خالد بن الوليد ان ظهر المسلمين قد خلا كرّ في مئتي فارس ، على من بقي مع ابن جبير ، فابادهم ، وقتل ابن جبير بعد ان قاتل قتال المستميت . وتجمع المشركون من جديد وأحاطوا بالمسلمين ، وهم ينتهبون الغنائم ، وأطبقوا عليهم من الامام والخلف وأوقعوهم بين شقي الرحى .

وفرّ المسلمون عن النبي (ص) ولم يبق معه الا نفر قليل ، على رأسهم علي بن ابي طالب ، وابو دجانة ، وسهل بن حنيف ، وقد استماتوا في الدفاع عن النبي . وعن الطبري ان عمر وعثمان كانا من المهزومين ، وقاتل رسول الله اشد قتال ، فرمى بالنبل ، وضرب بالسيف ، وقد تجمع عليه المشركون ، وحاولوا قتله بكل سبيل ، ورمى بحجر فكسر انفه ورباعيته السفلى ، وشقت شفته ، واصابته ضربة في جبهته الشريفة . فسال الدم على

وجهه ، واغمي عليه مما ناله ، ولما فتح عينيه نظر الى عـلي ، وكان الى جنبه لا يفارقه ، وقال : يا علي ما فعل الناس ؟ قال : نقضوا العهـد وولو الدبر . فقال له . اكـفني هؤلاء الذين قصدوا قصدي ، فحمل عليهم ، فكشفهم ، فعادوا الى الرسول من ناحيـة اخرى ، فقال له : اكفنيهم ، فحمل عليهم وكشفهم عنه ، وهكذا كلما كروا على النبي انقض عليهم علي كالصقر يفرق جمعهم ، ويدفعهم عنه ، ومن هنا عرف الامام بكاشف الكربات عن وجه الرسول ، ولان النبي (ص) كان يناديـه عند الشدائد نادى الشيعة باسمه في الملمات .

ولما يئس المشركون من قتل النبي برغم جميع المحاولات فترت همتهم وقفلوا راجعين بعد ان قتل من المسلمين سبعون رجلاً بعدد من قتل في بدر من المشركين [١]

وحين عاد النبي (ص) الى المدينة استقبلته فاطمة ، ومعها اناء فيه ماء ، فغسل وجهه ، ولحقه الامام ، وقد خضب الدم يده ، الى كتفه ، ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة ، وقال خذي هذا السيف ، فقد صدقني اليوم ، فقال لها رسول الله : خذيه يا فاطمة ، فقد ادى مـا عليه ، وقتل الله بسيفه صناديد قريش .

ولندع قول القائلين ، ونرجع الى كتاب الله وآي الذكـر الحكيم ، ونقارن بين آيتين من سورة آل عمران نزلتا بسبب معركة احد باتفـاق المفسرين :

الآية الاولى « وما محمد إلا رسول قـد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقـابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله

(١) لم نتعرض هنا لاستشهاد الحمزة اسد الله واسد رسوله ، لاننا عقدنا له فصلا خاصاً من هذا الكتاب ، فليراجع .

شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ـ ١٤٤ » .

قال المفسرون واهل السير : ان المسلمين سمعوا صارخاً يقول : قتل محمد ، ففر أكثرهم ، ومنهم من شك في دينه ، وقال : ليت عبدالله بن ابي ـ وهو رأس النفاق ـ يأخذ لنا الامان من ابي سفيان ، وقال آخرون لو كان نبياً لما قتل . فانزل الله فيهم انهم انقلبوا وارتدوا ، ويكفي لثبوت الردة مجرد الشك في نبوة محمد ، ويكفي للذم مجرد الفرار عن رسول الله ، وتركه وحيداً بين الاعداء يحيط به ثلاثة آلاف فارس .

الآية الثانية قوله تعالى : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ـ ١٤٦ » .

قال الرازي الاشعري في تفسيره الكبير : « اعلم انه من تمام تأديبه قال للمنهزمين يوم احد : ان لكم بالانبياء المتقدمين واتباعهم اسوة حسنة ، فلما كانت طريقة اتباع الانبياء المتقدمين الصبر على الجهاد ، وترك الفرار ، فكيف يليق بكم الفرار والانهزام ؟!.. »

ثم قال الرازي عن الذين ثبتوا ولم ينهزموا : « قال صاحب الكشاف : ما وهنوا عند قتل النبي ، وما ضعفوا عن الجهاد بعده ، وما استكانوا للعدو ، وهذا تعريض بما اصابهم ـ اي المهزومين ـ من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسولهم ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين ، واستكانتهم للكفار ، حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبدالله بن ابي ، وطلب الأمان من ابي سفيان » .

ثم قال الرازي : « ومعنى قوله تعالى : والله يحب الصابرين ان من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله ، ولم يظهر الجزع والعجز والهلع فان الله يحبه ، ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وتعظيمه ،

والحكم له بالثواب والجنة ، وذلك نهاية المطلوب

ومهما اختلف المفسرون واهل السير في عدد الذين ثبتوا مع النبي (ص) يوم احد فانهم متفقون جميعاً على ان علياً كان مع الرسول جنباً الى جنب يذب عنه ، ويلقى بنفسه في المهالك من اجله ، فلا احد ، اذن ، اولى من علي بمحبة الله وكرامته واعزازه وتعظيمه .

الردة بعد موت الرسول

وهنا ظاهرة تستلفت النظر•، وتدعو الى التساؤل ، وهي ان الذين خاصموا علياً ، ونصبوا له العداء بعد موت الرسوْل ، وصدوه عن حقه هم بالذات الذين انبتهم وقرعتهم آية « أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » فهل يا ترى بعد أن مات النبي (ص) نقض هؤلاء العهد وارتدوا عن دينهم ، تماماً كما فعلوا يوم احد ؟!..

ومهما يكن ، فقد جاء في كتاب الجمع بين الصحيحين . صحيح البخاري ، وصحيح مسلم « ان النبي قال : ليردن علي الحوض رجال ممن صحبني ، حتى اذا رأيتهم ، ورفعوا اليّ رؤوسهم اختلجوا ، فلأقولن : أي رب أصحابي ، فليقالن لي : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟! » . وهذا حديث صحيح صريح بان من الصحابة من ارتد عن دينه بعد الرسول

واذا عطفنا هذا الحديث على حديث الثقلين : كتاب الله والعترة الذي رواه الامام احمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه ، وعطفناه ايضاً على حديث علي مع الحق الذي رواه الترمذي في سننه التي هي احد الصحاح الستة عند السنة ، وعطفناه ايضاً على حديث « من أطاع علياً

فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني » الذي رواه الحاكم في مستدركه اذا ضممنا هذه الاحاديث بعضها الى بعض تكون النتيجة الحتمية ان الذي ثبت على دينه بعد الرسول هو علي ومن والاه ، وأطاعه ، والذي انقلب وارتد هو الذي عصاه وعاداه .

للدرس والعظة

ومن الخير ان نذكر بعض ما حدث في احـد للدرس والعظة ، كما فعلنا عند الكلام عن وقعة بدر .

انس بن النضر

حين رأى انس بن النضر المنهزمين صاح بهم ، وقال : ماذا تصنعون بالحياة بعد نبيكم ؟.. موتوا على مات عليه رسول الله ، وان كان محمد قد قتل ، فان رب محمد لم يقتل ، ثم استقبل الموت ، فقاتل ، حتى قتل ، رضوان الله عليه .

ابو دجانة الانصاري

جـاء في الجزء السادس من كتاب البحار للمجلسي ، ان النبي قال لابي دجانة يوم احد ، وبعد هزيمة الناس : « انصرف فانت في حل من بيعتي » ، فبكى ابو دجانة ورفع رأسه الى السماء ، وقال : لا والله ، الى أين انصرف ؟.. الى زوجة تموت ، أو ولد يموت ، او دار تخرب ، او مال يفنى ، او أجل قد اقترب ؟.. فكان يقاتل هو في ناحية ، وعلي

في ناحية ، ولما أثخن بالجراح سقط على وجهه ؛ فاحتمله علي ، ووضعه جانبـــاً .

سعد بن الربيع

بعد انتهاء المعركه قال رسول الله : من ينظر لي سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : انا يا رسول الله ، فبحث عنه ، فوجده جريحاً بين القتلى ، وبه رمق ، فقـــال له : ان رسول الله امرني ان انظر : افي الاحياء انت او في الاموات ؟ . قال : انا في الاموات ، ابلغ رسول الله عني السلام ، وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خير ما جزى نبيـــاً عن امته ، وابلغ عني قومك السلام ، وقل لهم : ان سعداً يقول لكم : انه لا عذر لكم عندالله ان خلص الى نبيكم ، وفيكم عين تطرف ، ثم تنفس فخرج منه مثل دم الجزور ، ومات .

فعاد الانصاري الى الرسول ، وأخبره فقال : رحم الله سعداً نصرنا حياً ، واوصى بنا ميتاً .

وما أشبه حال سعد هذا بحال مسلم بن عوسجة ، حيث قال ، وهو يلفظ النفس الاخير لحبيب بن مظاهر : اوصيك بهذا ، واهوى بيده الى الحسين ، ان تموت دونه

حمنة بنت عمة النبي

لما انصرف النبي إلى المدينـــة استقبلته حمنة بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب ، وهي اخت زينب بنت جحش زوجـــة الرسول ، فقال النبي

لحمنة : احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ اي تسأله عن الذي قتل؟ قال : اخاك عبدالله ، فاسترجعت ، واستغفرت له ، وهنأته بالشهادة ، ثم قال لها : احتسبي قالت : من يا رسول الله ؟ قال : الحمزة بن عبد المطلب خالك ، فاسترجعت ، واستغفرت له ، وهنأته بالشهادة ، ثم قال احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قـال : زوجك مصعب بن عمير فقالت : واحزناه ، وولولت ، وصاحت ، فقال رسول الله : ان زوج المرأة منها بمكان ما هو لأحد .

نسيبة المازنية

قال صاحب البحار في الجزء السادس : كانت نسيبـة بنت كعب المازنية تخرج مع رسول الله في غزواته تداوى الجرحى ، وكان ابنها معها في أحدٌ ، فأراد أن ينهزم مع الذين انهزموا ، فحملت عليه وقالت : الى أين يا بني تفر عن الله ورسوله ، فردته ، وحمل عليه رجل فقتله ، فأخذت سيف ابنها ، وضربت به قاتل ولدها على فخـذه ، فقتلته ، فقال لها رسول الله : بارك الله عليك يا نسيبة ، وكانت تقي رسول الله بصدرها وثدييها ، حتى اصابتها جراحات كثيرة .

صفية عمة الرسول

اقبلت صفية بنت عبد المطلب ، لتنظر الى الحمزة ، وكان اخاهـا لابيها وامها ، فقال النبي لابنهـا الزبير : ارجعهـا ، حتى لا ترى ما بأخيها ، فاعلمها الزبير بأمر رسول الله ، فقالت : ولمَ ، وقـد بلغني

انه مثل بأخي ، وهذا قليل في الله ، فما ارضـــانا بما كان ، لاحتسبن واصبرن .

وهل يصدر هذا الا من الذين اذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ؟! يسمع احدنا كلمة نابية في سبيل الحق فيتأفف ، ويصرخ ويمن على الله والناس ويسميه البعض بالمجاهد المصلح ...

امرأة من بني دينار

نقل صاحب الاعيان عن الطبري ان امرأة من بني دينار استشهـــد زوجها واخوها وابوها في أحد مع رسول الله ، فلما نعوهم لها قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أروني اياه ، حتى انظر اليه ، فلما رأته ، حمدت الله ، وقالت : كل مصيبة بعـــدك جلل يا رسول الله .

غسيل الملائكة

كان حنظلة مع النبي ، وكان ابوه ، ابو عامر ، مع ابي سفيان ، وهو من الخزرج ، وصادف ان حنظلة تزوج في الليلة التي كانت حرب احد في صبيحتها ، واستأذن حنظلة الرسول ان يبقى مع اهله ، فنزلت هذه الآية : « ان الذين يستأذنوك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم ـ ٦٣ النور » فاذن له الرسول وتخلف حنظلة عند اهله ، ولكنه حين اصبح ، وسمع هواتف الحرب انخلع من احضان عرسه ، وهرع الى ساحة الجهاد ، وكان لا يزال جنبـــاً ، ولكن عرسه تعلقت به . واشهدت عليه اربعة نفر من الانصار على انه

واقعها ، ولما قيل لها : لم فعلت ذلك ؟ قالت : رأيت في هذه الليلة في نومي ان السماء قد انفرجت ، فدخل فيها حنظلة ، ثم انضمت ، فعلمت انها الشهادة ، فكرهت ان لا اشهد عليه ، فحملت منه

وذهب حنظلة الى ساحة الوغى ، فجاهد ، حتى استشهد ، وقال رسول الله : رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صائف من ذهب

الاحزاب

٣ ــ سميت الاحزاب ، لأن جيش العدو كان مؤلفاً من قريش ، وسائر القبائل ، على ما بينها من التنافر والعداء ، ومن الموالي واليهود ، وكان عدده عشرة الاف بقيادة ابي سفيان والد معاوية ، وجد يزيد ، وظن ابو سفيان انه بهذا الجيش الكثيف يستطيع ان يضرب محمد الضربة القاضية ، ويستأصله ومن معه . وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة السنة الخامسة من الهجرة .

الخندق

وتسمى ايضاً غزوة الخندق ، لأن النبي لما علم بهذا الجيش الضخم اخبر اصحابه ، وشاورهم فيما ينبغي عمله ، فأخذتهم الحيرة ، ولم يهتدوا الى سبيل ، لأن القتال والالتحام وجهاً لوجه لا يضمن لهم النصر ، فأنقذ سلمان الفارسي الموقف برأيه وحكمته ، وقال : يا رسول الله كنّا بفارس اذا حاصرنا العدو خندقنا على أنفسنا ، فأعجب ذلك المسلمون

وفرحوا به : وقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الانصار : سلمان منا فقال النبي : سلمان من اهل البيت . وتم حفر الخندق في ستة ايام ، وكان النبي يحفر ويحمل التراب بنفسه .

الخوف

وصف الله سبحانه خوف المسلمين من الاحزاب ، فقال : « واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون ـ ١٠ الأحزاب » وقال المنافقون : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط .

ولما رأى النبي اشتداد البلاء على الناس ، وضعف قلوبهم ، ووهنهم اراد ان يرد عنهم قبيلة غطفان التي تحالفت مع ابي سفيان ، وذلك ان يعطي النبي لغطفان ثلث ثمار المدينة ، ولكن سادة الاوس والخزرج ابوا ، وقالوا للنبي : كنا وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان ، وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى او بيعاً ، أفحين اكرمنا الله بالاسلام ، وأعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ؟ لا والله لا نعطيهم الا السيف ، والله يحكم بيننا وبينهم . فقال لهم : انتم وذاك .

القتال

ودام حصار الجيوش للمسلمين اكثر من عشرين يوماً ، ليس فيها قتال الا الترامي بالنبل والحجارة ، ثم ان خمسة فوارس من قريش ، وهم عمرو بن ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وهبيرة بن أبي لهب اقتحموا الخندق من مكان ضيق ، وركز

عمرو رمحه في الارض ، واخذ يجول ، ويرتجز ويطلب البراز فقام علي ، وقال : أنا له يا نبي الله . فقال : اجلس . ثم كرر عمرو النـــداء ة وجعل يهزأ بالمسلمين ، ويقول : أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها ؟!.. فقام علي ثانية ، فاجلسه النبي ، ونادى عمرو الثالثة ، فقام علي فأذن له النبي ، وقال : ادن مني ، فدنا منه ، فعممه بيـــده ، وقال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شمـــاله ، وحين برز علي لعمرو قال النبي : برز الايمان كله الى الشرك كله . وقال عمرو لعلي من انت ؟

قال : انا علي بن ابي طالب .

قال : ان اباك كان لي صديقاً ونديما ، واني اكـــره ان اقتلك [1]

قال علي : ولكن والله ما اكره ان اقتلك .

ثم قال له علي : يا عمرو انك كـــنت تقول : لا يدعوني احد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها . قال : اجل . قال : ادعوك ان تشهد ان لا إله الا الله ، وان محمداً رسول الله . قال : نح هـــذه عني . هات الثانية . قال : ترجع الى بلادك ، فان يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به ، وان يك كاذباً كان الذي تريـــد . قال : اذن تتحدث عني نساء قريش اني جبنت ، وخذلت قوماً رأسوني عليهم . ثم قال : هات الثالثة . قال : البراز . قال : هذه خصلة ما كنت أظن ان احـــداً من العرب يروعني بهـــا . فقال علي : كيف أقاتلك وانت فارس ، وانا راجل ، فاقتحم عن فرسه ، وعقره ، وسلّ سيفه كأنـــه شعلة نار ، وبـــدأ

---

(١) قال ابو الخير استاذ ابن ابي الحديد : والله ما طلب عمرو الرجوع من عـــلي الا خوفاً منه ، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد ، وعلم ان هو بارز علياً قتله علي ، فاستحى ان يظهر الفشل ، فاظهر هذا الادعاء ، وانه لكاذب .

الامام بضربة ، فاتقاها بالدرقة فقدها السيف ، وشج رأس الامام . فضربه علي على ساقيه فقطعهما جميعاً ، فسقط على الارض ، فأخذ عليٌّ بلحيتهَ وذبحه ، وأخذ رأسه بيده هدية الى الرسول ، وأقبل والدماء تسيل على وجهه من ضربة عمرو ، ورأس عمرو بيده يقطر دماً ، وكان وجه علي يتهلل فرحاً . وطرب المسلمون لهذا النصر والمنظر الرائع ، وصَفقت له قلوبهم ، بعد ان بلغت الحناجر من الخوف ، وعادت السكينة الى نفوسهم بعد ان شككوا بالله وبالرسول ، وظنوا به الظنون . ولما وصل علي الى النبي ألقى رأس عمرو بين يديه ، فقام ابو بكر وعمر وقبلا رأس علي . وقال له عمر : هلا سلبته دزعه ، فانه ليس في العرب مثلها ؟! فقال : اني استحييت ان أكشف سوءته .

وجزع الاعداء لمقتل سيدهم ، وأصابهم من الخوف ما أصاب المسلمين في بدء الامر ، وبذلوا لرسول الله عشرة آلاف درهم ، ليعطيهم جثة عمرو ، فقال : هي لكم ، ولا نأكل ثمن الموتى .

ثم أرسل الله على المشركين الريح العاتية في ليال شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح اخبيهتم ، وما عمّ الليل ، حتى نادى ابو سفيان بالرحيل وقال : يا معشر قريش ، ان كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد ، فلا طاقة لنا بأهل السماء . وحين علم النبي برحيلهم قال : الآن نغزوهم ، ولا يغزوننا .

وكفى الله المؤمنين القتال

جاء في الجزء الثاني ص ١٧٤ من كتاب « دلائل الصدق » ان السيوطي قال في الدر المنثور . ان ابن مسعود كان يقرأ « وكفى الله المؤمنين

القتال بعلي بن ابي طالب » ونحن نهمل هذه القراءة ، وان تلك بفضل علي عن طريق السنة ، لأن القرآن لا زيادة فيه ، ولا نقصان بضرورة الدين واجماع المسلمين ، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن فشل المشركين وعدم حاجة المسلمين الى القتال يرجع الى أسباب عديدة ، لا الى سبب واحد ، منها دعاء النبي ، وابتهاله الى الله سبحانه ان يدفع الأذى عن الإسلام وأهله ، ومنها قتل علي عمراً ، ومنها اشارة سلمان بحفر الخندق ، ومنها الريح العاتية .. اذن ضربة علي احد الاسباب ، بل أهمها جميعاً ، لان قتل عمرو – وهو رأس الجيش وعماده الاول – قد ألقى الرعب في قلوب الاعداء ، وأذلهم ، وأمال كفتهم الى الهبوط ، بعد ان كان المقدر لها الارتفاع ، كما بعث الثقة والاطمئنان في نفوس المسلمين ، فرجوا النصر بعد اليأس منه .

لقد قلبت ضربة علي يوم الخندق الوضع رأساً على عقب ، فجعلت القوي ضعيفاً والضعيف قوياً ، ومن هنا قال النبي : « لضربة علي يوم الخندق افضل من عمل الثقلين » [1] وعن الحاكم في كتاب المغازي من المستدرك ج ٣ ص ٣٤ « ان يحي بن آدم قال : ما شبهت قتل علي عمراً إلا بقول الله عز وجل : وقتل داود جالوت فهزمهم باذن الله » .

وللكلام متسع عن ضربة علي يوم الخندق ، وقد عقدنا لها فصلا خاصاً في كتاب « علي والقرآن » .

سلمان الفارسي

كان الامام الصادق يسميه سلمان المحمدي ، وعن عائشة انه كان لسلمان مجلس خاص من رسول الله ينفرد به ، وقال الامام الصادق :

(١) انظر المواقف للايجي ٨ ص ٣٧١ سنة ١٩٠٧

كان سلمان يحب الفقراء والعلم والعلماء . وقال ابن ابي الحديد : سلمان رجل من الفرس ، وهو معدود من موالي رسول الله وكنيته ابو عبدالله ، وكان اذا قيل له ابن من انت ؟ قال : انا ابن الاسلام ، انا من بني آدم ، وآخى النبي بينه وبين ابي ذر .

وبعد النبي عين اميراً على المدائن ، فكان يعمل بيده ويأكل ، ولا يأخذ من بيت المال شيئاً ، وكان عطاؤه خمسة آلاف ، فاذا خرج مع عطاء المسلمين اخذه وتصدق به على المحتاجين ، وأكل من عمل يده .

وخطب بعد موت رسول الله ، فقال : أيها الناس خذوا حديثي واعقلوه ، الا واني لو حدثتكم بكل ما اعلم من فضائل علي بن ابي طالب لقالت طائفة منكم : هو مجنون ، وقالت اخرى : اللهم اغفر لقاتل سلمان ، الا ان لكم منايا وبلايا ، وان عند علي بن ابي طالب علم المنايا والبلايا ، وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب .

خيبر

٤ ــ خيبر اسم مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وقلاع ونخل كثير ، وهي في ارض الحجاز ، وسكانها من اليهود ، وتبعد عن المدينة المنورة اربعة ليالٍ – على التقريب ــ وكانت غزوة خيبر في جمادى الاولى السنة السابعة من الهجرة .

عدد الجيش

بعد ان فشلت الاحزاب قويت شوكة المسلمين في الجزيرة العربية ، واصبح العرب واليهود يحسبون للنبي وصحبه الف حساب ، وخاف يهود خيبر على

انفسهم فشرعوا يتصلون ببعض القبائل والاعراب ليؤلفوا جبهة ضد المسلمين ، وكان النبي متيقظاً لهذه المؤامرة ، فألف جيشاً من الف واربعمئة مقاتل وغزا يهود خيبر في عقر دارهم .

القتال

لما بلغ المسلمون خيبر تحصن اليهود ، وراحوا يكافحون من وراء الجدران ، فحاصرهم النبي اكثر من عشرة ايام ، ثم عزم على فتح الحصون بكل وسيلة . وهنا اترك الكلام للاستاذ عبد الرحمن الشرقاي[1]

فقد نشر مقالا طويلا في جريدة المساء المصرية عدد ٢٧ ايار سنة ١٩٦١ تكلم فيه عن عزوة خيبر ، قال ما نصه بالحرف الواحد :

« رأى محمد ان يحشد كل قواه الضاربة لفتح هذا الحصن ، فاجتماع اليهود فيه يجعلهم اقدر على الفتك بالمسلمين .. وجمع محمد جيشه ، وامرهم ان يفتحوا الحصن ، وسلم ابا بكر راية الجيش .. ولكن ابا بكر لم يقتحم الحصن .

وفي اليوم التالي جعل القيادة لعمر بن الخطاب .. وحارب عمر يومه كله ، ولكنه لم يستطع ان يقتحم الحصن ، وان كانت ابواب الحصن بدأت تلين .. غير ان اليهود ظلوا في موقعهم المنيع يسددون سهامهم دون ان يخرج منهم رجل واحد للقتال في السهل المكشوف .

فدعا محمد اليه علي بن ابي طالب ، وقال له : خذ هذه الراية فتح الله عليك . وقرر علي ان يحمل جنود اليهود على الخروج الى السهل ..

---

(١) من كبار الادباء وقادة الفكر المصريين في هذا العصر . وله شهرة واسعة في البلاد العربية .

وخلع علي عنه الدرع ، ليكون خفيف الحركة ، وطالب رجاله ان يتخففوا من الدروع التي تثقلهم ليكونوا خفافاً .. وانصرف وفي ذهنه وصية قائده محمد : انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان لم يطيعوا فقاتلهم ، فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم . وصمم علي ان يدعوهم الى الاسلام لعلهم يستجيبون ..

وتقدم فدعاهم الى الاسلام ، ولكنهم سخروا به .

فطالبهم ان يحاربوا المسلمين رجلا لرجل ، ويبعثوا اليه شجعانهم ليبارزهم هو بنفسه ، وخرج اليه الحارث احد شجعانهم ، فصرعه علي ، وخرج اليه رجل آخر فصرعه ، واذ ذاك تعالت من المسلمين صيحات السخرية بقوة شجعان اليهود ، وسأل علي شجعان خيبر ان يبعثوا اليه برجل يثبت في المعركة ، وخرج اليه مرحب ، وكان هو حقاً سيد فرسان خيبر .

خرج الى علي بطيناً في كبرياء وثقة مطمئنة مهيباً ضخماً بيده حربة مخيفة ذات ثلاثة رؤوس ، وكل جسده الفارع الشاهق في الزرد ، والحديد يغطي رأسه وساقيه ، وليس في كل بدنه ثغرة ينفذ منها سيف العدو ..

وتقدم اليه علي بقامته المعتدلة بلا درع ، في يده السيف وحده ، وتوقع المسلمون واليهود جميعاً أنها نهاية علي .. ولكن علي استطاع ان يحسن الاستفادة من تخففه من الدروع والزرد ، وترك علي مرحباً يتقدم اليه بدروعه وزروده وحربته .. حتى اذا اوشك سن الحربة ان يمس صدر علي تراجع علي فجأة ، ثم قفز في الهواء متفادياً حربة مرحب ، ثم اقتحم وأهوى بكل قوته على رأس مرحب بالسيف ، وانفلق الحديد من على رأس مرحب ، وسقط سيف علي على الجمجمة فشقها نصفين ،

وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم ، وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين .

واندفع علي الى باب الحصن هو ورجاله يدكونه بكل طاقاتهم ، حتى اقتحموه ، واليهود الذين أذهلهم موت مرحب يفرون فزعين الى حصن آخر . غير ان المقاومة لم تدم طويلا .. فقد أعلن اليهود انهم مستعدون للاستسلام » .

باب خيبر

تكلم الناس كثيراً عن اقتلاع علي باب الحصن الخيبري ، وتحدثوا حوله باحاديث تشبه الاسطورة والخيال ، منها انه اقتلعه بكفه اليمنى ، وجعله جسراً على الخندق تعبر عليه الجيوش ، وكان اليهود قد خصصوا اثنين وعشرين رجلاً لاغلاقه وفتحه بالنظر لثقله وضخامته ، ومنها ان الامام رمى به في الهواء فارتفع عشرات الامتار ، ومنها انه اتخذه ترساً يقي به نفسه من الضربات ، الى غير ذلك من الحكايات التي منحت الامام لقب « قالع الباب » حتى قال الشاعر فيه :

يا قالع الباب الذي عن هزه عجزت أكف اربعون واربع

ومهما يكن ، فان دلت هذه الحكايات على شيء فانما تدل على شجاعة الامام في نفسه ، وقدرته العجيبة الخارقة في بدنه

ولندع هذه الحكايات ، وننظر الى ما جاء في كتب السنة في علي وباب خيبر ، قال الطبري : « لما دنا علي من الحصن خرج اليه اهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول علي باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده يقاتل

حتى فتح الله عليه ، ثم القاه من يده حين فرغ ، وقد اجتهد ثمانية نفر على ان يقلبوا ذلك الباب فلم يقلبوه » . وقال ابن هشام في السيرة : « وألقى علي الباب وراء ظهره ثمانين شبراً ، وفي رواية ان علياً لما انتهى الى باب الحصن اجتذبه فألقاه بالأرض ، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا حتى أعادوه الى مكانه .[1] »

والاستاذ الشرقاوي – كما رأينا – لم يأت على ذكر الباب واقتلاعه ولم يشر اليه من قريب او بعيد ، ولكن تصويره الرائع للمبارزة بين علي ومرحب يوحي بقدرة علي العجيبة الخارقة لكل عادة ، تماماً كما توحي بها تلك الحكايات التي أشرنا اليها ، فان اقتلاع الباب ، وجعله جسراً على الخندق ليس باعجب ولا أغرب من قفزة علي في الهواء ، وضربته التي فلقت الرأس والجمجمة الغارقة في الحديد من قرنها الى قدمها .

كرار غير فرار

قال العلامة الحلي في كتاب « نهج الحق » :

« جاء في مسند احمد من عدة طرق ، وصحيحي مسلم والبخاري من طرق متعددة ، وفي الجمع بين الصحاح الستة ايضاً عن عبدالله بن بريدة ، قال : سمعت ابي يقول : حاصرنا خيبر ، وأخذ اللواء ابو بكر ، فانصرف ، ولم يفتح له ، ثم اخذه عمر من الغد ، فرجع ، ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد ، فقال رسول الله (ص) : اني دافع الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله كرار

(1) انظر اعيان الشيعة ج ٢ ص ٣١٦ طبعة ١٩٥ .

غير فرار ، لا يرجع ، حتى يفتح الله له .

فبات الناس يتداولون ليلتهم ، ايهم يعطاها ؟. فلما أصبح الناس غدوا الى رسول الله (ص) كلهم يرجو ان يعطاها . فقال النبي : اين علي ابن ابي طالب ؟ فقالوا انه أرمد العين . فأرسل اليه ، فأتى ، فبصق رسول الله (ص) في عينه ، ودعا له فبرىء ، فأعطاه الراية ، ومضى علي فلم يرجع ، حتى فتح الله على يديه »

وقال الفضل بن روزبهان – وهو من اعلم علماء السنة – معقباً على قول العلامة الحلي : « حديث خيبر صحيح ، وهذا من الفضائل العلية لامير المؤمنون ، لا يكاد يشاركه فيها أحد ، وكم من فضائل مثل هذا » .

وقال الشيخ محمد حسن المظفر في كتاب « دلائل الصدق » : أن الحديث الذي نقله العلاّمة عن صحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحاح الستة ، ومسند احمد نقله الحاكم ايضاً في كتاب « المغازي » من المستدرك ج ٥ ص ٣٥٨ ، وصاحب « كنز العمال » ج ٦ ص ٣٩٤ ، والطبري في تاريخه ج ٣ ص ٩٣ ، وابن الأثير في ج ٢ ص ١٩٥

وفي هذا ابلغ الدلالة وأصدقها على تثبت الامامية في نقل الاحاديث ، وكل ما له صلة بعقيدتهم .

دلائل الصدق

ومن الخير أن نشير بهذه المناسبة الى قصة كتاب « دلائل الصدق » للشيخ المعظم الشيخ محمد حسن المظفر الذي لم تحو المكتبة الاسلامية نظيراً له . الف العلامة الحلي كتاب « نهج الحق وكشف الصدق » اثبت فيه عقيدة الشيعة الامامية بالبرهان ، ودافع عنها بما جاء في كتب السنّة بالذات ،

فرد عليه الفضل بن روزبهان الأشعري بكتاب اسماه « إبطال الباطل » فجمع الشيخ المظفر الكتابين في كتاب واحد ، ورد على الفضل ، وانتصر للعلامة وزاد عما ذكره العلامة من الادلة والارقام اضعافاً مضاعفة ، وذكر اسم الكتاب ورقم الصفحات التي ينقل عنها ، وسمى المجموع « دلائل الصدق» وقد جاء في ثلاثة مجلدات ، ويبلغ عدد صفحاته ما يقرب من الف وثلاثمئة صفحة بالقطع الكبير ، وطبع على ورق ابيض في طباعة حديثة رائعة . وهو يغني عن كل كتاب قديم وحديث في هذا الباب ، لأن صاحبه من اعاظم علماء الامامية في هذا القرن ، فهو متقدم في علمه ، متأخر في زمنه ، فأحاط بعلوم الاولين ، وزاد عليها ما لا يقبل المزيد . رضوان الله عليه ورحمته ، وشكر جهوده المثمرة النافعة ، وجعل حظه من الجنان حظ الاولياء والصديقين .

حنين

٥ ـ حنين اسم وادٍ قريب من الطائف ، ويبعد عن مكة ثلاث ليالٍ ، وكانت غزوة حنين في شهر شوال السنة الثامنة من الهجرة ، وفتح مكة كان في شهر رمضان المبارك من السنة نفسها .

عدد الجيش

لما فتح الله على نبيه مكة المكرمة خافته هوازن وثقيف ، فجمعوا لحربه ثلاثين الف مقاتل ، وبلغ رسول الله ما اجمعوا عليه ، فتهيأ للقائهم باثني عشر الف رجل ، عشرة آلاف من اصحابه الذين فتح بهم مكة ، والفان ممن اسلم بعد الفتح ، ومنهم الطلقاء امثال ابي سفيان وابنه معاوية .

القتـــال

توجه النبي بجيشه الى هوازن ، وكان طريقه على وادي حنين ، وكان وادياً ضيقـــاً أجوف منحدراً ، ينحط فيه الركب ، كـــأنهم يسيرون في هاوية ، وكان جيش العدو قد سبقهم الى احتلال مضايقه ، وكمن فيها ، وما إن وصل المسلمون الى الوادي ، حتى امطرهم العدو بوابل من السهام ، فانهزم الناس وتفرقوا عن النبي لا يلوي احد على احـــد ، وكـــان اول المنهزمين الطلقاء ابا سفيان ، ومن لف لفه ، ونظر ابو سفيان الى هـــذه الهزيمة نظرة الشامت الحقود ، وفرح فرحاً شديداً ، وقال : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » .

وثبت مع رسول الله عليّ شاهراً سيفه بين يدي الرسول ، والعباس ابن عبدالمطلب ، وكان آخذاً بلجام بغلة الرسول ، والفضل بن العبـــاس عن يمين النبي ، والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب عن شماله ، وحـــين رأى المشركـــون انهزام المسلمين خرجوا من شعاب الوادي ، ومضايقه مصلتين سيوفهم ، وقصدوا رسول الله ، فقال النبي لعمه العباس ، وكان جهوري الصوت : ناد القوم ، وذكرهم العهد ، فنادى بأعلى صوتـــه : يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة الى أين تفرون ؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله (ص) ، فلما سمع الانصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم ، وهم يقولون : لبيك لبيك ، فاستقبل بهم النبي الاعداء واقتتل الفريقان قتالاً شديداً .

وكان حامل راية المشركين وطليعتهم رجلاً يدعى أبا جرول ، فكان يكر على المسلمين وينال منهم ، فبرز له علي وقتله ، وبقتله تمّ النصر للنبي

والمؤمنين ، ولما علم الطلقاء ، ومن اليهم بانتصار المسلمين ، وكثرة الغنائم رجعوا الى رسول الله (ص)

المؤلفة قلوبهم

قال الشيخ محمد الغزالي في كتاب « فقه السيرة » ص ٢٩٧ وما بعدها ، وهو العالم والمؤلف المعروف ، ومفتش الاوقاف في القاهرة ، قال :

« بدأ النبي بقسمة المال ، فكان المؤلفة قلوبهم اول من اعطى ، بل اول من حظي بالانصبة الجزلة ، فأخذ أبو سفيان مئة من الابل ، واربعين اوقية من الفضة ، فقال : وابني معاوية ، فمنح مثلها لابنه معاوية ، فقال وابني يزيد ، فمنح مثلها لابنه يزيد ... والعجب ان هؤلاء الذين فروا عند الفزع هم الذين كثروا عند الطمع ، وشاء النبي ان يلطف معهم ، وينسى ماضيهم تكرماً وتألفاً ، وماذا يصنع ؟ ان في الدنيا اقواماً كثيرين يقادون الى الحق من بطونهم لا من عقولهم ، فكما تهدى الدواب الى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد اليها فمها ، حتى تدخل حظيرتها آمنة !. فكذلك هذه الاصناف من البشر ، تحتاج الى فنون من الاغراء ، حتى تستأنس بالايمان وتهش له » .

ولكن ابا سفيان أكل الحشيش ، ولم يدخل الحظيرة ، ولا استأنس بالايمان ، ولا هش له ، وظل هو وولده معاوية وحفيده يزيد يكيدون للاسلام ونبيه وآله ، ويعملون على تفريق المسلمين . وتفتيت قوتهم ووحدتهم .

ام سليم

كان مع النبي في معركة حنين امرأة اسمها أم سليم ، فرآها احـد الاصحاب ، وهو ابو طلحة ، وفي يدها خنجر ، فقال لها : ما هـذا يا أم سليم ؟ قالت : ان دنا مني مشرك بعجت بطنه . فقال ابو طلحة للنبي : اما تسمع ما تقول ام سليم ؟. فضحك النبي . فقالت ام سليم يا رسول الله اقتل بخنجري الطلقاء الذين انهزموا عنك . فقال لها : ان الله قد كفى واحسن يا ام سليم .

الاعرابي

جاء اعرابي الى الرسول ، وهو يفرق الغنائم فجذبه من ثوبه جذبة شديدة ، وقال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليـه النبي وضحك ، ثم امر له بعطاء .

ذو الخويصرة

لما قسم النبي غنائم حنين اقبل ذو الخويصرة ، وكان رجلا طويـلا بين عينيه اثر السجود ، وقال لرسول الله : قد رأيت ما صنعت في هذه الغنائم ! .. قال النبي وكيف رأيت ؟ قـال : لم ارك عدلت . فغضب رسول الله ، وقال : ويلك اذا لم اعدل انا فمن يعدل ؟! .. فقال المسلمون : الا نقتله ؟ قال : دعوه ، فسيكون له اتباع يمرقون من الدين ، كما يمرق

السهم من الرمية ، يقتلهم الله على يد احب الخلق اليه من بعدي ، فقتله الامام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج .

اعاذني الله وإياك ايها القارىء من أهل الجباه السود ، وصرف عنك وعني بلاءهم وجهلهم ورياءهم .

النبي والانصار

قسم رسول الله (ص) غنائم حنين في قريش ، واجزل العطاء للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان ومن اليه ، فغضب قوم من الانصـــار ، وقالوا : لقي رسول الله قومه فحاباهم . فبلغ الرسول عنهم ذلك . فجمعهم ، ولم يكن احد غير الانصار الا النبي وعلي .

قال لهم النبي : اني سائلكم عن امر فاجيبوني

قالوا : قل يا رسول الله .

قال : ألستم كنتم ضالين فهداكم الله بي ؟! ألم تكونوا على شفا حفرة من النار ، فانقذكم الله بي ؟! ألم تكونوا قليلا فكثركم الله بي ؟! وعــالة فاغناكم الله بي ؟! واعداء فألف بين قلوبكم بي ؟!

قالوا : بلى والله ، فلله ولرسوله المن والفضل .

ثم قال لهم : ألا تجيبوني بما عندكم ؟!.

قالوا : بماذا نجيبك فداك آباؤنا وامهاتنا ؟!.

قال : اما لو شئتم لقلتم فصدقتم ، وانت قد جئتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وخائفاً فأمناك ، وعائلا فآسيناك .

فارتفعت اصواتهم بالبكاء وقاموا اليه يقبلون يديه ورجليه ، وقالوا : رضينا بالله وبرسول الله ، وهذه اموالنا بين يديك فاعطها لمن شئت ،

وقسمها بين قومك

فقال النبي : اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولأبناء ابناء الانصار ، يا معشر الانصار ألا ترضون ان يرجع غيركم بالشاء والنعم ، وترجعون انتم وسهمكم برسول الله ؟!

قالوا : بلى رضينا

فقال النبي : الانصار كرشي وعيبتي ، لو سلك الناس وادياً ، وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار .

واني لأعرف افراداً معرفة شخصية يكفرون بابي سفيان نظريا ، ويسيرون بسيرته عمليا ، يتوارون عن ميدان الكفاح والجهاد في سبيل الحق ، ولا يناصرون اهله بكلمة واحدة ، بل ولا باضعف الايمان ، بل ويضمرون لهم العداء ، ويشمتون ويفرحون اذا انزلت بهم نازلة ، كما شمت وفرح ابو سفيان بهزيمة المسلمين عن النبي ، ويمدون اعناقهم وايديهم الى الغنائم اينما كانت وتكون ، فهم مع الشاء والعطاء ، لا مع الرسول وآل الرسول ، وان لهجوا بذكرهم ، ونادوا باسمهم ، انهم تماماً كما قال الشيخ الغزالي : يقادون من امعائهم وبطونهم ، لا من عقولهم وايمانهم .

بقية الغزوات

هذا مجمل حروب الامام مع النبي في غزواته ، وهناك غزوات اخرى للنبي شارك فيها الامام ، وقتل بعض أبطال المشركين ، كغزوة بني النضير ، وغزوة بني المصطلق ، وغزوة وادي القرى ، وغزوة الطائف ، ولكن المسلمين لم يلقوا في هذه الغزوات مقاومة تذكر ، اذ كان العدو ضعيفاً للغاية يستسلم من الجولة الاولى ، ففي غزوة الطائف كان الامام هو القائد ،

وما ان قتل اول فارس من المشركين ، حتى استسلم الباقون ، ودخل الامام المدينة ، وكسر الاصنام كما امره النبي ، وهكذا كانت الحال في غزوة بني النضير والمصطلق ووادي القرى ، يقتل المسلمون بعض الافراد من المشركين ، وتنتهي المعركة .

اما حروب الامام بعد النبي (ص) فثلاث : الجمل ، وصفين ، والنهروان ، الناكثون ، والقاسطون ، والمارقون .

الجمل

٦ ــ سميت هذه الحرب بوقعة الجمل ، لان قائدة الجيش ، وهي السيدة عائشة فضلت ركوب الجمل على البغال والحمير ، قال المستشرق الالماني « كارل بروكلمن » في الجزء الاول من «تاريخ الشعوب الاسلامية» ص ١٣٩ : « توقفت المعركة امام الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة ، وتستفز من على ظهره المقاتلين حسب العادة العربية العريقة ــ اي عادة الجاهلية الجهلاء ــ ولم تتم الغلبة لعلي الا بعد ان عقر الجمل الذي خلع اسمه على هذه المعركة في ٤ كانون الاول سنة ٦٤٦ م ، وعرضت عائشة على المنتصر تأييدها ، ولكنه رفض . وعن الواقدي والمسعودي ان الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ .

صاحبة الجمل

ركبت الجمل ، تسير عليه من بلد الى بلد ، تخطب بصوت جهوري ،

---

(١) الطبري ج ٥ ص ١٨٣ ١٨٤ .

وتكتب الى الآفاق بتوقيع ام المؤمنين [1] تشعل نار الحرب ، وتفرق كلمة المسلمين الى شيع واحزاب يقتل بعضهم بعضاً .

آخى النبي بين المسلمين وألف بين قلوبهم ، وفعلت عائشة ما فعلت من القاء العداوة والبغضاء بين الاصحاب واتباع الرسول الذين استجابوا لدعوته وجاهدوا بين يديه لاعلاء كلمة الاسلام .

وامر الله والرسول ان تقر النساء في البيوت ، ووقفت عائشة علماً للجيش لم تراع للنبي ستراً ولا حرمة .

قالت لها ام سلمة : اقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ، ثم قيل لي : ادخلي الفردوس لاستحييت ان القى محمداً هاتكة حجابا قد ضربه عليّ ، اجعلي حصنك بيتك ، والستر قبرك ، حتى تلقيـــه ، وانت على ذلك اطوع ما تكونين لله ما لزمته ، وانصر ما تكونين للدين ما جلست عنه .

وقال الامام : والله ان راكبة الجمل الاحمر ما تقطع عقبة ، ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه ، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة

وقال لهـــا جارية بن قدامة السعدي : يا ام المؤمنين ، والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون ، عرضة للسلاح ، انه قد كان لك من رسول الله ستر وحرمة ، فهتكت سترك ، وأبحت حرمتك ، انه من رأى قتالك يرى قتلك [1] .

القاتل يطلب الثأر

كانت السيدة عائشة بمكة المكرمة حين قتل عثمان ، ولما بلغهـــا الخبر قالت :

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ١٠٩ حوادث سنة ٢٦ واعيان الشيعة نقلا عن الطبري .

ابعده الله ، ذلك بما قدمت يداه ؛ واسرعت الى المدينة ، وهي لا تشك ان ابن عمها طلحة قد بويع بالخلافة ، ولعلمها بانه السبب الاول في قتل عثمان ، ولما اخبرها عبيد بن ام كلاب أن الناس بايعوا علياً قالت : قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه . فقال لها ابن ام كلاب : ولمَ ؟ فوالله أول من امال حرفه لأنت ، فلقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر [1]

ولعل قائلاً يقول : ن ام المؤمنين اجتهدت وتغير رأيها ، رأت اولاً أن عثمان يستحق القتـل ، ثم رأت انه قتل مظلوماً ، ولها في الحالـين عذرها واجتهادها .

الجـواب

١ ـ انها بقيت امداً طويلاً تحرّض عليـه ، وتقول : اقتلوا نعثلا فقد كفر .

٢ ـ انها طلبت الدم من غير قاتله ، وتعاونت مع طلحة ، ودعت الى مبايعته ، مع انه كان أشد الناس على عثمان ، وهو الذي قاد الثورة ضده ، وقد قتله مروان بن الحكم اخذاً بثأر عثمان .

٣ ـ انها ليست ولية للدم . حتى تطلب به ، ولا هي خليفة المسلمين ، حتى تقيم الحدود ، ومتى قام عامود الدين بالنساء ؟ ! . [2]

٤ ـ انها نست او تناست ، وهي حافظـة الاحاديث ، اخوة النبي لعلي ، وقوله : سلمك سلمي ، وحربك حربي ، وقوله :علي مع الحق ، وقوله :

---

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ١٠٥ حوادث سنة ٣٦ .

(٢) انظر دلائل الصدق ج ٣ ص ١٣٢ ، واحاديث ام المؤمنين عائشة للعسكري ص ١٦٦ .

علي مني وأنا من علي ، وقوله لا يبغض علياً الا من خرج من الايمان ، وما الى ذلك من الاحاديث التي تغصّ بها الكتب والمجلدات .

٥ ـ أن تبدّل الرأي ، وان كان ظاهرة طبيعية في الانسان الا ان له ظروفاً خاصة ، واسباباً معينة تخرج عن الارادة والاختيار ، ومحال ان يتبدل النظر ، ويتغير الرأي مع وحدة الاسباب ، وبقاء الظروف ، محال ان يكون الانسان صادقاً في قوله : هذا حق ، ثم في قوله : هذا باطل في مجلس واحد ، وكلام واحد ، دون أن يحدث أي شيء ، فاذا حصل شيء من هذا فلا يكون تبدلاً للرأي والنظر ، وانما هو تناقض وتهافت وخضوع للاهواء والاغراض ، قال المنذر بن الجارود لعائشة ومن معها : لقد كان عثمان بين اظهركم فخذلتموه ، فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي ؟

وقد اتفق المؤرخون جميعاً على أن هوى السيدة عائشة كان مع طلحة، وانها ما ابنت عثمان بقولها : « ابعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » الا وهي على يقين من أن الناس قد بايعوا طلحة ، فلما انكشف لها الامر صار عثمان مظلوماً بعد ان كان ظالماً ، وكذا حين انتصر الامام عليها اصبح محقاً بعد أن كان مبطلاً ، وعرضت عليه تأييدها ، بعد ان قادت الجيوش لحربه .

وبالتالي ، فان الذين تتبدل آراؤهم وانظارهم ، ويأتون بأحكام متضاربة متناقضة يحتاجون الى حجج أتم واقوى من كل حجة تبرر هذا التبدل والتغيير ، ولا ندري كيف خفيت هذه الحقيقة على ام المؤمنين ، وهي الذكية الفطنة ؟!. ونحن لم نجد عندها اية حجة تبرر عدولها عن القول « ابعده الله » الى القول « قتل مظلوماً » الا انها زوجة رسول الله ، وصدق الله العظيم ، حيث يقول :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ــ ١٠ التحريم » .

طلحة والزبير

طلحة بن عبدالله التيمي قرابة الخليفة الثاني ابي بكر والزبير بن العوام بن خويلد بن اسد ، وامه صفية بنت عبد المطلب ، فهو ابن عمة النبي ، وابن اخي خديجة الكبرى ام المؤمنين وزوج اسماء بنت ابي بكر اخت عائشة ، وكان طلحة والزبير ممن بايعا علياً مع الناس ، ثم سألاه ان يشركهما في الحكم ، وان يولي احدهما البصرة ، والآخر الكوفة ، فابى وحين قسم العطاء ساوى بينهما ، وبين الموالي ، فكان نصيب كل منهما ثلاثة دنانير ، فقال طلحة : « ما لنا من هذا الامر الا كلحسة الكلب انفه » . [1]

وقال الاستاذ جورج جرداق في كتاب « الامام علي » ج ٤ ص ٩٢٦ :

« ان القريشيين في معظمهم يكرهون علياً . . وفي طليعتهم طلحة والزبير ، ولم يجدا مفراً من مبايعة علي ، لأن الرأي العام في المجموعة العربية ، وفي الاقطار المفتوحة ، ولا سيما مصر لم يكن يجيز استخلاف احد سوى ابن ابي طالب ، ذلك ان صفاته هي الصفات التي تنشدها الثورة الاجتماعية في شخصية الخليفة ، فالثورة تنشد العدل في

(١) نقل هذا العسكري في كتاب « احاديث ام المؤمنين عائشة » في ص ١٢٢ عن اليعقوبي والطبري ابن ابي الحديد .

الامصار ، والرأفة بالمستضعفين ، وتأميم بيت المال ، ومنع الاحتكار في المنافع العامة ، وجعل الحكم توجيهياً ، وتطبيقاً لمفاهيم العدالة ، وما كان لذلك غير علي .

اما اشد منافسي علي طمعاً بالخلافة فهم طلحة والزبير ، وهـذان لم يتوفر فيهما شيء من صفات الحـاكم الذي تريده الثورة .. فقد كانا من الراغبين في الملك والمال والجاه » .

عدد الجيش

كان عسكر الامام عشرين ألفـاً ، وعسكر عائشة ثلاثين ، ونقـل المسعودي في الجزء الثاني وصفاً رائعاً عن المنذر بي الجارود لعسكر الامام نوجزه بما يلي :

قال المنذر : لما قدم علي البصرة خرجت انظر اليه ، فاذا بموكب في الف فارس يتقدمهم فارس على فرس اشهب ، عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفـاً ، ومعه راية ، واذا تيجان القوم الاغلب عليهـا البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح ، فقلت من هذا ؟ قالوا : هذا ابو ايوب الانصاري صاحب رسول الله (ص) وهؤلاء الانصار .

ثم تلاه فارس آخر ، عليه عمـامة صفراء ، وثياب بيض ، متقلد سيفـاً ، متنكب قوساً ، ومعه رايـة ، وهو على فرس اشقر في نحو الف فـارس ، قلت : من هذا ؟ قالوا خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين [1] .

ثم مر فارس آخر على فرس أشهب ، عليه ثياب بيض ، وعمـامة

(١) سمي « ذو الشهادتين » لان النبي جعل شهادته شهادة رجلين .

سوداء ، وقد سدلها من بين يديه ومن خلفه ، شديد الأدمة عليه سكينة ووقار ، رافع صوته بقراءة القرآن ، وحوله مشيخة وكهول وشبان ، كأنما قد اوقفوا للحساب قد أثر السجود في جباههم ، فقلت : من هذا ؟ قيل : هذا عمار بن ياسر في عدة من اصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار وابنائهم .

ثم مر آخر وآخر ، حتى ورد موكب فيه خلق من الناس ، عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات ، يتقدمهم رجل كأنما كسر وجبر ــ اي شديد الساعدين ينظر الى الارض اكثر من نظره الى فوق ــ وعن يمينه شاب حسن الوجه ، وعن يساره شاب حسن الوجه ، وبين يديه شاب مثلهما ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا علي بن ابي طالب ، وهذان الحسنان عن يمينه وشماله ، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى والذين خلفه عبدالله بن جعفر وولد عقيل وغيرهم من فتيان قريش ، وهؤلاء المشايخ من حوله أهل بدر من المهاجرين والانصار .

الدعوة الى السلم

قال الامام لأصحابه لا تبدأوا القوم بقتال ، وكلموهم بألطف الكلام.. واذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، واذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من اموالهم شيئاً ... ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وان شتمن اعراضكم ، وسببن امراءكم وصلحاءكم .

وأخذ الامام مصحفاً ، وقال : من يأخذ هذا المصحف ، ويدعوهم

الى ما فيه ، وهو مقتول ؟ فقام اليه فتى من أهل الكوفة ، وقال : انا . فاعرض عنه الامام . ثم قال الامام : من يأخذ هذا المصحف ، ويدعوهم الى ما فيه ، وهو مقتول ؟ قال الفتى : انا . فدفعه اليه ، ودعاهم الى الله ، فقطعوا يده اليمنى ، فأخذه باليسرى فقطعوها ، فأخذ القرآن بصدره فقتلوه . ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين ، ودعاهم الى المسالمة ، وترك الحرب، ودنا من عائشة ، وقال : ماذا تريدين ؟ قالت : الطلب بدم عثمان . قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي ، والطالب بغير حق ، وانشأ يقول :

فمنك البكاء ومنك العويل   ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام   وقاتله عندنا من امر

فرشقه اصحاب الجمل بالنبل . فرجع ، وقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين ؟! ليس لك عند القوم الا الحرب .

القتال

أخذ اصحاب الجمل يرمون عسكر علي بالنبل رمياً متتابعاً ، حتى قتل ثلاثة او أكثر ، وضج اليه اصحابه ، قالوا : عقرتنا سهامهم ، وهذه القتلى بين يديك ، عند ذلك استرجع الامام ، وقال : اللهم اشهد . ثم لبس درع رسول الله ذات الفضول ، وتقلد ذا الفقار ، ودفع راية رسول الله السوداء ، وهي المعروفة بالعقاب ، دفعها الى ولده محمد بن الحنفية، وقال للحسن والحسين : انما دفعت الراية لأخيكما ، وتركتكما لمكانكما من رسول الله .

وبعد ان اصطف الفريقان وتقابـلا للقتال ، قالت عائشة : ناولوني كفاً من الحصاة ، فأخذتها ، وحصبت بهـا وجوه اصحاب الامـام ، وصاحت بأعلى صوتهـا : شاهت الوجوه ، كما صنع رسول الله يوم بدر ، فناداها رجل من اصحاب عـلي : وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى .

وترك الزبير القتال بعد أن ذكره الامام بقول النبي له : « انك والله ستقاتل علياً ، وأنت له ظالم » وتبعه ابن جرموز فقتله غيلة ، اما طلحة فقال له الامام : جئت بعرس رسول الله (ص) تقاتل بهـا ، وخبأت عرسك في البيت ؟ انشدك الله أسمعت رسول الله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ؟ قال طلحة : نعم ، ولكن جئت أطلب بدم عثمان . وحين اتيحت الفرصة لمروان بن الحكم رمى طلحة بسهم فقتله ، وقال : والله ان دم عثمان عند هذا .

وحين استوت الصفوف قال الامام لمحمد بن الحنفية : اقدم بالرايـة حتى تركزها في عين الجمل . وما ان قدم محمد حتى رشقته السهـام من كل جانب ، فوقف رويداً لتخف السهام ، فقال له ابوه : احمل عليهم قال : اما ترى السهام كالمطر ؟! فدفع صدره ، وقال : اخذك عرق من امك ، ثم اخذ الراية فهزها ، وقال :

اطعن بها طعن ابيك تحمد لا خير في الحرب اذا لم توقد

وشد على عسكر العدو ، فضعضع اركانه ، وفرت الرجال من بين يديه فرار المعزى من الذئب ، وجرت الأرض بدمـاء القتلى ، وانحنى سيفه ، فرجع الى معسكره ، وقوّمه بركبته وأرجع الراية الى ولده محمد فحمل حملات أزال القوم عن مواقفهم ، فقال بعض اصحاب الأمـام

للامام : لو كان غير محمد لافتضح ، وقالت الانصار : يا امير المؤمنين لولا الحسن والحسين لما قدمنا على محمد احداً من العرب . فقال الامام : اين النجم من الشمس والقمر ؟!

وتكاثفت الرجال حول الجمل كلما خف قوم جاء اضعافهم ، وكان الامام يزأر زئير الأسود ، يحمل على القوم الحملة تلو الحملة ، حتى خاف عليه أصحابه ، وقالوا له : انك ان تصب يذهب الدين ، فأمسك ، ونحن نكفيك . فقال : والله ما اريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة .

ولما كثرت القتلى ، قال الامام : ارشقوا الجمل بالنبل ، واعقروه وإلا فنيت العرب ، ولا يزال السيف قائماً ، حتى يهوي هذا البعير الى الارض ، فقطعوا قوائمه ، فوقف اهل البصره تحته ، وحملوه باكتافهم ، ولما رأى الامام ان الموت عند الجمل وضع سيفه على عاتقه ، وعطف نحوه ، وتبعه اصحابه ، وفيهم عمار والاشتر ، واشتد القتال ، واستمات بنوضبة دون الجمل ، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ولكن الامام وصل مع جماعة من اصحابه الى الجمل ، وامر احدهم بضربه ، فضرب عجز الجمل بالسيف فوقع لحينه على الارض ، وعج عجيجاً لم يسمع باشد منه ، ففرت الرجال ، كما يطير الجراد المنتشر في الريح الشديد ، واحتملت عائشة بهودجها الى بعض الدور في البصرة .

وما ان القي السلاح ، حتى نادى الامام بالعفو العام عن كل من القى السلاح ، حتى مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير ، اعدى اعداء الهاشميين بعامة والامام بخاصة

ولما فتح امير المؤمنين البصرة ، دخل بيت المال وقسم ما فيه فلحق الرجل خمسمئة درهم ، فاخذ هو كأحدهم فجاءه انسان لم يحضر الواقعة

وقال : يا امير المؤمنين كنت معك في قلبي ، وان غاب عنك جسمي ، فاعطني من الفيء شيئاً . فدفع اليه الخمسمئة بكاملها .

وارجع الامام عائشة الى بيتها التي امرها الله ان تقر فيه ، وبعث معها اخاها عبد الرحمن ، وجهزها باحسن جهاز ، وأمر لها باثني عشر الف درهم

عدد القتلى

قال المسعودي ج ٢ ص ٣٦٠ طبعة سنة ١٩٤٨ :

قتل من اصحاب الجمل ثلاثة عشر الفا ، ومن اصحاب علي خمسة آلاف ، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد .

آثار الفتنة

لا اعرف احداً من الباحثين والمفكرين نظر الى حرب الجمل نظرة جدية ، وقاسها باسوائها ، وما نجم عنها من اضرار ، وتمنيت لو اتيح لها من يدرسها دراسة موضوعية تكشف عن خصائصها وآثارها العميقة البعيدة ، ان لكل حادثة آثاراً قهرية لا تنفك عنها بحال ، سواء أكانت تلك الحادثة من الظواهر الطبيعية ، ام من عمل الانسان ، وبمشيئته واختياره .

وبعد ، فما هي الآثار التي تركتها فتنة الجمل ؟

ويستطيع العارف الخبير ان يضع كتابا خاصاً في الجواب عن هذا السؤال ، اما نحن فنكتفي – الآن – بالاشارة التالية :

لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفين والنهروان ، ولا مذبحة كربلاء ، ووقعة الحراء ، ولا رميت الكعبة المكرمة بالمنجنيق أكثر من

مرة ، ولا كانت الحرب بـين الزبيرين والامويين ، ولا بين الأمويين والعباسيين . ولما افترق المسلمون الى سنة وشيعة ، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشتات ، ولما صارت الخلافة الاسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان ، ويتلاعب بها الخدم والنسوان .

لقد جمعت حرب الجمل جميع الرذائل والنقائص ، لأنها السبب لضعف المسلمين واذلالهم ، واستعبادهم وغصب بلادهم ، فلقد كانت اول فتنة القت بأس المسلمين فيما بينهم ، يقتل بعضهم بعضاً ، بعد ان كانوا قوة على اعدائهم ، كما أفسحت المجال لما تلاها من الفتن والحروب الداخلية التي أودت بكيـان المسلمين ووحدتهم ، ومهدت لحكم الترك والديلم والصليبين وغيرهم . وبالاختصار لولا فتنة الجمل لاجتمع اهل الارض على الاسلام ، لان رحمته تشمل جميع الناس اجمعين : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . وقال النبي (ص) : انما انا رحمة مهداة .

لقد تذرع قادة حرب الجمل بـدم عثمان ، ولنفترض ان عثمان قُتل مظلوماً ، وان الذين طالبوا بدمه كانوا مخلصين ، ولكن ماذا كانت النتيجة ؟! طالبوا بدم رجل واحد ، فقتلوا الالوف من الابرياء ، ولم يقتلوا قتلة عثمان ، وجروا الويلات والنكبات على الاسلام ، ومـا زال المسلمون يعانون اسواء تلك الفتنة ، حتى اليوم ، وسيعانونها الى آخر يوم .

لقد نُحي الامام عن الخلافة ، وهو يعلم ، والناس كلهم يعلمون ان محله منها محل القطب من الرحى – كما قال – ومع ذلك سكت حين بويع للاول ، وسكت ايضاً حين بويع للثاني وللثالث ، ولم يحرك ساكناً لا لشيء ، الا ليجنب الاسلام والمسلمين تلك المخاطر والمفاسد التي ترتبت على فتنة الجمل ، فلماذا لم يسكت طلحة والزبير والسيدة عائشة ، مراعاة

لمصلحة الاسلام ، كما سكت الامام ؟ لقد امتنع عبدالله بن عمر [1] وحسان بن ثابت واسامة بن زيد عن بيعة علي ، واعتزلوا الناس ، فتركهم الامام وشأنهم ، ولما قيل له : لو دعوتهم الى البيعة . قال : لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا . فلماذا لا يعتزل طلحة والزبير كما اعتزل ابن عمر ؟ لماذا أركبا ام المؤمنين الجمل ، يسيران بها من بلد الى بلد ، وخبآ نساءهما في البيوت ؟!

لقد رأت السيدة عائشة ، ورأى معها طلحة والزبير المهاجرين والانصار وابناءهم حول الامام شاهرين السلاح مصممين على القتال ، والدفاع عن النفس اذا هوجموا ، فلماذا اصر اصحاب الجمل على الهجوم وامطروا عسكر الامام بالنبل ، وقتلوا منه اكثر من واحد قبل ان يسمعوا كلمة واحدة ؟ ولماذا رفضوا دعوة الامام الى كتاب الله وسنّة الرسول ، وابوا الا الحرب ؟! لماذا اختاروا القتال ، ولم يؤثروا مصلحة الاسلام على اهوائهم واغراضهم ؟! وهل يكفي ان يقول القائل : أنا مسلم ، ثم لا يكون فعالاً ، ولا ناصحاً لله ورسوله ؟ ! ، وكيف فات ام المؤمنين ، وهي الذكية الفطنة ان فتنة الجمل لم تكن بنتائجها الوخيمة حرباً ضد علي بالذات، بل ضد الاسلام ونبي الاسلام؟!

لقد كانت ام المؤمنين ذكية فطنة ما في ذلك ريب ، وكانت ايضاً تحفظ الاحاديث ، وكان طلحة والزبير من الاصحاب ، وحضرا مع الرسول بعض حروبه ، ولكن هل تقاس الفضيلة والعظمة بمجرد الذكاء والصحبة وحفظ الحديث ، دون اعتبار لأي شيء آخر ؟!

---

(١) قال بن عبد البر في الاستيعاب : لقد ندم ابن عمر على تركه بيعة علي حين حضرته لوفاة . وقال المسعودي : قعد عبدالله بن عمر عن بيعة علي ، وبايع يزيد بن معاوية بعد ذلك ، بايع الحجاج لعبد الملك بن مروان .

وهل يجب ان نقدس ونعظم الاذكياء والحفاظ مهما اتوا ومهما فعلوا؟! ولا شيء اكثر ضرراً وخطراً من أن نثق بانسان اكثر مما يستحق.

وبالتالي، فان الانسان لا يقاس بعملٍ من اعماله، ولا بصفة من صفاته، وانما باعماله وصفاته كمجموعة واحـدة حقيقية لا تقبل التبعيض والتجزئة، تماماً كجمال الجسم الذي يقاس بسلامة جميع الاعضاء.

وكم رأينا من يتواضع، ويلبس جلد الحمل لغايات شيطانية. ومن يتصدق بالاموال لاغراض تجارية ؟! ونحن لا ندعـي ان طلحة والزبير والسيدة عائشة اظهروا الاسلام لمآرب شخصية، في عهد الرسول، وانما نقول: يجب ان لا ننظر الى صحبتهم للنبي (ص) ثم نتجاهل فتنة الجمل، وما تركته من آثار واضرار، وقديماً قيل: «الامور بخواتيمهـا» .. وصدق الله العظيم: «ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احدا ـ ٥٠ الكهف»

صفين

٧ ـ قال ياقوت في معجم البلدان: «صفين موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات من الجانب الغربي» وهي الآن جزء من اراضي الجمهورية العراقية بالقرب من الحدود السورية.

سبق معاوية الى هذا المكان، واحتله بعسكره وملك الشريعة، وحصنها بالخيل والرجال، ليمنع علياً، ومن معه من الماء، ولما وصل الامام الى صفين، ورأى ما فعل معاوية ارسل اليه أن يخلي بين الناس والمـاء، فابى، فقال له ابن العاص: خل الماء، فلن يعطش علي، وانت ريان،

فلم يأخذ برأيه ، فطرد جيش الامام أهل الشام ، وغلبوهم على الماء ، وعندها قال معاوية لابن العاص : ما ظنك أيمنعنا علي من الماء كما منعناه ؟ فقال : ان علياً لا يستحل منك ما استحللت منه . وبعث الامـــام الى معاوية من يقول له : نحن لا نكافيك بصنعك ، هلم الى الماء ، فنحن وانت فيه سواء .

وليس بعجيب اذا منع معاوية الماء وأباحه علي !.. فهنا الامامة الحقة والرحمة الشاملة ، وهناك الانتهازية والحقد . قال الاستاذ جرداق بعد ان نقل حكاية المـــاء : « لو كان في جيش معاوية قبس من الخلق الكريم لادركوا بهذا الحادث انهم بمناصرتهم معاوية على علي انما يناصرون انتهازيا على نبي » (الامام علي ج ٤ ص ٩٧٣) .

وصل الامـــام الى صفين في ذي القعدة ، وابتدأت الحرب في اول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ ، وحصلت الهدنة في المحرم سنة ٣٧ ، واستؤنف القتال في اول صفر ، وانتهى في ١٣ منه

معاوية وعثمان

معاوية وعثمان ابنا عم ، ينتهي نسب كل منهما الى امية بن عبد شمس ، وكان عثمان خليفـــة المسلمين ، وكان معاوية اميراً على الشام من قبله ، وحين حوصر عثمان استنجد بعامله وابن عمه معاوية ، ولكنه خذله ولم ينجده . وقال الاستاذ جرداق وغيره : ان معاوية لم يخـــذل عثمان إلا طمعاً بأن يكون هو الخليفة من بعده .

والذي نراه ان معاوية لم يطمع بالخلافة ، ولم يحدث بهـــا نفسه قبل فتنة الجمل ، لأنه يعلم مكانه ، وانه احقر من ان يطمع بالخلافة ، وهو

الطليق ابن الطليق ، وفي المسلمين السابقون المقربون .. وقد سمع معاوية عمر بن الخطاب يقول : الخلافة محرمة على الطلقاء . والسبب الوحيد لتخلف معاوية عن مناصرة عثمان انه رأى قوة الحزب المعارض ، وعلى رأسه الصحابة كالزبير وطلحة ، ورأى تأييد الرأي العام للثورة ضد عثمان ، فخاف اذا هو أعلن مناصرته لعثمان ان تدور عليه الدائرة بعد انتصار الثورة وظفرها ، وان يصيبه ما أصاب الخليفة ، او يحرم من امارة الشام على الأقل ، فوقف يتربص ويرتقب استغلال الفرص والظروف ، شأن السياسي المحترف الذي لا يهتم بقريب او بعيد ، ولا يدين بمبدأ او دين ، ولا يعمل إلا على اساس الربح والمصلحة . وكذلك مروان بن الحكم ، لو لم يكن هو المطلوب للثوار بالذات لترك قريبه عثمان وأعلن انضمامه الى الثوار ، او وقف موقف المترقب كما فعل معاوية . وهذا شأن كل سياسي محترف في كل زمان ومكان ، وما أكثر الشواهد والارقام .

وبعد ان قُتل عثمان ، وبويع الأمام اسقط في يد معاوية ، وحتار في أمره ، فهو يعلم علم اليقين ان علياً سوف يبعده عن امارة الشام ، وانه سيطبق احكامه العادلة الصارمة على الجميع ، وان الناس ، كل الناس ، سيتساوون في الحقوق ، ولم يبق لاحد اية ميزة على غيره ، ولكن سرعان ما قدمت له فتنة الجمل الحل لهذه المعضلة ، فتذرع بدم عثمان ، وانتحله بعد ان خذله ، تماماً كما فعل أصحاب الجمل الذين لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان ، ثم اتهموا الامام انه المدبر لقتله . قال ابن سيرين : « ما علمت ان علياً اتهم بدم عثمان ، حتى بويع ، فلما بويع اتهمه الناس » .

معاوية يساوم

قال الرواة : إن المغيرة بن شعبة اشار على الامام ان يثبت معاوية

في ولاية الشام اياماً ، ثم يرى فيه رأيه ، فقـال له الامام : والله لا اداهن في ديني ، ولا اعطي الرياء في امري . فذهب المغيرة ، ثم عاد ، وقال له : نظرت في الأمر ، فاذا انت المصيب بعزل معاوية . وقـال الرواة ايضاً : ان ابن عباس قال للامام : نصحك في الأولى ، وغشك في الثانية ، وشاع هـذا الرأي المنقول عن ابن عباس ، واعتنقه كثيرون في القديم والحديث ، وبنوا عليه حكمهم وقولهم بان علياً لا يعرف السياسة .

ونحن نصدق الرواة فيما نقلوه عن المغيرة ، ونشك ، بـل يجب ان نشك فيما نقلوه عن ابن عباس لسببين : الأول ان فيه مساً بسياسة الامام وخبرته ، وكل خبر يستشم منه شيء من ذلك فهو من وضع الامويين وخصوم الامام ، ما في ذلك ريب . السبب الثاني ان المغيرة لا هدف له إلا التجسس لمعاوية ومعرفة رأي الامـام بمعاوية ، ولما ذهب المغيرة خاف ان يفتضح ، وينكشف ستره وتجسسه ، فعاد وقال ما قال .

والى الذين يرون ان الحزم والصواب كان في اشارة المغيرة ، واقرار معاوية الى حين ، توجه هذا السؤال :

لو اضمر الامام – على سبيل الافتراض – ان يبقى معاوية في امارة الشام اياماً ، ثم يعزله عنها ، فهل يخفى ذلك على معاوية ؟! وهل يستسلم معاوية دون قيد او شرط بمجرد ان يقول له الامام : انت عاملي على الشام ، دون ان يحتاط لنفسه ، ودون ان يأخذ المواثيق والمستندات في ثباته واستمراره .

ان عمرو بن العاص لم يبايع معاوية إلا بعد ان كتب له كتاباً بمصر على انها طعمة له ، وهكذا معاوية لا يبايع علياً ولا يأمن له إلا اذا كتب له كتاباً بالشام ومعها مصر ايضاً ، على انهما هبة له وجباية ما دام حياً ، وهذا ما قاله معاوية لجرير رسول الامـام ، قال له بالحرف الواحد :

« اكتب الى صاحبك ان يجعل لي الشام ومصر جباية »[1] .

وبالتالي ، فعلى الذين يتحذلقون ، ويقول : ان علياً لا يعرف السياسة ان يدرسوا التاريخ ، ويذكروا هذه الحقيقة ، وينظروا الى معاوية نظرتهم الى ابن العاص ، لان الرجاين من طينة واحـدة ، وعلى مبدأ واحد ، مبدأ الكسب والمساومة ، وارتكاب الجرائم والمآثم من اجـل المناصب والمراكز . قال المستشرق « اوزبورن » : كان معاوية مخادعاً داهية ذا قلب خال من كل شفقة . كان ذلك الاموي لا يتهيب الاقدام على اية جريمة من اجل ان يضمن مركزه » . (روح الاسلام لسيد مير عـلي ص ٢٠٥ ترجمة عمر الديراوي) .

اما امير المؤمنين فهو القائل : والله ان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها . ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى ؟!..

عدد الجيش

كان مع الامام تسعون الفا ، ومع معاوية خمسة وثمانون الفا (المسعودي ج ٢) وكان في عسكر الامام تسعمئة رجل مـن الانصار ، وثماني مئة من المهاجرين الذين حاربوا مع رسول الله ، وكان جميع من شهد معـه من الصحابة الفين وثماني مئة ، وفيهم من بايـع تحت الشجرة ، وهي البيعة المعروفـة ببيعـة الرضوان ، وكان في جيش معـاوية الامويون والمنافقون الذين حاربوا رسول الله مع ابي سفيان وولده معاوية .

---

(١) احاديث ام المؤمنين عائشة نقلا عن شرح ابن ابي الحديد ، واعيـان الشيعة نقلا عن نصر بن مزاحم .

الدعوة الى السلام

قال المسعودي وغيره : بعث علي الى معاوية يدعوه الى اجتماع الكلمة والدخول في جماعة المسلمين ، وطالت بينهما المراسلة ، وآخر ما قاله الامام لاهل الشام : « اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء . ان الله لا يهدي كيد الخائنين » .

فلم يردوا عليه جوابا الا قولهم : السيف بيننا وبينك او يهلك الاعجز منا .

القتال

قال امير المؤمنين لعسكره : لا تقاتلوا القوم ، حتى يبدءوكم ، فانكم بحمد الله على حجة ، وترككم اياهم ، حتى يبدءوكم حجة اخرى لكم عليهم ، فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل .

وفي اول يوم من صفر سنة ٣٦ اصطف الجيشان ، فخرج الاشتر مع جماعة من عسكر الامام ، وخرج حبيب بن مسلمة الفهري مع جماعة من عسكر معاوية ، فاقتتلوا قتالا شديداً جل النهار ، ثم تراجعوا واسفرت المعركة عن قتلى من الفريقين ، ولم ينتصر فريق على فريق .

وخرج في اليوم الثاني هاشم المرقال من عسكر الامام ، ومن اهل الشام ابو الاعور السلمي ، ومع كل منهما الخيل والرجال ، فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، وانصرفوا عن كثير من القتلى دون ان يتغلب فريق على آخر

وفي اليوم الثالث برز عمار بن ياسر في عدة من المهاجرين والانصار ، وبرز عمرو بن العاص في عدة من اهل الشام ، فازال عمار عمراً عن موضعة ، والحقه بعسكر معاوية ، وكان عمار يقاتل وهو يقول :

يا اهل الاسلام اتريدون ان تنظروا الى مـــن عادى الله ورسوله ، وجاهدهما وبغى على المسلمين ، وظاهر المشركين ، واسلم راهبـــاً غـــير راغب ؟ ألا انه معاوية بن ابي سفيان ، وكانت الغلبة في هـــذا اليوم لجيش الامام .

وفي اليوم الرابع برز محمد بن الحنفية في جماعة ، وبرز اليه عبيد الله ابن عمر في جماعة ، وكانت الحرب في هذا اليوم على اهل الشام ، ونجا ابن عمر هربا .

وفي اليوم الخامس اخرج الامام ابن عمه عبدالله بن العباس ، واخرج معاوية قريبه الوليد بن عقبة ، وكانت الغلبة لعبدالله بن العباس . ولحق في هذا اليوم بعلي جماعة من جيش معـــاوية ، فيهم بعض قبائل اهـــل الشام ، فتألم معاوية ، وفت ذلك في عضده ، فقـــال له ابن العاص : انك تريد ان تقاتل باهل الشام رجلا ، له من محمد قرابة قريبة ورحم ماسة ، وقدم في الاسلام ، ونجدة في الحرب لم تكن لاحد من اصحاب محمد ، وانه قـــد سار اليك باصحـــاب رسول الله المعدودين وفرسانهم واشرافهم ، وقدمـــائهم في الاسلام ، ولهم في النفوس مهـــابة ، ومهما نسيت فلا تنس انك على باطل .

وفي اليوم السادس اقتتل اهل العراق بقيادة سعيد بن قيس الهمداني ، واهل الشام بقيادة ذي الكلاع ، وانصرفوا آخر النهـــار لا غالب ولا مغلوب .

واقتتلوا في اليوم السابع ، ثم في اليوم الثامن ، وافترقوا في المساء .

ولم يظفر فريق بخصمه .

وفي اليوم التاسع خرج الامام بنفسه ، وخرج معاوية ، وكان القتال على أشده ، وجاهد ابو اليقظان عمار بن ياسر جهـاد المستميت ، يضرب بسيفه ، ويقول : هل من رائح الى الله ، الجنة تحت ظلال الاسنـة ، والله لو هزمونا ، حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على حق ، وانهم على باطل .

واشتد العطش بابي اليقظان ، فاستسقى فأتتـه امرأة بعس من لبن ، فشربه وقال : الله اكبر ! الله اكبر !. اليوم القى الاحبة ، محمدا وصحبه ، صدق الصادق ، وبذلك اخبرني ، هذا هو اليوم الذي وعدت فيه – يشير الى الحديث المشهور : يا عمار آخر شرابك ضياح من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية – وحمل عليه رجلان : ابو العادية الفزاري ، وابن جون السكسكي وكان قد اثخن بالجراح ، فطعنه الاول ، واحتز رأسه الثاني ، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة .

ولما صرع عمار حزن الامام عليـه ، وغضب غضباً شديـداً ، وقال للاشتر : احمل انت على الميسرة ، واحمل انا على الميمنة ، فحملا وكان الاشتر يفتك بالناس كذئب في غنم ، والتقى بعمرو بن العاص ، ولكن عمراً فر ، ولم يثبت له ، واختلط الجمع بالجمع ، واشتد القتال ، واضطربوا بالسيوف ، وتطاعنوا بالرماح ، وفي هذا اليوم استشهد هاشم المرقال حامل لواء امير المؤمنين ، وقتل ذو الكلاع حامل لواء معاوية .

قال المسعودي : لما وقع هاشم المرقال على الارض ، وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر بن الخطاب الى قربه جريحاً ، فحبـا ، حتى دنا منه ، وعضه على ثدييه ، وقد وجد ميتاً فوقه .

واستمر القتال طوال النهار والليل ، وكانت هذه الليلة ليلة الجمعه ،

وهي التي تسمى بليلة الهرير ، وكان ابن عباس في الميسرة ، والاشتر في الميمنة ، وعلي في القلب ، وكان الاشتر بين الحين والحين يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، ويأمر اهل العراق بالثبات والاقدام ، وقد تحطمت في هذه الليلة السيوف ، وتكسرت الرماح ، ونفدت السهام ، وتحاثوا بالتراب ، وتكادموا بالاسنان ، وتلاكموا بالايدي ، ومرت مواقيت اربع صلوات لم يسجد لله فيها سجدة ، ولم يصلوا الا بالتكبير والتهليل . قال المعسودي:

« قتل علي بكفه في يومه وليلته خمسمئة وثلاثة وعشرين رجلا ، ذلك انه اذا ضرب كبر ، وما ضرب الا قتل » واستمر القتال على هذه الحال ثلاثة ايام بلياليها ، ولما رأى الامام كثرة القتلى قال لمعاوية : علام يقتتل الناس ؟ ابرز اليّ ، فأينا قتل صاحبه يكون الامر له .

قال ابن العاص : انصفك الرجل .

قال معاوية : طمعت فيها يا عمرو .

قال عمرو : أتجبن عن علي ، وتتهمني في النصيحة ؟.

قال معاوية : ليس مثلي يخدع عن نفسه ، والله ما بارز علي رجلاً الا سقى الارض من دمه .

قال عمرو : والله لأبارزنه ، ولو متُّ الف ميتة .

وبرز عمرو ، ولكن ما ان دنا من علي ، حتى رمى نفسه عن فرسه ، ورفع رجليه ، وكشف عن سوأته ، فصرف علي وجهه عنه ، وكان لا ينظر الى عورة احد حياء وتكرما . وقام عمرو معفراً بالتراب ، هارباً على رجليه ، لا يلوي على شيء . ولما وصل الى معاوية قال له : احمد الله وعورتك يا عمرو .

ولما أشرف جيش الامام على الفتح ، ولم يبق إلا ساعات ، قال معاوية لابن العاص : هلم مخبآتك يا ابن العاص ، هذا علي سيغدو علينا

بالفيصل . وتذكر ولاية مصر . فقال ابن العاص : أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمح . وكانت المأساة التي يعرفها الجميع من انشقاق عسكر الامام ومهزلة التحكيم .

ومن السهل ان يصل الانسان الى غايته عن طريق الاحتيال والاجرام ، ولكن ليس من السهل ان يظل كعلي بن ابي طالب ، حياً في عقول الناس وضمائرهم ، ورمزاً للفضائل مدى الحياة ، ليس من السهل ان يحظى رجل باعجاب العالم المتمدن وتقديره ، بعد ان مرّ على وفاته أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، ليس من السهل ان تدين الملايين بأقواله ، كما تدين بكتاب الله وسنة الرسول .

عدد القتلى :

قال المسعودي : قتل بصفين سبعون الفاً ، خمسة واربعون الفاً من اهل الشام ، وخمسة وعشرون الفاً من اهل العراق .

وبالتالي ، هل حيلة معاوية وابن العاص في رفعهما المصاحف كانت لصالح المسلمين ؟! وهل مبادىء القرآن ، وتعاليم الدين واحكام الشريعة تسود وتحيا بخلافة الامام ، او بسلطان ابن ابي سفيان ؟!

وندع الجواب للخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، حيث قال لعلي : والله لان وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح ، والمحجة البيضاء [1] وقال المستشرق « اوسليزنز » : لو انه سمح لعلي ان يحكم بسلام لكانت

---

(١) كتاب « السفيانية » للجاحظ ، انظر أعيان الشيعة ج ٣ القسم الاول ص ٣٣٢ طبعة ١٩٦٠

فضائله وصرامته ، وسمو خلقه هي التي خلدت الجمهورية القديمة وأساليبها البسيطة [1]

وجاء في كتاب « ابطال الباطل » للفضل بن روزبهان الاشعري : ان عمر بن الخطاب قال : « لو وليها علي حملهم عـلى الحق الذي لا يطيقونه » . واذا كان الناس لا يطيقون الحـق فكيف اطـاقوا حكم الخليفة الثاني اكثر من عشر سنين ؟! وهل تحمل الناس حكمـه وحكم معاوية ، لانهم يطيقون الباطل ، ولا يطيقون الحق ؟!

شمر وشبث

كان شمر بن ذي الجوشن في جيش امير المؤمنين يوم صفين ، ونقل صاحب كتاب « سفينة البحـار » عن كتاب « المثالب » لهشام بن السائب ان ام شمر مرت براعي معزى فواقعها ، فحملت بشمر . ثم قال صاحب السفينة : ولذا قال له الامام الحسين يوم كربلاء : « يا ابن راعية المعزى انت اولى بها صليا » .

ونقل صاحب السفينة عن ابن حجر في كتاب « التقريب » ان شبث بن ربعي كـان مؤذن سجـاح التي ادعت النبوة ، ثم اظهر الاسلام ، واعان على عثمان ، ثم انضم الى جيش امير المؤمنـين يوم صفين ، ثم خرج عليه مع من خرج مـن الخوارج ، ثم ترك الخوارج ، واظهر التوبة ، ثم انضم الى جيش ابن زياد يقاتل الحسين في كربلاء ، ثم كان مع من طالب بدم الحسين .

---

(١) كتاب « روح الاسلام » لسيد مير علي ص ٦٢٧.

النهروان

٨ – النهروان مكان بين بغداد وحلوان ، وقد حصلت فيه الواقعة المعروفة بوقعة الخوارج سنة ٣٧ هـ .

وسببها ان امير المؤمنين لما عاد من صفين انحرفت طائفة من جيشه في اربعة آلاف فارس ، وهم العباد والنساك اصحاب الجباه السود ، وقالوا للامام : تب من خطيئتك في تحكيم الرجال .

فقال لهم الامام : ألم أقل لكم : ان اهل الشام يخدعونكم بالمصاحف فان الحرب قد عضتهم ، فذروني اناجزهم ، فابيتم الا التحكيم ، واردت ان انصب ابن عمي عبدالله بن عباس حكماً فانه رجل لا يخدع ، فأبيتم الا ابا موسى الاشعري ، وقلتم رضينا به حكماً ، فاجبتكم كارهاً ، ولو وجدت اعواناً غيركم في ذلك لما اجبتكم ، وشرطت على الحكمين بحضوركم ان يحكما بما انزل الله تعالى في كتابه من فاتحته الى خاتمته ، وان هما لم يفعلا فلا طاعة لهما .

فلم يسمعوا له ، وانصرفوا عنه ، وهم يقولون : لا حكم الا الله ، وامروا عليهم رجلا يلقب بذي الثدية ، لان يده كانت كثدي المرأة ، عليها شعرات كشارب الهر .

ولقيهم العبد الصالح عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ، ومعه امرأته ، وهي حامل ، وكان في عنقه مصحف ، فقالوا له : ما تقول في علي ؟ قال : : ان علياً اعلم بالله منكم ، واشد توقيا على دينه ، وانفذ بصيرة . قالوا : انك على غير هدى ، ثم اضجعوه وذبحوه ، واقبلوا الى امرأته فقالت : انا امرأة فاتقوا الله ،

فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء .

وبعد ان فعلوا هذا ذهبوا الى نصراني يملك بستاناً بالقرب منهم ، وطلبوا منه ان يبيعهم ثمرات نخلة ، فقال : هي لكم بدون ثمن ، فقالوا : ما كنا نأخذ الا بالثمن . فقال : واعجباه ! أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ، ولا تقبلون جني نخلة الا بثمن !.. ومن غرائبهم انهم انكروا على رجل منهم قتل خنزيراً ، وقالوا له : انك تسعى في الارض الفساد ، هذا بعد ان ذبحوا صاحب رسول الله ، وبعد ان مثلوا بزوجته الحامل ، وبعد ان قتلوا ثلاث نسوة من المسلمات البريئات !..

هذه صورة تاريخية تعبر عن معنى الايمان عند اصحاب الجباه السود ، وانهم في الاعم الاغلب يحجمون عما لا يجب الاحجام عنه ، ويقدمون على كبائر الاثم ، تماماً كالذي استحل دم الحسين (ع) واستشكل في دم البعوضة !..

الدعوة الى السلم

ارسل اليهم الامام الحارث بن مرة العبدي يدعوهم الى الكف عن القتال ، فقتلوه ، وخالفوا كل شريعة وعرف في معاملة الرسول ، وعدم التعرض له بسوء ، وارسل اليهم ابن عمه عبدالله بن العباس ، فخاصمهم بالحجة والمنطق ، وكشف عن جهلهم واخطائهم ، فاصروا على الجهالة والعماية ، فكلمهم الامام بنفسه ، وذكرهم ثانية بنهيه عن قبول التحكيم ، واصرارهم عليه ثم قال لهم : لقد ركبتم عظيما من الامر ، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ، فلم ينجح ذلك فيهم .

القتال

لمـــا أبى الخوارج إلا القتال وقف الامام بجيشه جانباً ، ولم يحرك ساكناً فرموه بالسهام ، فقال له اصحابه : قد رمونا ، ماذا تنتظر ؟ قال : كفوا عنهم ، فكرروا الرمي ، فقال : كفوا . فأعادوه ، حتى أتى اصحابه برجل قتيل متشحط بدمه ، فقال : الله اكبر الآن حل قتالهم .

وقبل ان يحمل عليهم نصب راية مع ابي ايوب الانصاري ، ونادى من جاء هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف الى الكوفة او المدائن فهو آمن . وكانوا اربعة آلاف ، فانصرف منهم الف ومئتان ، وبقي الفان وثمانمائة . وكان الامام قد أخبر اصحابه بأنه لا يفلت منهم عشرة ، ولا يقتل منكم عشرة . ثم قال : احملوا على القوم ، فحملوا عليهم حملة رجل واحد . وما هي إلا ساعات حتى انتهت المعركة ، وكان الامر كما قال الامام ، هرب من الخوارج تسعة ، وقتل من اصحابه تسعة . وكان ذو الثدية فيمن قتل .

قال المسعودي وغيره : ان بعض اصحاب الامام قال : قطع الله دابرهم الى آخر الدهر . فقال الامام : كلا ، والذي نفسي بيده ، انهم لفي أصلاب الرجال وارحام النساء[1] .

هذا مجمل حروب الامام مع النبي وبعده ، وكلها لله وفي الله ، حارب مع النبي لاحياء الدين ونشره ، وحارب بعده لتثبيته والذب عنه ، ورد

---

(١) وقد وجدوا في كل عصر ، ويوجد منهم الآن في طرابلس الغرب ، وفي زنجبار ، ووطنهم الاصلي عمان الذي تقوم الثورة فيه الآن بينهم وبين الانكليز ، ولهم كتب في الفقه والحديث .

المعتدين عليه ؛ وكل منهما لا يقل خطراً عن الآخر ، او جزء متمم لصاحبه ، ولكن في حروب الامام بعد النبي ظاهرة تستلفت النظر ، وهي ان اصحاب الجمل وصفين عملوا جاهدين على قتل عثمان ، او خذلوه ولم يناصروه على الأقل ، ثم رموا الامام بدمه ، وهم يعلمون انه بريء منه براءة الشمس من الدنس وحاربوه على فعلتهم وجريمتهم ، وكذا الخوارج أصروا على التحكيم ، ثم خرجوا على الامام يقاتلونه من اجله .

والسر في ذلك ان حروب الامام ليست بظاهرها كحروب النبي ضد الشرك والمشركين ، وانما هي حرب ضد اللصوص وقطاع الطرق كحرب اهل الجمل وصفين ، او ضد الجهلة الذين يحرمون قتل الخنزير ، ويستبيحون ذبح الاتقياء والابرار ، وبقر بطون النساء الحبالى ، وماذا لدى اللص غير الاحتيال والنفاق ، ورمي الابرياء بالتهم ؟! وأية حجة عند الجاهل غير التهافت والتناقض ؟!

جاء في الأساطير ان موسى بن عمران قال لأبليس :

ما رأيك ان اسأل لك الله الرضا عنك على ان تستغفر وتتوب ؟

قال ابليس : انا اتوسط بك اليه ، كي يرضى ، بل عليه هو ان يتوسط بك الي ، كي أرضى ؟

قال موسى : ولمَ ذاك ؟

قال ابليس : امرني ان اسجد لآدم ، فقلت له : انا اسجد لك ولا اسجد لأحد سواك ، فأي شيء في قولي هذا أعاقب عليه ؟!

وهذا بالذات منطق اتباع ابليس الذين خرجوا على الامام عليه افضل الصلاة والسلام .

الخضري والتباني

الصدفة

حين وضعت تصميم كتابي هذا لم يخطر في بالي الشيخ محمد الخضري ، وتهجماته على امير المؤمنين وابنائه في كتاب « المحاضرات » ، ولكنهــا الصدفة ، وكم للصدفة من فوائد ومنافع ، اقول الصدفة ، وانا على يقين بانهــا عون من الله سبحانه ، وتيسير منه للاسباب والظروف الملائمة ، وقد ابى الله إلا نشر الحق ، واعلاء كلمته ، وإلا خذلان الباطل وأهله والكشف عن سوآتهم وعوراتهم ، ولو بعد حين ، وقد يسر لي جــل شأنه الاطلاع على كتــاب ضخم لم أسمع به من قبل ، ولم اعرف عنه شيئاً ، وهو السبب لكتابة هذا الفصل .

حكاية هذا الفصل

من عادتي ان انهض في الصباح الباكر ، فاشرع بالكتابة الى ان تدخل الساعة العاشرة ــ في الغالب ــ فأترك القــلم ، وانصرف الى المكتبات ابحث وانقب عما جد فيها من كتب ، فاذا وقع نظري على اسم كتاب

لا عهد لي به تناولته مهما يكن الاسم ، وقرأت — قبـل كل شيء — الفهرست وعنـاوين الموضوعات ، فاذا رأيت عنوانا لموضوع مثمر ، استفيد وافيد من قراءته تصفحته بصورة مجملة ، اتبين نظرة المؤلف الى الموضوع ، ومدى تفكيره ، والهدف الذي يرمي اليـه ، فاذا بدا لي ان فيه شيئاً مما اردت اشتريته بدون تريث ، وبأي ثمن ، وحملته عائداً الى غرفتي ، واستأنفت القراءة او الكتابة الى نصف الليل او بعده حسب ما تستدعيه طبيعة الموضوع من طول الوقت او قصره

وبالامس القريب ، وقبل ان انتهي من كتابة الفصل السابق « حروب الامـام » وقع نظري ، وانا في مكتبة دار الثقافة ، على مؤلف كتب على غلافه بالخط العريض : « تحذير العبقري من محاضرات الخضري . او افادة الاخيار ببراءة الابرار . تأليف العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ محمد العربي التباني . المدرس بمدرسة الفلاح والحرم الملكي »

فتناولته ، ونظرت في الفهرست — كالمعتاد — واذا به يستغرق ٤٨ صفحة في اسماء الفصول والموضوعات التي حواها الكتاب ، منها — افتراء الخضري على امير المؤمنين علي بن ابي طالب — يزيد خليفة مقدس عند الخضري وعلي بن ابي طالب ليس بخليفة — طعن الخضري بالحسين وكذبه على التاريخ — شدة شكيمة ابي طالب في حماية النبي — التهويش والتدليس والكذب على النبي لرفعة معاوية — عزل علي لمعاوية مثل عزل عمر لخالد — تلون الخضري وتناقضه وتمسكه بالاقوال البـاطلة في بيعة علي — عداوة حمقاء ظاهرة لابي الحسن واولاده — ظهرت خوارق بعـد قتل الحسين رواها علماء الاثر — ومثل ذلك كثير وكثير .

وقبل ان انتهي من قراءة الفهرست ، وقبـل ان انظر في صفحة واحدة من صفحات الكتاب دفعت الثمن دون مساومة او مراجعـة ،

وذهبت به ، وانا اشعر باني اسعد انسان ، تماما كما يشعر البائس المحتاج اذا اتاه الرزق الواسع من غير احتساب ، وهل أطمع في شيء أكثر من ان يرد عالم من علماء السنة افتراءات الخضري بالادلة القاطعة والسنة الثابتة عندهم وعند الشيعة ؟!. وهـــل لي من امل – وانا اكتب عن فضائل علي – إلا ان أفحم المعاندين بالعـــلم وقول الفصل ؟!. فالك الحمد على ذلك يا متم الحجة على من جحد وعاند

الخضري

عاش الشيخ الخضري في اوائل هذا القرن العشرين ، وكان من شيوخ الأزهر وكبار علمائه ، وكان مؤلفاً معروفاً ، ومدرساً بالجامعة المصرية ، تمامـــاً كتلميذه الشيخ ابي زهرة – اليوم – وان كانت مؤلفات التلميذ أكثر عدداً ، وأقل تعصباً .

ومن مؤلفـــات الخضري « المحاضرات » يقع في جزأين ، وهو في التاريخ الاسلامي ، الدولة الاموية والدولة العباسية ، وكان يدرس بالجامعة المصرية ، وقد اعتمد عليه كثيرون من اساتذة التاريخ ، وبعض المؤلفين وانتشر في الاوساط ، وطبع سبع مرات ، وفي هذا الكتاب كثـــير من الاخطاء التاريخية ، والتعصب البغيض ضد اهل بيت الرسول الاعظم ، كما رأيت من العناوين ، فقد تحامل عليهم وعلى شيعتهم ، لا لشيء إلا لانهم من البيت المحمدي ، لا من البيت السفياني ، وإلا لأن فيهم شمائل محمد بن عبدالله (ص) ، لا شمائل ابي سفيان وزوجته هند . ومضت السنون الطوال دون ان نقرأ رداً مفصلاً يكشف عن جميع تلبيسات الخضري وبدعه ، حتى قام بهذه المهمة الشيخ محمد العربي التباني .

التباني

الشيخ محمد العربي التبـاني اصله من الجزائر ، ويقيم الآن في مكـة المكرمة ، وهو من كبار العلمـاء في الحجاز ، وله حلقة درس بالحرم المكي الشريف ، وعدة مؤلفـات منها « تحذير العبقري من محاضرات الخضري » في مجلدين كبيرين ، واسم الكتاب يـدل عليه ، وقد نعت فيه الشيخ الخضري باقبح النعوت ، ووصف اقواله « بالخيـانة والغش والهراء والتدليس والتناقض والتلون والاكاذيب والاباطيل والوقاحة والسفاهة والنصب لعلي بن ابي طالب » وما الى ذلك .

وقرضه جماعة من علماء مصر والحجاز ، وهم الشيخ محمد يحى امان العضو بالمحكمة الشرعية بمكة ، والشيخ حسن مشاط العضو بالمحكمة المذكورة والسيد اسحق عزوز العضو في مجلس الشورى بمكة ، والسيد محمـد امين كتبي ، المدرس بكلية المعلمين ، والشيخ محمـد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام ، والسيد علي المالكي المدرس بالمسجد المذكور ، والسيد يوسف عبد الرزاق من علماء الازهر والمدرس بكلية اصول الدين ، وممـا قاله هؤلاء في وصف المؤلف التباني : « العالم الجليل والعلامة الدراكة الشهير المؤرخ المحدث المفسر النحوي اللغوي الكبير ، شهرته تغني عن ذكره » .

تناقضات التباني

اخذ الشيخ التباني على الشيخ الخضري مآخذ كان في بعضهـا عادلا وموفقاً في نصرة الحق ، والذب عن الدين واهله ، ولكنـه في الوقت

نفسه وقع من حيث لا يشعر في اخطاء كثيرة ، كمتناقضات الخضري او تزيد :

« منها » قوله ان ابا بكر اشجع اصحاب الرسول (ص ١٠٠ ج ٢) ولكنه لم يذكر لنا شاهداً واحداً على هذه الشجاعة ، فلم ينقل هو ولا غيره ان ابا بكر قتل مشركاً واحداً ، على الرغم من حضوره مع النبي في حروبه ...

والغريب ان الشيخ التباني الذي زعم ان ابا بكر اشجع الاصحاب قال : سمع يوم احد مناديا ينادي : « لا سيف الا ذو الفقار . ولا فتى الا علي » وان النبي (ص) بعث يوم خيبر ابا بكر ، فعاد ولم يفتح ، وبعث عمر ، فعاد ، ولم يفتح ، فقال : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، فاعطاها علياً ، ففتح الحصن ، وتترس ببابه الذي عجز عن قلبه ثمانية من الاصحاب ـ كما قال التباني ـ وقتل مرحباً (ص ١٦٤ ج ١ و ص ١٠٢ ج ٢) .

عجز ابو بكر عن فتح الحصن ، وفتحه علي ، وعجز الجميع عن قتل مرحب ، وقتله علي ، ولم يستطع ثمانية من الاصحاب ان يقلبوا الباب ، ورفعه علي بيد واحدة ، وتترس به ـ كما قال التباني ـ ومع ذلك كله فابوا بكر ـ عند التباني ـ اشجع الاصحاب بما فيهم علي .. أتدرون لماذا ؟! ابداً لا لشيء الا لان ابا بكر كان الخليفة الاول ، فيجب أيضاً ان يكون اولا في الشجاعة ، واولا في العلم ، واولا في الايمان ! .

و « منها » قوله في ص ٦٩ ج ٢ « علي افضل الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة » .

وهذا يناقض قوله في ص ١٠٠ ج ٢ :

« قال الامام احمد بن حنبل والنسأي والقاضي اسماعيل وابو علي النيسابوري : لم ينقل لاحد من الصحابة ما نقل لعلي من المناقب ، ولم يرد في حق احد منهم بالاسانيد الحسان اكثر مما جاء في علي ، وتتبع الامام النسأي ما خص به من دون الصحابة فجمع منه شيئاً كثيراً باسانيد ، اكثرها جياد ، وسماها خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وهو مطبوع » .

وايضاً يتنافى مع اعترافه بأن النبي قال : « انا مدينة العلم ، وعلي بابها » وان عمر قال : « لولا علي لهلك عمر . اقضانا علي »[1] (ص ١١ و١٦ و١٧ و ١٠٤ ج ٢) .

يشهد لعلي بالتقدم والافضلية النبي واصحابه والائمة واصحاب الصحاح والعلماء ، ومع ذلك يأتي علي في الفضل بعد الخلفاء الثلاثة ، حتى كأنه قال وشهد على نفسه بأن « لولا عمر لهلك علي » .. ولماذا ؟! لأن الثلاثة تقدموا في الحكم ، فيجب ان يكونوا مقدمين في العلم والشجاعة والسابقة ، وفي كل شيء حتى في الفصاحة والبلاغة !

و« منها » : أي تناقضات التباني قوله ان معاوية وطلحة والزبير وعائشة مجتهدون ومعذورون في قتالهم علي بن ابي طالب [2] (ص ٤٨ و ٥١ و ٧٤ ج ٢) .

ولا ادري : كيف يجتمع هذا الاعتذار من التباني مع ما جاء في كتابه (ص ٢٣٤ ج ٢) ان النبي قال : « يا علي ستقاتلك الفئة الباغية ، وانت على الحق ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني » . واذا كان المحايد الذي

---

(١) قال الراغب الاصبهاني في الجزء الاول من « محاضرات الادباء » ص ٩٦ طبعة ١٩٦١ « ان اول من خاطب باطال الله بقاءك عمر بن الخطاب قالها لعلي بن ابي طالب »

(٢) الملاحظ ان الخضري يخطيء الفريقين المتحاربين في وقعة الجمل والتباني يبرر اعمالها معاً .

لم يناصر علياً ليس من النبي في شيء ، فكيف بمن أعلن عليه الحرب والقتال ؟! وهل لمن تبرأ منه النبي عذر ؟ ! وهل لمن قال له النبي : لست مني ، ان يجتهد ويعمل برأيه ضد الله ورسوله ؟!

ونقل الشيخ التباني عن النبي (ص) انه قال : « عمـــار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار . ان عماراً مليء ايماناً أيتكن صاحبـــة الجمل الادبـــب ؟ تخرج ــ اي عائشـــة ــ حتى تنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير .. انك يا علي تقاتل على تأويله ، كما قاتلت على تنزيله .. اللهم أدر الحق مـــع علي حيث دار .. يا زبير تقاتل علياً وانت له ظالم (ص ٢٥٥ ج ١ و ٨ و ٩ و ٤٥ ج ٢) .

ومع اعتراف الشيخ التباني بهذه الاحاديث ، وصحتها والايمان بها فقد اعتذر عن اصحاب الجمل وصفين بأنهم مجتهدون معذورون ! ان الاجتهاد مع وجود هذه الأحاديث تماماً كالاجتهاد في جواز ترك الصلاة والزكاة مع وجود الآية الكريمة : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وكالاجتهاد في تحليل الزنا مع قوله تعالى : « ولا تقربوا الزنا » .

هـــذا ، الى ان قول الرسول الاعظم : « علي مع الحق يدور معه حيث دار » يثبت بأن محاربة علي تماماً كمحاربة النبي ، ومن هنا قال : « يا علي حربك حربي ، وسلمك سلمي » فاذا اعتذر معتذر عمن حارب علي جاز لغيره ان يعتذر عمن حارب النبي ، والفرق تحكم . ولا شيء ادل على تناقضات التباني من انه جمع في كتاب واحد بين قوله اصحاب الجمل وصفين معذورون ، وبين قوله في ص ٢٠٩ ج ١ « ان اصحاب صفين رفعوا المصاحف مكيدة ، لأنهم اشرفوا على فضيحة الهزيمـــة الكبرى » اذن يصدق على اهل صفـــين قوله تعالى : « حتى اذا ادركه

الغرق قال آمنت »

ومن اطرف تناقضات الشيخ التباني شكه في نسبة نهج البلاغـة الى الامام ، لان جامعه الشريف الرضي ، وهو « رافضي امامي معتزلي » كما قال في (ص ١١٢ ج ٢) وصغار الطلبة يعرفون ان الامامي غير المعتزلي ، لان الامامية يقولون بوجود النص من النبي على خليفتـه ، والمعتزلة ينكرون ذلك ، ومن ادلة التباني على عدم الاخذ برواية الامامي ان ابن عساكر رد بعض الرواة لانه « رافضي ليس بثقة » وكذا ابن عدي رده ، لانه « شيعي محترق » . (ص ٦٢ ج ٢ .

ومن ادلة الشيخ التباني على انكار نهج البلاغة ان بعض خطبه تشعر بعدم رضا الامام بخلافة الثلاثة ، والحال انها كانت بقضاء الله وقدره ، وعلي يرضى بقضاء الله وقدره ، فهو يرضى بخـلافتهم .. (ص ١٢٣ ج ٢) . وقس على هذا المنطق بقية ما اورده من الادلة في هذا الباب .

وفي كتاب الشيخ التباني تناقضات كثيرة مـن هـذا النوع ، وردود ضعيفة واهية ، بخاصة رده على الشيعة ، فانه مجرد جهل وتعصب موروث اباً عن جد ، ولا شيء ادل على ذلك من هـذا الاجترار والتكرار ، يردده اللاحق تقليداً للسابق ، وكذا نحن رددنا اجوبة السلف مكرهـين غير مختارين ، ومهما يكن ، فان الرد على التباني يعرف من ردنا عـلى الخطوط العريضة في الفصل الآتي ، ومما ذكرناه في آخر كتاب « الشيعة والحاكمون » بعنوان « كتاب السفياني »

وبالتالي ، فالذي يهمنا من كتاب « تحذير العبقري » هو رد الشيـخ التباني المكيّ على الشيخ الخضري المصري ، وهو والحق اكثر نجاحـاً في رده على هذا الشيخ من بقية اقواله ، ولا دليل لدينا الا احالة القارىء الى الكتاب .

قال الخضري : لم يصف الامر للخليفة الرابع علي بن ابي طالب ، لانه قام في وجهه نصف الامة غير متأثر من تلك الدعوة التي قصد منها اقرار الامر في نصابه من بيت النبوة . وكان هناك تصادم بين الرأيين ، وقد غلبت القوة وحسن السياسة رأي التخصيص بالقرابة ، حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة ، وهو من بني امية ، وليس من بني هاشم .

قال التباني في رده : ان قوله : قام في وجه علي نصف الامة كذب واضح يدركه كل مسلم ، فان أهل الشام لم يكونوا ربع الامة التي بايعت علياً (ص ٢٠٨ ج ١)

وقال التباني : خرج علي في سبعين الفاً ، فيهم تسعون بدريا ، وسبعمئة من اهل بيعة الرضوان ، واربعمئة من سائر المهاجرين والانصار، وخرج معاوية في خمسة وثمانين الفاً ليس فيهم من الانصار الا النعمان بن بشير ، ومسلمة بن مخلد . وعلي لم يخرج الا بجيش العراق ، اما باقي رعيته كالجزيرة العربية ، واليمن وحضرموت وعمان ومصر وفارس فلم يجند منها شيئاً ، بينما معاوية خرج بجيش أهل الشام ، ولا سلطان له على غيرها . (٢٠٨ و ٢٣٤ ج ١)

وقال التباني : ان قول الخضري غلبت القوة وحسن السياسة تكذيب للتاريخ ووقاحة ، ولان التاريخ نقل أن جيش معاوية رفعوا المصاحف مكيدة لما اشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى ، وان القتل فيهم كان أكثر من جيش علي ... ولم ينقل مؤرخ ينتمي الى الاسلام ان علياً كان مسيئاً في سياسته ، ولم ينقل مؤرخ مسلم ان معاوية ظفر بالخلافة ،

وتسمى بها على المسلمين عموماً مدة حياة علي ، بل ولا مدة ابنه الحسن، وهذا المحاضر لا يستحي من كثرة الكذب والبهتان (ص ٢٠٩ و ٢٠١ ج ١) .

وقال الخضري : ولما جاء دور علي قام جماعة من اهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافه .. وكان معظم الامة عليه .

قال التباني : هـــذا كذب وتدليس وتذبذب وتخبط ونصب لحيدرة (ص ٢٢٨ ج ١) فقد اجتمع على بيعـــة علي المهاجرون والانصار ، بل اجمعت الامة على بيعته ورضيت بها ما عدا معاوية ومن معه ، امـــا سعد بن ابي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة فلم يتخلفوا عن بيعته ، وانما تحرجوا من قتال المسلمين ، وقد صح عن سعد وابن عمر انهما ندما عن نصرته لما قتل عمار ، وقال ابن عمر : ما آسى على شيء إلا على ان لا أكون قاتلت الفئة الباغية ، هذا الى ان ابا بكر وعمر وعثمان لم يبايعهم إلا اهل المدينة (ص ٣٢٨ و ٢٣٥ ج ١ وص ٦ و٧ و١٣ ج ٢) .

قال الخضري : حين بويع علي اضطرب الحبل في جميـــع الأمصار الكبرى الاسلامية .

قال التباني : هذا كذب مكشوف ، فلم يقل اي مؤرخ مسلم ، ولو ناصبيا : ان حبل الامة اضطرب في جميع الامصار الكبرى ، لا قبل بيعة حيدرة ، ولا بعدها . (ص ٣٥ ج ٢) .

قال الخضري : لم يكن المراد من حرب صفين الوصول الى تقرير مبدأ ديني ، او رفع حيف حل بالامة ، وانما كانت لنصرة شخص على شخص ، فشيعة علي ينصرونه لانـــه ابن عم رسول الله (ص) واحق بولاية الامر .

قال التباني : هذا كذب على التاريخ ، لأن الذين نصروا عليا نصروه

اولا لانه امام عـادل قد لزمتهم بيعته وطاعته ، فوجب عليهم نصره والمدافعة عنه بمقتضى ذلك ، وكونه ابن عم رسول الله واحق الناس بالولاية امر ثانوي مفروغ منه مؤكد لاستحقاقه الامامة . (ص ٦٩ ج ٢) .

علي واصحاب الجمل

قـال الخضري فيما يتعلق بوقعة الجمل : « لم يكن عند علي بن ابي طالب من الاناة ما يمكنه من المصابرة حتى يلتئم هذا الصدع .. والنتيجة ان تبعة حرب الجمل تقع على الفريقين » اي على علي وأصحاب الجمل .

وقال التباني في رده : ان قوله « لم يكن عند علي من الانـاة » وقاحة وتكذيب للتاريخ ، كأنه يريد منه ان يقعد في بيته ، ويترك رعيته في الفوضى يضرب بعضهـا بعضاً ، ولا ينظر فيما اوجبه الله عليه من مصالحها ، وقد تأنى بارسال السياسي المحنك احد ابطال الاسلام القعقاع بن عمرو الى طلحة والزبير وعائشة ، فناظرهم حتى اقنعهم بالحجـة ، وتبين لهم وجه الخطأ (ص ٥١ ج ٢) .

وقد ثبت بدليل الدين ان علياً كان امامـاً عادلاً ، وان من خرج عليه باغ ، وان قتاله واجب ، حتى يفيء الى الحـق (ص ٣٨ ج ٢) . وثبت ان النبي (ص) قال للزبير : تقاتل علياً وانت له ظالم (ص٤٥ج٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : اخرج الطبري بسند صحيح ان الاحنف بن قيس قال : لقيت طلحة والزبير فقلت : اني لا ارى عثمان الا مقتولا ، فمن تأمراني به ؟ قالا : علي . فقدمت مكة فلقيت عائشة فقلت لهـا : من تأمرني به ؟ قالت علي . قال الاحنف فرجعنا الى المدينة ، فبايعت علياً ، ورجعت الى البصرة فبينما نحن كذلك اذ أتاني آت ، فقال هذه

ائشة وطلحة والزبير يستنصرون بك ، فاتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي ، ثم اتيت طلحة والزبير فذكرتهما . (ص ٥٣ ج ٢)

علي واهل صفين

قال الخضري : ممن يترقب الخلافة ، ويرى نفسه اهلا لها معاوية ، فقام باهل الشام معلناً انه مخالف لعلي، لان بيعة علي ليست بصحيحة .

وقال التباني : قد ثبت عن الفاروق الذي يقدسه الخضري دون سائر الصحابة انه قال : ان الخلافة لا تحل للطلقاء ، ولا لابنائهم ، وانما هي لأهل السبق الى الاسلام من قريش ، ومعاوية وابوه من الطلقاء ... ومعاوية لم يقل لعلي بيعتك غير صحيحة ، ولم ينازعه فيها) ٢٢٩ ج ١)

وقال الخضري : في نظرنا ان خلافة معاوية وبيعته لم تنقص الشكل عن بيعة علي .

قال التباني : هذا نظر فاسد ، وكذب على التاريخ ، وغش للقراء .. لقد انعقدت خلافة علي باتفاق اهل الحل والعقد ، ودلت عليها الاحاديث منها قول النبي لعلي : انك تقاتل الناكثين ، والمارقين والقساطين ومنها قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية ، وقال أحد شيوخ البخاري ، وهو يحيى بن سليمان الجعفي : ان ابا المسلم الخولاني قال لمعاوية : انت تنازع علياً في الخلافة ؟!. أأنت مثله ؟!. قال : لا ، واني اعلم انه افضل مني واحق بالامر ، ولكن عثمان قتل مظلوماً . (٢٣٢ و ٢٣٣ ج ١) .

ولو كان معاوية صادقاً في طلب دم عثمان لطلبه من ابن العاص ، فقد نقل التباني في ٥٤ ج ٢ عن ابن الأثير والطبري انه لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، قدم المدينة ، وجرت بينه وبين عثمان محاورة

افتخر فيها بابيه على عثمان ، وغضب عليه ، وصار يحرض الناس عليه ، ثم خرج الى منزله بفلسطين ، وهو دائب على تأليب الناس عليه ، حتى قال عن نفسه : والله اني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان ، ولما بلغه حصره سره ذلك ، وقال كلاماً لا يليق ذكره .

علي يحاسب ومعاوية يتساهل

قال الخضري : كان معاوية يتساهل بعض الشيء لرؤوس اجناده ، ويفيض عليهم من العطاء ما يجعل رقـابهم خاضعة له .. وعلي يحاسبهم على النقير والقمطير في وقت هو محتاج اليهم .

قال التباني : ان كان هذا العطاء من الجود بماله الخاص فعلي اسخى منه ، وان كان هذا التساهل من العدل فعلي عنده منه أضعاف ما عند معاوية ، وان كان من المداراة من نمط ما يعطي لمن يغضب بالنهار ، ويرضى بالليل فليس عند علي . كان مالك بن هبيرة الكندي من كبـار قواد معاوية ، ولما أراد معاوية قتل حجر استشفع مالك لابن عمه فـلم يشفعه ، فغضب مالك ، فلما جاء الليل ارسل له معاوية مئة الف فرضي ، وليس عند علي شيء من ذلك .

واذا حاسب علي عماله فقد حاسبهم من قبله رسول الله والخلفـاء ، فالطعن فيه طعن فيهم (ص ١٣٧ و ١٣٨) .

ابن عباس

قال الخضري : تغير قلب ابن عبـاس على علي ، فترك البصرة ـ

وكان واليـــا عليها ـ وذهب الى مكة ، لان عليـــا يحاسب على النقير والقمطير .

قال التباني : هذا غير صحيح ، فقـد جزم الحـــافظ ابن حجر في ترجمة ابن عباس بكتاب الاصابة بانه لم يزل واليا على البصرة ، حتى قتل علي .. وكذلك ابن كثير في بدايته قال : لم يزل ابن عباس على البصرة، حتى مات علي . (ص ١٣٩ ج ٣)

اذن حديث اختلاس ابن عباس ما تحت يده من المال ، وذهابه الى مكة كذب وافتراء .

ثم قال الشيخ التباني : ثبت في الصحيح ان النبي دعا لابن عباس ، وقال : اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل . وقال المهاجرون لعمر : ألا تدعو ابناءنا لمجلسك كما تدعو ابن عباس ؟! فقال : ذاكم فتى الكهول له لسان سئول ، وقلب عقول . وقال ابن مسعود : لو ادرك اسناننا ما عاشره منا احد ، ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال مسروق : اذا رأيت ابن عباس قلت : اجمل الناس ، فاذا نطق قلت : افصح الناس ، فاذا تحدث قلت : اعلم الناس .

واستعمله عثمان اميراً للموسم ، فخطب الناس ، وجعل يفسر سورة النور فقال رجل : لو سمعت هذا فارس والروم لاسلمت . وحضر غزو افريقيا فتكلم مع ملكها ، فقال الملك لابن عباس : ما ينبغي الا ان تكون حبر العرب . فلقب الحبر ، ويلقب ايضاً ، ترجمان القرآن .

وشتمه رجل ، فقال له : انك تشتمني ، وفي ثلاث : اني اسمع بالحاكم يعدل ، فأحبه ، ولا حاجة لي عنده ابداً ، واسمـــع بالغيث يصيب البلاد ، فأفرح به ، ومالي بها سائمة ولا زرع ، وآتي على آية من القرآن فأحب ان المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما اعلم . (ص١٤٣ ج ٢)

يحاول الخضري ان يساوي بين الهاشميين والامويين في المكانة ، وان يوجـد شيئاً مـن لا شيء ، وان يطفيء نور الله بالاقـوال والتلاعب بالالفاظ ، فمن اقواله كان ابو طالب كبير بيتـه (اي لا سيد قريش)

وكان ابو سفيان رجلا عظيماً في نفسه ذا شرف ، قـال رسول الله يوم فتح مكة : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن فسوى بين بيته وبيت الله ، وهذا شرف عظيم لم ينل احـد مثله للآن .

وقال التباني في جوابه : هذا تهويش وتلبيس قصـد من ورائه ان يرفع مقام معاوية .. ان ابا طالب لم يكن كبير بيته ، بل كان سيـد قريش مرموقاً من اشرافهم بعين الاجلال والتوقير ، مع كونه فقيراً ، وقد قال معاوية بن ابي سفيان يخاطب عمرو بن العاص :

نجوت وقد بل المرادي سيفه   من ابن شيخ الاباطح طالب

وقد زاد شرفه ، وشدة شكيمته على قريش دفاعـه عـن الرسول الاعظم ، ثم ذكر التباني قصيدة ابي طالب التي يقول فيها :

كذبتم وبيت الله نبذي محمدا   ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمـه حتى نصرع حـوله   ونذهل عن ابنائنا والحلائل
وابيض يستسقي الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل

وقال التباني : وقول الخضري كان ابو سفيان رجلا عظيما في نفسه تهويش لا معنى له ، لان الشرف والعظمة لا تكون الا بالتقوى والتفقه في الدين ، وقال المفسرون : ان هذه الآية : « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفروا واحلوا قومهم دار البوار » نزلت بالافجرين بني مخزوم وبني امية ، فاما بنو أمية فمتعوا الى حين ، واما بنو مخزوم فاهلكوا يوم بدر .

اما قول النبي من دخل دار ابي سفيان فهو آمن فلا دلالة فيه على الشرف والمكانة ، فالنبي قال ايضاً : من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن اغمد سيفه فهو آمن ، بل اوصى جيشه ان لا يقاتلوا احدا الا من قاتلهم ، وهذا أمان لكل مشرك قرشياً كان او غير قرشي ، ولو لم يدخل بيتاً ، فاي شرف اذن لبيت ابي سفيان ؟! هذا ، الى ان ابا سفيان من المؤلفة قلوبهم ، حيث ساوى النبي بينه وبينهم في غنائم هوازن يوم حنين (ص ١٦٤ الى ١٨٠ ج ٢) وقال التباني في الجزء الاول ص ١٦٨ : كان ابو سفيان جالساً في المسجد ، فقال في نفسه : ما ادري بم يغلبنا محمد ؟! فأتاه النبي ، وضرب صدره وقال : بالله نغلبك ومرة ثانية قال ابو سفيان في نفسه بعد ان اظهر الاسلام : لو عاودت هذا الرجل القتال ، وجمعت له جمعاً . فضرب النبي صدره وقال : اذن يخزيك الله .

ورأى النبي في منامه بني امية على منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت « إنا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر » والمراد بالف شهر مدة حكم الامويين . (ص ٢٤٤ ج ١)

وقال التباني في ج ٢ ص ١٩٧ : ان ابا هريرة قال :

لدي علم لو بثثته لقطع مني هذا الحلقوم . قال العلماء : لما فيه من

الأخبار عن امراء السوء من بني امية الذين بدلوا سنة الرسول ، ويؤيد قولهم هذا ما جاء في الصحيح « هلكة امتي على يدي غلمة من قريش » فقال مروان : غلمة !.. فقال ابو هريرة : لو شئت ان اقول : بنو فلان وفلان لفعلت — اي بنو سفيان وبنو مروان — .

وقد اطال التباني الحديث في مثالب مروان كما نفاه من صحبة الرسول ، ونقل قصة ابيه الحكم ، وايذائه رسول (ص) ونفيه من المدينة ، ومما قاله عن مروان انه ابتدع في الدين ، فقدم خطبة العيد على الصلاة وكان النبي يؤخرها ، وانما قدمها مروان ، لانه كان يلعن الامام علياً على المنبر في خطبته ، فكان الناس ينصرفون بمجرد ان يفرغ من الصلاة ، كي لا يسمعوا هجره ، فقدمها ليحبس الناس ، ويسمعهم التشهير واللعن (ص ٢٨٣ ج ٢) ثم نقل التباني مذبحة كربلاء ، ووقعة الحرة وغيرها . وعقد فصلا خاصاً فيما جاء من الاحاديث في ذم يزيد بن معاوية ولعنه على لسان الأئمة والعلماء .

العلويون

عقد التباني فصلا في شجاعة الامام ، وآخر في علمه ، وثالث في فضائل الحسنين وامهما بنت الرسول (ص) ، ويجد متتبع الكتاب في صفحاته التي تجاوزت ٦٥٠ احاديث متفرقة هنا وهناك في فضائل الامام ، كحديث : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وحديث الجنة لتشتاق الى ثلاثة : علي وعمار وسلمان ، ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال ابو بكر : انا يا رسول الله ؟ فقال : لا . فقال عمر : انا يا رسول الله : قال : لا ، ولكنه خاصف النعل ، وكان قد اعطى علياً

نعله ليصلحه ، الى كثير من الاحاديث واقوال العلماء والأئمة والخلفـاء ، بخاصة الخليفة الثاني .

وذكر التباني طرفاً من المعاجز وخوارق العادات الدالة على عظمة آل الرسول ، ومنزلتهم عند الله سبحانه ، منها مـا رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة من ان رجلاً بالشام كان يلعن علياً كل يوم الف مرة ، وفي يوم الجمعة آلاف المرات ، واولاده معه ، فرأى النبي (ص) في المنام ، فبصق في وجهه ، فاصبح وجهه وجه خنزير ، ومنهـا ان السماء امطرت دماً يوم قتل الحسين ، واصبحت جرارهم مملوءة دماً ، وان الدنيا اسودت اسوداداً عظيماً ، واستمرت الظلمة ثلاثة ايام ، ثم ظهرت بعدها الحمرة في السماء ، وان العدس الذي كان في عسكرهم تحول رمـاداً ، وانهم نحروا ناقة فكانوا يرون في لحمها مثل القيران ، فطبخوها فصارت مثل العلقم ، وان ما من احد من عسكر ابن سعد الا اصابته آفة او عاهـة قبل ان يخرج من الدنيا .

ومن الاحاديث التي اوردها التباني في فضل آل البيت قول الرسـول الأعظم : « انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما انصبها . .

فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران . . الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، وابوهما خير منهما . . الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا . . من أحب الحسن والحسين فقد احبني ، ومن ابغضهما فقـد ابغضني . . ونظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين ، وقال : انا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم . . وقال عن الحسن : ان إبني هذا سيد ، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمين من المسلمين . . »

وقد اشرنا في بعض مؤلفاتنا السابقة الى ان حديث « يصلح بـه بين فئتين عظيمتين من المسلمين » من وضع الامويين وانصارهم ، والغاية منه

اثبات الاسلام لمعاوية ومن كان معه في صفين ، لان حديث عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار » قد اخرج قاتلي عمار من الاسلام فوضعوا في قباله هذا الحديث لُيستدل بـه على بقائهم مسلمين بالرغم من قتل عمار ، ويؤيد الوضع لفظة « عظيمتـين » التي حشرت للدلالة على تساوي فئة معاوية لفئة علي في العظمة .. ولكن خاب سعيهم ، فان قول النبي : يا علي حربك حربي ، وسلمك سلمي يفضح هذه الاكذوبة ، ويجعل الذين حاربوا علياً في مصاف ابي جهل ومـن اليه ، حتى ولو تستروا بلفظ « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

وهكذا كل مبطل اذا رأى فضيلة لخصمه المحق ، وعجز عن جحودها وانكارها انتحل مثلها لنفسه ، وادعاها كذباً ونفاقـاً ، واذا اعوزتـه القدرة على التأثير في عقول الناس ، ولم يجد عندهم سبيلا لتصديقه لا في انكار ما لخصمه من مكانة ، ولا في انتحال مثلها لنفسه تظاهر بالاعتراف له ، لا لشيء الا ليقال : انه منصف لا تمنعه الخصومة من قول الحق

ومن هذا الباب ما رواه التبـاني في الجزء الثاني صفحة ٧٧ و٧٨ قال :

ان معاوية بكى حين بلغه قتـل امير المؤمنين ، فقالت له زوجتـه فاختة : انت بالأمس تطعن عليه ، واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك انما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره .

وانه بكى ايضاً ، وقال : رحم الله ابا الحسن ، كان والله كذلك حين سمع ضرار بن ضمرة الكناني يصف الامام بقوله :

كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبـه ، وتنطلق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيـا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، كان غزير الدمعة طويـل الفكرة ، يقلب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام

ما جشب – اي تغير – .

وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، ويبتدئنا اذا اتيناه ، ويأتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع قربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم اهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وأشهد لقـد رأيته في بعض مواقفه ، وقـد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني اسمعه وهو يقول : يا دنيا يا دنيا ، الي تعرضت ، ام لي تشوقت ؟! هيهات هيهات غري غيري !.. قـد ابنتك ثلاثـاً ، لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير . . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق !..

هذا ما اردنا نقله وتلخيصه من كتاب « تحذير العبقري من محاضرات الخضري » ، وهو كاف للدلالة على اخطاء الخضري وتعصبه وتحامله ، وفي الوقت نفسه يدل على ان في علماء السنة من يقول ما يعتقد ، ويعلنه على الناس بدون تحيز ، واذا جهل بعض الحقـائق لتأثير البيئة والتربية فان الجهل عذر بالقياس الى التعصب ، وقصد الفتنة ، وتفريق الكلمـة التي يهدف اليها امثال الجبهان والحفناوي والخطيب .

ومهما أخطأ رجل العلم ، وأثر عليه المحيط فلا بد ان تجد في اقواله شيئـاً من الحقيقة ما دامت بوحي من ايمـانه وعقيدته ، اما من يقول ويكتب ما يطلب منه ويملى عليه ، اما الذي يتلقى الوحي من اعداء الدين والوطن فمحال ان تجد عنده غير الكذب والدس على الابرياء ، والغش لله وللمؤمنين .

المثل الاعلى*

الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية

من الاخطاء الشائعة بين فئة كبيرة من الناس انهم يقيسون الفرد بالاموال والمناصب ، وبمقدرته على الضرر ، وسطوته على حقوق الآخرين فيقولون : فلان عظيم لأنه غني او وزير او نائب او مدير ، ومن مناقبه انه عزل زيداً ، وعين عمراً ، وخالف القانون ، ولم يجرأ احد على محاكمته وعقابه . فالاحترام والتقدير في منطقهم يقوم على الشخصية الفردية ، وعلى أساس الرغبة والرهبة ، فيعظمون الفرد اذا طمعوا في خيره ، او خافوا من شره ، أما الشخصية المبدأية ، اما من تتمثل فيه الصفات العليا من الاخلاص والعدل والعلم فهو في زوايا الاهمال والنسيان ما داموا من شره وضرره في أمان ، وما دام عاجزاً عن تعيين زيد وعزل عمر .

اجل ، قد نجود على الطيب بكلمة « آدمي » ونعم الرجل ، ولا بأس به ، ولكن اذا اجد الجد وانبرى ضده شيطان من الشياطين ناصرنا

* تليت في احتفال أقيم لاحياء ذكرى الامام .

الباطل ، وخذلنا الحق ، وكنا من حزب الشيطان ، وهذا شأننا في كل شيء ، او أكثر المواقف ، نؤمن بالمبادىء نظرياً ونكفر بها عملياً [1].

وليس من شك ان هذا النفاق يرفضه الدين والاسلام ، ويبرأ منه العقل والوجدان ، ان أهل الدين والوعي يقدرون الشخصية المبدأية ، فيقدسون الجهاد والاخلاص ، والعلم والعدل ، فاذا ما قدروا واحترموا رجلاً ؛ فلأنه يمثل هذه المبادىء المقدسة ، ولأنها تتمثلُ في شخصه وعمله وجميع حركاته وسكناته ، فتصبح محسوسة ملموسة بعد ان كانت فكرة مجردة ونظرية تسطرها الاقلام حبراً على ورق ، والفاظاً تلوكها الألسن ، ثم تذهب مع الريح .

وعلى اساس المبادىء وتقديسها نحتفل بهذه الذكرى الكريمة ، ونتحدث عن المعاني الفاضلة والمثل الرفيعة ، والعمل الذي أنتج للانسانية أطيب الثمار ، نتحدث عن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون ، وعنه يتساءلون ، عن اول من آمن بالله ، وصدق الرسول ، عن امير المؤمنين الذي شرفه التنزيل ، وعظمه الجليل .

ولكن لهذا النبأ جوانب من العظمة ، لا جانب واحد ، وقد شغلت عظمته اهل العصور القديمة والحديثة ، وستشغلهم الى يــوم يبعثون .. فعن اي جانب منها نتكلم ؟

البلاغة

هل نتكلم عن بلاغته ، ونحن الذين نعصر الادمغة ساعات وساعات ،

(١) وأجمع كلمة تعبر عن هذا قول الفرزدق للامام الشهيد الحسين حين سأله عن اهل الكوفة ، قال الفرزدق : قلوبهم معك وسيوفهم عليك .

لنركب ، ونزوق بعض الكلمات نتحدث عن بلاغة من سن الفصاحة لقريش ، وقيل عن كلامه : انه فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق ؟!

ويمكننا ان نتخذ من هذا الوصف مقياساً لجميع صفات الامام فنقول : ان قدرته فوق قدرة المخلوق ، ودون قدرة الخالق ، وكذا علمه ولطفه ، وما الى ذلك من صفات الجلال والكمال .

الشجاعة

او نتكلم عن شجاعته ، ونحن الذين نهتز ونرتجف لمجرد الوهم والخيال نتحدث عن شجاعة من قال : لو اجتمعت علي العرب لما وليت مدبراً . وان بن أبي طالب لا يبالي سقط على الموت او سقط الموت عليه . وقال : لالف ضربة بالسيف احب الي من ميتة على فراش ، وكفى أن يشهد جبريل بشجاعته ، وينادي بين السماء والارض :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

الحلم

او نتكلم عن حلمه ، ونحن الذين تغلي قلوبنا غلا وحقدا ، ويحب احدنا ان يأكل لحم اخيه ميتاً . نتكلم عمن سقى الماء لاعدائه بعد ان منعوه منه ، وعفى عن ابن العاص ، اعدى اعدائه ، وبسر بن ارطاة ، وطلحة الطلحات بعد ان مكنه الله من رقابهم ؟!.

الزهد

او نتكلم عن زهده ، ونحن الذين ندس ونتآمر ، ونكذب ونرائي ، ونبيع ديننا للشيطان من اجل الدرهم والدينار نتحدث عن زهد من قال : والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها عـلى ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وقال مشيراً الى حذائه التي لا تساوي كسر درهم : ان هذه احب الي من دنياكم الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلا !.

العلم

او نتكلم عن علمه ، ونحن الذين نقرأ الكتب ، ونسهر الليالي الطوال حتى نحفظ الكلمة نتحدث عمن قال على المنبر بملأ من الناس : سلوني قبل ان تفقدوني ، وانها لكلمة لا يجرأ على التفوه بها الا علي ، وقـال : لو ثنيت لي الوسادة لافتيت اهل التوراة بتوراتهم ، واهل الانجيل بانجيلهم ، وأهل القرآن بقرآنهم . وقال فيه الخليفة الثاني : لابقيت لمعضـلة ليس فيها ابو الحسن ، وقال عشرات المرات : لولا علي لهلك عمر .

واخبر الامام بمغيبات كثيرة اتينا على ذكرها في كتاب « علي والقرآن » مع المصادر والارقام ، منها اخباره عن الراديو والتلفزيون ، حيث قال : يأتي زمان يرى ويسمع من في المشرق من في المغرب ، وهذه المغيبـات مدونة في كتب مضى على تأليفها اكثر من الف سنة ، وعلى طبعها ما يقرب من مئة سنة .

السياسة

وقال جاهل متحذلق يقيس الامور بباعه ، ويكيلهـا بصاعه ، قال

هذا الجاهل : ان علياً لا يعرف السياسة ، لان عزل معاوية عن الشام ، وسقى الماء لاعدائه ، وعفى عنهم .

واجيب عن هذا بأجوبة شتى ، ولكن كلمة جاءت في مطاوي كلام الاستاذ جورج جرداق في كتاب « الامام علي » عبرت عن الواقع ، وهي ان الذين اعترضوا على الامام ارادوا من علي بن ابي طالب ان يكون معاوية ابن ابي سفيان ، ويأبى علي الا ان يكون علياً :

شكيب ارسلان

والكلمة الجامعة المانعة في هذا الباب نطق بها الامير شكيب ارسلان ، سمعتها من فمه ، واليك حكايتها :

في سنة ١٩٣٦ ، او ١٩٣٧ لا اتذكر التعيين اقامت جمعية الاصلاح في بيروت احتفالاً بذكرى الامام ، تكلم فيه عدد من الخطباء ، وكان من بينهم شكيب ارسلان ، وقدمه معرّف الحفلة بقوله : « تسمعون كلمة الامير شكيب ، وانما سمي اميراً لانه شبيه بالامير في سنانه وبيانه » .

فغضب شكيب من هذا التشبيه ، وقال على المنبر : « والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت ، حتى الساعة ، كما اعتراني حين سمعت المعرف يشبهني بامير المؤمنين علي بن ابي طالب ، والله ان كل ما في السماء والارض عدا الله والرسول لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن ابي طالب .. ان الله امر بالخير ، ونهى عن الشر ، ثم خلق علياً كما يشاء ، وقال للناس : هذا هو المثل الاعلى فاحتذوه » .

شيعة علي والمفترون

ترتفع في هذه الأيام صيحة لا شعورية ، وصرخات « هستيرية » بسب الشيعة وتكفيرهم على لسان « الجبهان » في السعودية ، و « الحفناوي » و « الخطيب » في القاهرة ، وترتفع هذه الصيحات والصرخات في دمشق على صفحات مجلة التمدن الاسلامي .

فما هو السبب يا ترى ؟!.. وهل هناك سر لتحالف هؤلاء على عداء طائفة معينة ؟! هل اعتنقوا خصومة الشيعة والافتراء عليهم في هذا الوقت بالذات لأهداف وغايات بعيدة الأثر ؟!

اجل ، هناك سر تتصل خيوطه برئاسة كنيدي لجمهورية الولايات المتحدة ، فلقد انتخبه اليهود بعد ان قطع على نفسه عهداً بأن ينهي مشكلة فلسطين ، ويسلم الارض العربية المقدسة لقمة سائغة لاسرائيل ، وما ان دخل البيت الابيض حتى خصص مبلغاً كبيراً من المال للذين يعملون جاهدين على صرف انظار العرب والمسلمين عن فلسطين ، وترك الحديث عنها والتفكير فيها . وقبض هؤلاء القدر المعلوم ، وشرعوا بتنفيذ الخطط المرسومة من

تمزيق وحـــدة المسلمين وتفتيت قوتهم ، عن طريق الاستفزازات وبث النعرات .

فطبعوا الكتب ، ووزعوا النشرات ، وقالوا فيها تصريحاً وتلويحا : ان الشيعة أشد خطراً من اسرائيل . فيجب ان نقضي عليهم ، ونترك اسرائيل آمنة مطمئنة .

لقد دعوا الى هذا بكل سبيل ، وهم على علم اليقين بأن القضاء على الشيعة لا يتم حتى لا يبقى واحد من المسلمين ، وان القضاء على المسلمين لا يتحقق حتى لا يبقى على وجه الارض شرقي ولا غربي ، انهم على علم من هذا دون شك ، ولكنهم قبضوا الاجرة ، ولا بد من عمل شيء وقد عملوا ..

رددت على « الجبهان » بكلمة مطولة ، وعلى الحفناوي بكلمة أطول ، وفي هذه السنة بالذات طلع علينا شخص ، يدعى « محب الدين الخطيب » طلع بصفحات اسماها « الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية الاثني عشرية » .

قال : دين الشيعة ، ولم يقل مذهب الشيعة ، ليوهم انهم غير مسلمين ، واذا كان الشيعة ، الذين أقاموا ويقيمون كتاب الله وحدوده وشرائعه ، وسنن نبيه الكريم وآثاره ومعالمه ، اذا كان الشيعة الذين قـــام الاسلام على جهودهم وتضحياتهم من عهـــد امير المؤمنين علي الى اليوم ، اذا كانوا غير مسلمين ، فليس في الكون مسلم واحد ، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل ..

قال هـــذا الخطيب المصري في خطوطه العريضة : ان الشيعة كفرة مرتدون ، وليس بينهم وبين الاسلام نسب ولا سبب ، وأصولهم تخالف أصول المسلمين جميعـــاً ، وانهم يتلذذون بالعداء للاسلام ، وهم طابور

خامس في قلعة المسلمين ، وان الشيوعية وليدة التشيع ، وان المفيد كذاب ، والكليني وضّاع ، والشريف المرتضى والرضي مزوران ، وان الشيعة يسمون ابناءهم « تقي » من التقية لا من التقوى ، اما يزيد بن معاوية فهو من خيار الصالحين .

وليس من شك : اذا كان يزيد من خيار الصالحين فجميع الاصحاب حتى البدريين والخلفاء الراشدين من شرار المفسدين والجاحدين ، لا خصوص الشيعة والمتشيعين ، تعالى الله والمقربون اليه علواً كبيراً .

وقرظ خطوط الخطيب وقدم لها رجل ، اسمه محمد نصيف ، يظهر من كلامه انه سعودي وهابي ، اما نفقات الطبع والنشر فعلى علي بن عبدالله آل ثاني امير قطر ، وقد جعلها وقفاً لله ، كما هو مرسوم على الغلاف .

دار التقريب

ولندخل الآن في التفاصيل وعرض الخطوط الطويلة العريضة .

افتتح كاتب هذه الخطوط كلامه بحملة شعواء على دار التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ونال من الذين يعملون لوحدة الكلمة بين المسلمين ، لأن هذه الوحدة قوة ضد الصهيونية والاستعمار ، وهذا ما لا يرتضيه صاحب الخطوط العريضة ، لأنه يرضي الله والرسول ، ويقضي على جميع خطوط الاستعمار والصهونية ، إذن من اين تأتي الجنيهات والدولارأت ؟ ! فالشيء الثابت ان الصهاينة والمستعمرين لا يدفعون اذا اتفق المسلمون ، ومن اجل هذا وحده بذلوا كل وسيلة لتمزيق الوحدة وتفتيت قوى العرب والمسلمين . ولكن الناس ، والحمد لله ، يحتقرون المخربين والمفسدين ولا

يستجيبون لهم .

وبعد ان انتهى صاحب الخطوط من حملته على « دار التقريب » شرع بالتهويش على علماء النجف الاشرف بقصد اثارة الفتن ، واحداث الشقاق بينهم وبين علماء الازهر الشريف ، فاختلق مـا لم يكن في وهم ولا خيال ، ولا يمكن ان يصدقه عاقل ، قال في ص ٦ : نشر علماء النجف كتاباً اسمه الزهراء في ثلاثة اجزاء ، نالوا فيه من امير المؤمنين عمر بن الخطاب .

حاشا لله واولايائه ، وعلماء دينه واصفيائه ان يهووا الى هذا الدرك الذي هلك فيه من هلك ، ان الكاتب يعبر بما نقل عن نفسه ، ويدافع عنها باسلوب لا يلجأ اليه إلا مبتلى بداء لا دواء له .

ان صاحب الخطوط ، يستهدف من وراء قوله هذا ، ان يحرك علماء الأزهر ، ويبعثهم على معارضة القرار الذي اصدره الاستـاذ الاكبر بتدريس الفقه الجعفري بعد ان رأى فيه سبيل الوحدة والتفاهم والقضاء على خطوطه الهادفـة الى التخريب، لا الى التقريب ، والى الشقاق لا الى الوفاق .

ولنفترض ان كتاباً اسمه « الزهراء » او العنقاء ، فيه ما فيـه ، فأي مسوغ لنسبة الكتاب الى علماء النجف كافة وفيهم حفظة الدين وشريعة سيد المرسلين ؟! لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . وما هو المبرر لهذا التدليس والتلبيس إلا التحامل على حماة الاسلام وحاملي لوائه ؟!

لقد افتى الشيخ « بخيت » ـ وهو ازهري ـ بترك الصيام وجواز الافطار في رمضان ، وألف ازهري آخر ، وهو الشيخ محمود الشرقاوي ، كتاب « الدين والضمير » اباح فيـه ترك الصوم والصلاة والحج وسائر العبادات ، فهل لعاقل ان يقول : ان علمـاء الازهر بقضهم وقضيضهم

اباحوا المحرمات ، وترك الصوم والصلاة ؟!. ونشر مصطفى محمود كتاباً انكر فيه وجود الله ، فهل نقول : ان المصريين جميعاً لا يؤمنون بالله ؟! وبالأمس القريب ، وبعد القرارات الاشتراكية التي اصدرها الرئيس جمال ، خرج كتاب في القاهرة يحمل اسم العدالة الاجتماعية جاء فيه « عدم وجود الطبقة الفقيرة يقضي على اساس دعائم الكيان الاجتماعي والاقتصادي » ، اي ان الحياة الاجتماعية مستحيـلة التحقق بدون الفقر والبؤس ، واذا لم يمثل هذا الكتاب رأي الرئيس جمال وغيره من رجال الثورة ، ومفكري مصر وعلماء الازهر . فكذلك كتاب الزهراء او العنقاء لا يمثـل رأي الكبار وغير الكبار من علماء النجف .

فقه السنة

وقال في ٧ : « الفقه عند اهل السنة لا يرجع الى اصول مسلمة عند الفريقين والتشريع الفقهي عند الأئمة الاربعة من اهل السنة قائم على غير الاسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة » .

ولا أدري مـاذا اراد بالفقه والتشريع الفقهي عند السنة الذي يقوم على اسس غير الاسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة ؟!

ونحن مع الكاتب اذا اراد من فقه السنة تلك المسائل الـتي يستحي الانسان من ذكرها ، واعرضت عنها في كتاب الفقه على المذاهب الخمسة وأشرت اليها في المقدمة بقولي : « وكما ان في اقوال المذاهب ما يتفق مع الحياة ، ويحقق العدالة فان فيها ما يجب ستره والاعراض عنه ، لذا اعرضت — عن تلك المسائل — ضناً بكرامة الفقه والفقهاء » .

اما الآن ، وبعـد ان فتح صاحب الخطوط العريضة ثغرة في جدار

هذه المسائل فقد اضطرها الى الظهور ، او اضطرني مكرها على الأصح الى ذكر طرف منها :

اختلف الحنفية في رجل ادخل احليله في دبر نفسه : هل يجب عليه الغسل مطلقاً انزل ام لم ينزل ، او لا يجب إلا اذا اذا انزل (ابن عابدين ج ١ ص ١٤٤) .

ومنها : ان المرأة اذا خرج منها نجس تمسح باصبعين لأنها اذا مسحت باصبع واحدة كالرجل تقع اصبعها — في ذاك المكان — فتلذذ فيجب عليها الغسل ، وهي لا تشعر (الدرر شرح الغرر ج ١ ص ٤٣) .

ومنها : ان التوضؤ من الحوض افضل من النهر ، لأن المعتزلة لا يجيزونه من الحياض (ابن عابدين ج ١ ص ١٣٠) .

ومنها : ان الغلام اذا بلغ الرجال ، ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال — في الساتر بالصلاة — وان كان صبيحاً فحكمه حكم النساء من فرقه الى قدمه . (ابن عابدين ج ١ ص ٢٨٥) .

ومنها : قول الحنابلة لا يحفظ المال للكلب الاسود ، ولو هلك عطشاً ويحفظ لغيره (الفقه على المذاهب الاربعة . مبحث الاسباب المبيحة للتيمم) .

ومنها : كراهية الصلاة خلف الأمرد (ابن عابدين ج ١ ص ٣٩٤) .

ومنها : اذا ادخلت المرأة اصبعها في فرجها ، وكانت مبلولة بماء او بدهن او ادخلت خشبة في فرجها ، وغيبتها وجب عليها قضاء الصوم دون الكفارة (الفقه على المذاهب الاربعة . مبحث المفطرات) .

ومنها : اذا كان للميت ابن أخ لأبويه ، وبنت أخ كذلك فالميراث كله للذكر دون الانثى ، كما كانت الحال في الجاهلية الجهلاء ، وكذلك اذا كان له عم من الابوين ، وعمة من الأبوين فلا ترث العمة شيئاً لانها انثى ، ومثله لو ترك جداً لأب وجداً لأم ، فالميراث للاول ، لانه

يتقرب بالذكر ، ولا شيء للثاني ، لأنه يتقرب بالانثى (المغني ج ٦ باب الميراث) وغيره من كتب الفقه للسنة ، حيث اجمعت المذاهب الاربعة على ذلك ، ومن اراد التفصيل فليرجع الى كتابنا « الوصايا والمواريث على المذاهب الخمسة » .

ومنها : قول ابي حنيفة : لو ان رجلاً في مصر ، وكل آخر في الاندلس بأن يزوجه فلانة فيعقد له عليها ، ولا يلتقيان اصلاً فيما يرى الناس ، ثم تجيء المرأة بولد يكون نسبه ثابتاً للرجل الذي في مصر (جميع كتب الحنفية في الفقه . ولكن اللفظ هنا لمحمد محي الدين عبدالحميد في كتاب الاحوال الشخصية . مبحث النسب) .

ومنها : اذا غسل الميت نفسه بعد موته فلا يحتاج الى من يغسله ثانية ، كما حدث ذلك للسيد احمد البدوي (حاشية الباجوري على الغزي على متن ابي شجاع . باب غسل الجنائز) .

ونكتفي بهذا المقدار ، ولو مضينا في ذكر ما نعرف من هذا الباب لاحتجنا الى مجلد ضخم ، وكنا في غنى عن هذه الاشارة لولا احراج الخطيب ومآزقه .

وبالاجمال ، فان اراد صاحب الخطوط العريضة من الفقه عند السنة ما كان من هذا النوع فالامر كما قال من ان اسس الفقه عندهم غير ما هي عند الشيعة بلا ريب « ومن يبتغي غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وان أراد الفقه الذي يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله الثابتة فهو فقه الامامية بالذات كما تشهد بذلك جميع كتبهم وآثار علمائهم في الفقه والاصول والحديث والتفسير والاخلاق والعقائد دون استثناء .

تأويل القرآن

وقال في ص ٨ : ان اصول الدين عند الشيعة ، قائمة من جذورها على تأويـــل آيات القرآن ، وصرف معانيهـــا الى غير ما فهمه منه الاصحاب ... وان القرآن قد زيد فيه ، ونقص منه .

انت خريج الأزهر الشريف ايها الخطيب ، وبقيت أمداً غير قصير تشرف وتدير مجلة الازهر الذي يخرج الاساتذة والعلماء الكبار ، ويعطي شهادة الاختصاص في الشريعة وأصول الدين ، ومع ذلك تقول هـــذا القول ! ومتى كان التأويـــل أصلا من اصول الدين ؟ ! وعلى اي شيء اعتمدت لهذا الحكم ؟! هـــل أخذته من اساتذة الازهر ، او رأيته في كتب الامامية ، او هو من نسج الخيال ؟! ولماذا لم تذكر لنا المصدر ؟!

اما كتب الامامية فتنص صراحة على اصول ان الدين هي الايمان بالله والرسول واليوم الآخر ، وان الفروع هي الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله . إذن ليس التأويل من الاصول ولا من الفروع عندهم، ولكن جناب الشيخ الخطيب احب ان يجتهد ، ويثبت ان باب الاجتهاد مفتوح عنده لا عند الامامية فقط ، فاجتهد وأصدر هذا الحكم .

وايضاً الازهر يدرس التفسير بعناية يستحقهـــا ، وليس من شك ان الخطيب اخذ هذا العلم عن شيوخ الازهر ، فهل قال له احد شيوخه ان الامامية لا يعتمدون على ظواهر القرآن ويصرفون آياته عن معانيها ، او وجد هذا في كتب الامامية ، كلا.. انه احب ان يجتهد فاجتهد ؟!

اما تفاسير الشيعة المنتشرة في كل مكان فانها تفسر القرآن بما دل عليه ظواهر الآيات ، ولا تحيد عنها إلا بقرنية من القرآن نفسه او من السنة

الثابتة ، وهذا تفسير البيان للطوسي ، ومجمع البيان للطبرسي ، وآلاء الرحمن للبلاغي ، والميزان للطباطبائي ، وغيرها مما يبلغ العشرات تشهد بذلك .
وبالاضافة الى كتب التفسير فقد عقد الامامية فصلاً خاصاً ومطولاً في كتب الاصول بعنوان حجية ظواهر القرآن ومما قالوه في هذا الفصل ان ظواهر القرآن حجة متبعة ، لانه نزل على الرسول الاعظم بلسان عربي مبين ، ليفهمه الناس كافة ، ويتدبروا آياته ، فيأتمروا بأوامره ، ويزدجروا بزواجره ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها » وقوله : « هذا بيان للناس وموعظة وهدى للمتقين » وقوله : « انما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » ثم ان القرآن تحدى البشر في كل جيل ان يأتوا ولو بسورة من مثله ، والتحدي يستدعي الاخذ بالظاهر لا بالباطن ، هذا ، الى ان اخبار اهل البيت التي أمرت بالتمسك بالقرآن تجاوزت حد التواتر[1] . قال الامامية هذا وأكثر من هذا ، ولكن الشيخ الخطيب مجتهد حتى في تحليل الكذب !..

الشيعة والقرآن

نسب صاحب الخطوط الى الشيعة القول بتحريف القرآن .

وقبل ان نجيب الشيخ المصري ، ونثبت عدم صحة قوله ، وبراءة الشيعة من قذفه وطعنه نوجه اليه هذا السؤال :

لماذا اثرت هذا الموضوع بالذات ؟! وما هي المصلحة من اثارته الآن ؟! ولحساب من ؟! أليس الحديث عن القرآن حديثاً عن رسالة الرسول الاعظم ؟! أليس التشكيك بالقرآن تشكيكاً في حلال محمد وحرامه، وأقواله وأحكامه ؟! وأين نجد الهدى والحق اذا اثرت — يا شيخ —

«١» انظر كفاية الاصول للخراساني ، ورسائل الانصار . مبحث حجية الظواهر ، والبيان في تفسير القرآن للخوائي ص ١٨٢ وغيرها من كتب الاصول .

الشبهات حول كتاب الله ؟! وهل يبقى للاسلام من شيء ؟!

فاتق الله يا شيخ الخطوط ، واعلم ان الذين يستفيدون من قولك هذا هم أعداء الاسلام والمسلمين وحدهم ، هؤلاء الاعداء الذين يتشبثون بالطحلب وخيط العنكبوت ، ويتذرعون بكل نقد واعتراض ، ولو كان من جاهل .

ثم ما هو موقف الشيعة من احراج هذا الشيخ الذي وضعهم امام هذه المعضلة وجهاً لوجه ؟! هل نسكت ونتغاضى ، حتى لا ندع منفذاً لاعداء الاسلام والقرآن ، ولكن سكوتنا معناه عند الخطيب ومن اليه اعتراف بالجريمة ، او ندافع ، ونثبت بالارقام من صحيح البخاري ومسلم ، ومسند الامام احمد ، وكنز العمال ، والاتقان ، والموافقات ، والاحكام ، وروح المعاني . نثبت من هذه الكتب وغيرها من كتب السنة بالذات ان القول بالتحريف جاء من السنة لا من الشيعة ، وهذه هي الامنية الوحيدة لاعداء الاسلام والمسلمين ، والصهاينة والمستعمرين ، وماذا يصنع الشيعة ومن ورائهم الشيخ محب الدين الخطيب ؟! اجل ، ان هذا جهر بالسوء دون شك ، ولكن الشيخ الخطيب هو السبب والبادىء اسوأ وأظلم « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعاً عليما ـ١٤٧ النساء »

لقد تبرأ علماء الامامية من القول بالتحريف زيادة ونقيصة منذ عهد الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ . الى يومنا هذا . وقالوا : ان القرآن هو هذا الذي بين الدفتين لا زيادة ولا نقصان صرح بذلك الصدوق في كتاب عقائد الشيعة ، والمرتضى في جواب المسائل الطرابلسيات ، والشيخ الطوسي في التبيان ، والطبرسي في مجمع البيان ، والشيخ جعفر النجفي في كشف الغطاء ، والمحقق الشيخ علي الكركي في رسالته ، والسيد

محسن الاعرجي في شرح الوافية ، والسيد محسن الأمين في نقض الوشيعة ، والسيد الخوئي استاذ العلماء في هذا العصر بكتابه البيان ، وغيرهم وغيرهم .

ويستدل صاحب الخطوط على نسبة التحريف الى الشيعة بما جاء في الكافي للكليني من ان عند علي قرآنا فيه زيادات ، وان الكافي عند الشيعة بمنزلة صحيح البخاري عند السنة ؟

الجواب

إذا كان عند السنة صحاح ستة : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فليس عند الامامية كتاب واحد صحيح من اوله إلى آخره سوى القرآن الكريم الذي منه يستقون ، وعليه يعتمدون ، وبه يتمسكون ، وفي سبيله يضحون بالنفس والولد والمال ، اما الكافي والاستبصار والتهذيب ومن يحضره الفقيه ، أما جميع الكتب « الارضية » ما كان منها وما يكون فهي عند الامامية لأعبد مثلنا غير معصومين يصيبون ويخطئون ، فلا يلزم احد بما فيها من رأي او رواية إلا من ثبتت عنده .

ولا أدل على ذلك من ان فقهاء الامامية في كتبهم الفقهية وغيرها لا يتعبدون بأحاديث الكافي ولا التهذيب والاستبصار ولا من يحضره الفقيه ولا غيرها ، بل لو أجمعت هذه الكتب الاربعة على صحة الاحاديث فلا يلزم به احد إلا من قال بصحته وهذه نتيجة طبيعية لفتح باب الاجتهاد ، وقد فصلت ذلك في كتاب « مع الشيعة الامامية » فقول الشيخ الخطيب ان كتاب الكافي عندهم بمنزلة البخاري ان دل على شيء فانما يدل على رغبته في ان تؤمن الشيعة بغير ما انزل الله ، ويأبى الله لشيعة اهل

البيت ن يؤمنوا بغير كتابه .

على ان حديث الزيادة في القرآن الذي عند الامـــام ـ على افتراض صحته ـ محمول على الزيادة في التأويل لا التلاوة ، اي انها تفسير للقرآن لا جزء منه ، كما قال آية الله الخوئي في كتاب البيان ص ١٧٣ ، وكما في هامش صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٢٧ طبعة سنـــة ١٣٧٧ هـ من ان الحافظ ذكر الآية ٩٤ من سورة النساء هكذا : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين ـ ابي ذر من المؤمنين ـ والمجاهدون في سبيل الله » قـــال كاتب الهامش على البخاري : ان « زيادة ابي ذر من المؤمنين » على معنى التفسير لا التلاوة .

اهل السنة والقرآن

وبناء على احراج صاحب الخطوط العريضة ، والدفاع عن النفس ، وان كتاب البخاري صحيح عند السنة ، كما قال الشيخ الخطيب ننقل من هذا الكتاب ما نصه بالحرف الواحد عـــن المجـــلد ٨ ص ٢٠٩ طبعـــة سنة ١٣٧٧ هـ :

« جلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بمـــا هو اهله ، ثم قال : اما بعد فاني قائل لكم مقالة قد قدر لي ان اقولها لا ادري لعلها بين يدي اجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها ، حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي ان لا يعقلها فلا احل لاحد ان يكذب علي ، ان الله بعث محمداً بالحق ، وانزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ، ورجمنا بعده فأخشى ان اطال بالناس زمان ان يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم

في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا احصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، او كان الحبل ، او الاعتراف ، ثم انا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله :
« ان لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم »

هذا ما جاء على لسان الخليفة الثاني في صحيح البخاري[1] ، مع العلم بأنه ليس في القرآن ما يشعر بوجوب الرجم والرغبة عن الآباء .

واكتفى بهذه الاشارة لانها كافية وافية للتدليل على انه ، ان كان ولا بد من تهمة القول بالتحريف فغير الشيعة احق بها واولى من الشيعة .
ومن اراد التفصيل والاطلاع على ما جاء في كتب السنة من نقص الآيات المزعومة فليرجع الى كتاب نقض الوشيعة للسيد محسن الامين ، وآلاء الرحمن للشيخ جواد البلاغي والبيان لآية الله الخوئي ، وفي هذا الكتاب نقلا عن كتب السنة ان لعائشة قرآناً جاء فيه : « يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الاولى »

وكان ابو بكر يصلي الصفوف الاولى .

الحقيقة

وإذا نظرنا الى الواقع ، ووقفنا موقف المحايد ، وتجردنا من بواعث الهجوم الذي شنه على الشيعة صاحب الخطوط ، وبواعث الدفاع الذي اضطرنا اليه هذا الشيخ ، اذا تجردنا الى الحق وحده وجدنا كلا من ائمة

---

١ ـ ويذكر البخاري في امكنة اخرى من صحيحه انه نقص ايات اخرى غير آية الرجم ، ومثله في ذلك صحيح مسلم ، انظر ص ١٠٧ القسم الاول من الجزء الثاني طبعة سنة ١٣٤٨ ه وكذا في مسند احمد ، والاتقان للسيوطي ، والموافقات للشاطبي ؛ والاحكام للامدي : وتاريخ دمشق للحافظ ، وتفسير الطبري ، وكان كنز العمال ، ورروح المعاني ، كل هذه الكتب للسنة وفيها احاديث التحريف .

الشيعة والسنة ، ومن يعتمد عليهم من العلماء القدامى والمحدثين متفقون كلمة واحدة على ان يد التحريف لم ولن تنل القرآن بزيادة او نقصان ، لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . وقوله : « لا يأتيه بالباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

اما القول بالتحريف فضعيف ومتروك ، ذهب اليه نفر أقل من القليل من السنة والشيعة ، ولا أدري لماذا مارس جناب الشيخ نشر الخلافات ، وبث النعرات بين المسلمين وأخلص لهذه المهنة منذ القديم ، ولعلها رابحة بالنسبة اليه ، والله العالم !..

وأغرب من الغريب ان يثير صاحب الخطوط خريج الأزهر الشريف ومدير مجلته سابقاً ، ان يثير مثل هذا النزاع ، مع ان بعض الطوائف لا تشير الى أي خلاف حول كتابها المقدس على ما بين فرقها من التباغض والتباعد !..

الرجعة :

قال في ص ١٧ : ان الرجعة من عقائد الشيعة الأساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد .

وهذا تماماً مثل قوله التأويل من اصول الدين عند الشيعة ـ ابداً ـ . كل شيء عند هذا الكاتب من اصول الدين عند الشيعة ، فالتأويل والرجعة ومفتاح الجنان ، والنيل من كرامة الصحابة ، والتقية والغلو ، كل هذه عقائد اساسية عند الامامية ، لا يرتاب فيها شيعي واحد ، بل حتى الشيوعية هي بنت التشيع ، والوليد الاصيل له .. بل حتى الطابور الخامس من العقائد والاصول عند الشيعة ، كما أعلن كاتب الخطوط في

صفحة ١٧ و ٢١ و ٣٤ .

وبعد ، فهل أجيب او أعرض ؟.. وما زلت أغلب نفسي تارة ، وتغلبني اخرى ، ثم قلت : انها محنة على كل حال ، سكت او أجبت ، والجواب أقل المحذورين ، والوزر على من كان السبب ، على كاتب الخطوط الذي أراد ان يسود صحيفة طائفة بريئة لمآرب في نفسه .

ان الرجعة عند الامامية يا جناب الشيخ ليست من الأصول ولا من الفروع ، وأحاديثها تماماً كأحاديث الدجال عند السنة التي رواها مسلم في صحيحه ، من شاء آمن بها ، ومن شاء جحد ، ولا بأس عليه في الحالين، لأن مسألة الدجال ليست من الاصول العقائدية ولا الفروع الضرورية .

ان دعائم الاسلام عند الامامية يا كاتب الخطوط خمسة ، كما رووها عن النبي وأهل بيته ، وهي : شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ، وصوم شهر رمضان ، فأين الرجعة والتأويل ؟! اجل ورد عن اهل البيت في أكثر من حديث اضافة الولاية الى هذه الدعائم اشارة الى الآية ٥٨ من سورة المائدة : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون »

الاصحاب :

قال في ص ١٥ : ان الشيعة - ينالون - من ابي بكر وعمر وعثمان .

روى الامامية عن الامام الرضا حفيد الامام الصادق حديثاً يكشف النقاب عن سر هذه التهمة ، قال : ان مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا ، وجعلوها على أقسام ثلاثة : احدها الغلو ، وثانيها التقصير في أمرنا ،

وثالثها التصريح بمثالب غيرنا ، فإذا سمع الناس الغلو غالوا فينـــا ، وإذا سمعوا مثالب غيرنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا ، وقد قال الله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله » .

وقال الامام زين العابدين في الصحيفة السجادية : اللهم صل على اتباع الرسل واصحاب محمد خاصة الذين احسنوا البلاء ، وصل على التابعـــين من يومنا هذا الى يوم الدين .

فأين السب واللعن يا كاتب الخطوط ؟!. قال الدكتور زكي مبارك في المجلد الثاني من كتاب التصوف الاسلامي : «كانت أدعية زين العابدين مما اهتم به الشيعة اهتماماً شديداً ، فصححوا رواياتهـــا ونقدوها ، وكتبوها بالذهب في كثير من البلدان » .

يكتب الامامية الصلاة على النبي واصحابه والتابعين له بماء الذهب ، بشهادة اديب مصري كبير ، يكتب للتاريخ مجرداً عن كل غاية ، ويأتي كاتب الخطوط ، فيقلب الحقيقة ويحرّف الواقع ، لا لشيء إلا لحاجة في نفسه ، ان الذي سب ولعن الصحابة يا حضرة الشيخ ، من نسب هــــذا السب الى الابرياء الاصفياء . ما ذنب الامامية إذا تطرف مغال وتجاوز عن الحد ، فهذي كتب الامامية صريحة واضحة بالبراءة من الغلو والمغالين ، وبكفر من اعطى صفة الربوبية لمخلوق ، وصفة النبوة لغير محمد من بعده .

الشيعة والشيوعية .

قال في ص ٣٤ : ان الشيوعية التي تفاقمت في العراق وايران هي وليدة التشيع ، فالشيوعيون في ذينك القطرين من صميم ابنـــاء الشيعة ، وقد وجدوا المذهب الشيعي عريقاً في الخرافات والأوهام والأكاذيب التي لا

تعقل فكفروا به . وقال في ص ٢١ : الشيعة طابور خامس

ان هذا القول يذكرنا بنوري السعيد الذي كان يتهم بالشيوعية كل من يعارض سياسة انكلترا ، ومشاريعها الاستعمارية ، وايضاً يذكرنا بمبدأ ايزنهاور ، الذي اعتبر القومية العربية حركة هدامة ومخربة ، ويعلم الجميع ، حتى الاطفال والجهال ان هذه التهمة من مخلفات الاستعمار والميراث الباقي من تركة باشا بغداد .

الشيعة طابور خامس يا حضرة الشيخ وانت والحفناوي والجبهان واضرابكم اداة صلاح واصلاح ، لأنكم تعملون على تنفيذ الخطوط المرسومة للقضاء على وحدة المسلمين وقوة الاسلام !..

ولماذا يا صاحب الخطوط تتسابق انت والجبهان والحفناوي إلى بث النعرات ونشر الخلافات ، وتتجاهلون الاستعمار في فلسطين ، وفي الجزائر وعمان وتونس وغيرها من البلاد العربية الاسلامية ؟! ثم هل الحزب الشيوعي في سوريا وأندنوسيا ، وأكراد العراق وليد التشيع ؟!. وهل كل شيوعي في العرب والمسلمين شيعي ؟! ثم من هم الذين سلموا فلسطين لليهود هل فيهم شيعي واحد ؟!. ومن ألحق الدعي فاروق بن نازلي برسول الله ، وأفتى بانه الشريف الحسيب النسيب علماء النجف او غيرهم ؟! ومن اغتال حسن البنا رئيس الأخوان المسلمين ؟! ومن نكل برجال هذه الجماعة وصلبهم على الأعواد ؟! ومن بارك هذه المجزرة علماء النجف أو غيرهم ؟! ومن كفر الامام المصلح محمد عبده ؟!

قال الشيخ محمد عبدالله السمان في كتاب « الاسلام المصفى » ص ١٢٩ : « كانت أقل عبارات شيوخ الأزهر تصف فاروقاً العربيد بالملك الصالح وناصر الاسلام ورافع لوائه ومعلي كلمته » وكتب عنه هؤلاء الشيوخ يقولون : « أصبح الناس في الخافقين ولا حديث لهم إلا أنعم الفاروق

وأياديه البيضاء على العلم والدين أما رعاية جلالته للدين وحرصه على نشره فانه شهد الله أحيا سنن السلف الصالح في الاقبال على العــلم والدين ، ومصر كلها بل والعالم الاسلامي اجمع يشهد »

فهل قال هذا او بعض هذا علمــاء النجف لفيصل الاول او لابنه غــازي او لحفيده فيصل الثاني ؟!.. كلا ، ثم كلا ، بل قاطعوهم ، واستنكروا عليهم أعمــالهم وسيرتهم مع انهم خير الف مرة من فاروق العربيد وابي فاروق !.. وما فعل علماء النجف ذلك إلا عملاً بعقيدتهم التي تفرض عليهم محاربة الظلم والفساد .

وكيف نسبت يا شيخ الخطوط الشيوعية في العراق وايران الى مذهب التشيع ، وسكت عن جــامعة النجف وقم والمعاهد الدينية في همــدان وطهران وغيرها ؟!.. لماذا تجاهلت ما قدمته النجف من خدمات للاسلام طوال عشرة قرون كاملة ؟! انك لا تذكر إلا ما يراد منك ان تذكره .

لقد كان الشيعة وما زالوا القوة والدعــامة الاولى للاسلام في شتى الميــادين ، حملوا السيف وجاهدوا لنصرة الدين والوطن ضد الانكليز في العراق وقتل منهم عشرات ، ويوم الاعتداء على بور سعيد تظاهر الشيعة العراقيون ضد الحكومة التي كانت معادية يومذاك للرئيس جمال ، وسقطت القتلى ، ومنهم حفيد احد المراجع الكبار في النجف .

وأفتى الامامية في جميع كتبهم الفقهية بوجوب الجهاد والتضحية بالنفس والنفيس للدفاع عن المسلمين وكلمــة لا إله إلا الله ، فمنذ مئات السنين وطلاب الشيعة يدرسون ويحفظون هذه الجملة « يجب الجهاد إذا هجم عدو على المسلمين يخشى منه على بيضة الاسلام » ، كما ألفوا العديد من المجلدات في مختلف العلوم الاسلامية ، من التفسير والحديث ، الى العقائد والتشريع والفلسفة ، الى التراجم وعلم الرجال والادب والتاريخ الاسلامي ، ولولا

الشيعة لم يكن للازهر عين ولا أثر ، ولا كان للفقه هذه المكانة والعظمة
قال الفيلسوف المصري عبدالرحمن بدوي في كتاب « دراسات اسلامية » :
« للشيعة اكبر فضل في اغناء المضمون الروحي للاسلام ، واشاعة الحياة الخصبة القوية العنيفة التي وهبت هذا الدين البقاء قوياً عنيداً » أما تآليفهم في الدفاع عن الاسلام ، واثبات فضله وتفضيله عقيدة وتشريعاً واخلاقاً على جميع العقائد والشرائع الوضعية وغير الوضعية فهي فريدة في نوعها ، وقد سبقوا اليها الجميع ، حتى هذه الدراسات الاسلامية الحديثة التي نجدها في كتب العقاد والغزالي وسيد قطب وابن نبي وغيرهم، فكتاب الهدى الى دين المصطفى للشيخ البلاغي ، والدين والاسلام لكاشف الغطاء هما حجر الاساس في هذا البناء .

أما كتاب الرحلة المدرسية في ثلاثة اجزاء لحبر الامة الشيخ جواد البلاغي فقد أسدى الى دين محمد خدمة لا يؤدي شكرها المسلمون مجتمعين ناقش المؤلف الاديان غير الاسلامية على الاسس العلمية ، والاصول المسلمة عند اربابها بحيث يشعر القارىء بعظمة الاسلام وتفوقه دون ان يجد في الكتاب ذكر الاسلام ، ولو ان امثال الخطيب والحفناوي تركوا الشيعة وشأنهم ، ولم يشغلوهم بالدفاع عن النفس والردع عن الباطل لزادت المكتبة الاسلامية اضعافاً عما هي عليه الآن في شتى العلوم .

اما قول صاحب الخطوط بأن الشيوعية وليدة التشيع فهو تصديق وتطبيق لنظرية باشا بغداد ، كما قدمنا ، واشبه بقول القائل بأن وجود الشيء تعبير عن عدمه ، وان الموت يرادف الحياة ، ان اصاغر الطلبة يا جناب الشيخ يعرفون ان الشيوعية التي عنيتها تنبت من بيئة الفقر والبؤس والاوضاع الفاسدة ، والظلم والكبت ، وفي البلاد التي فيها شيوخ منافقون ومأجورون ، اما مذهب التشيع فيقوم بعد الايمان بالله والرسول واليوم

الآخر على محاربة الفقر والطغيان ، وان التاريخ ليشهد على ان الشيعة كانوا وما زالوا الحزب المعارض لحكام الجور الذين يعملون على افقار الناس واستعبادهم ، ومن اجل هذا تألبت عليهم قوى الطغيان على مر الاجيال - إقرأ كتاب الشيعة والحاكمون - وقد اخذوا ذلك عن امامهم الاعظم امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، حيث قال : لو كان الفقر رجلا لقتلته . وعن سيد الشهداء الذي اعلن شعاره يوم الطف بقوله : لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا ندما .

هذا الى ان الامامية انفردوا عن سائر المذاهب حيث اوجبوا على كل مكتسب وعامل ان يدفع ٢٠ بالمئة الى المحتاجين عما زاد عن مؤونة سنته ، كما حرموا على اي انسان ان يحتفظ بالفائض عن حاجته اذا وجد فرد او نفس محترمة تتوقف حياتها على هذا الفائض .

الخرافات

أما قوله مذهب التشيع عريق بالخرافات والأوهام والأكاذيب فإنما يصح ويصدق على من قال بأن الله لا يقبح منه شيء ولا يجب عليه شيء ،فيجوز ان يدخل النمرود وفرعون وأبا جهل في الجنة ، والانبياء الى النار ، وانه يكلف بما لا يطاق ويعذب العبد على ما يفعل ، وان الله يصدر عنه كفر الكافرين ، وإلحاد الملحدين ، والزنا والسرقة والمظالم والآثام ، وشرب الخمر ، وجميع انواع الشرور والمعاصي ، وإنه يأمر بما لا يريد ، وينهي عما لا يكره ، وايضاً يصدق على من أجاز نسبه الحكم الى النبي إذا دل عليه القياس ، فيقال : قال رسول الله ، وإن لم يكن قد قاله [1] ،

---

١ - ابو العباس القوطبي شرح مسلم ، والحافظ العراقي في الفيتة . نقلا عن كتاب اضواء على السنة المحمدية لابي رية ص ٨٣ طبعة اولى ١٩٥٨ .

وتصدق الخرافات والاكاذيب على مذهب الذين أجازوا الذنوب الصغائر على النبي عمداً وسهواً ، والكبائر سهواً لا عمداً [1] ونسبوا اليه ما لا يليق .

وأيضاً تصدق على من آمن بحديث الجساسة الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي ، وفيه ان السيد المسيح يقيم في جزيرة بدير مكبلاً بالحديد من عنقه الى ركبتيه ، وإنه سيخرج ويهبط كل قرية إلا مكة والمدينة ، فكلما حاول دخولها استقبله ملك بيده سيف .

وأيضاً تصدق الخرافات على من قال بأن لملك الموت سبعين ألف رجل ، واربعة آلاف جناح ، وأنه لا شيء من الأحياء إلا وله وجه وعين ريد في جسم عزرائيل (دقائق الاخبار للامام عبد الرحيم القاضي . الباب الخامس في أحوال الموت) إلى غير ذلك من الاساطير الموجودة في الصحاح وغير الصحاح . وأقف عند هذا القليل من الأمثلة ، لأنه كاف واف في التعبير عن الكثير .

الحقيقة :

والحقيقة ان الخرافات والاوهام والاكاذيب توجد في عدد من كتب السنة والشيعة على السواء ، فما هي من خصائص فرقة دون اخرى . ومن هنا اتفقوا جميعاً على وجوب الوضع في الأحاديث النبوية ، والجهل والهوى في بعض المؤلفات السنية والشيعية . وقد تصدى الصفوة من الطرفين

---

١ ـ المواقف وشرحه ج ٨ ص ٢٦٣ وما بعدها ، وقد حرف شيخ الخطوط بعض اقوالي كما هي عادته حينما يتكلم عن الشيعة ، ومن اراد معرفة الاحاديث الموضوعة في توهين الانبياء عن طرق السنة فليرجع الى الجزء الثالث من كتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر فانه سيجد ارقاماً واضحة لا تقبل التأويل .

لمحاربة تلك الخرافات ، وبرأوا منها الاسلام ، ووضعوا في ذلك عشرات الكتب ، اذن فلا يحق لسني ان يعترض بشيء من تلك الخرافات على الشيعة ما داموا يعترفون بكذبها وبطلانها ، وكذلك لا يحق لشيعي مثل هـذا الاعتراض إلا دفاعاً عن النفس وردعاً عن الباطل .

ومعلوم ان موقف الشيعة كان وما زال موقف المدافع لا المهاجم ، لأنهم يؤمنون بالجماعة الاسلامية ، ويتطوعون جنوداً في سبيل وحـدة المسلمين وقوتهم .

التحريض على الشيعة :

قال في ص ١٤ : الحقيقة التي نلفت اليها انظار حكوماتنا الاسلامية ان مذهب الشيعة قائم على اعتبار الحكومات الاسلامية حكومات غـير شرعية . وان مفتاح الجنان سب الجبت والطاغوت .

هنا تظهر نوايا الشيخ جلية على حقيقتها ، ان هدفه الاول ان تقوم المعركة بين الحكومات الاسلامية والشيعة ، وعندها يتم تنفيذ الخطوط المرسومة للشيخ والجبهان الذين حرضا على افناء الشيعة .. ان الشيعة يا كاتب الخطوط اصلب واقوى من ان تنالهم يد سوء ، فلقد تظاهر عليهم المستبدون من قبل ومن بعد ، وما استطاع مستبد ولا طاغية ان يحني لهم رأساً ، بل ما زادهم ذلك إلا قوة ومنعة وانتشاراً .

اما الحكومات الاسلامية فهي في شغل شاغل عنك وعن اقوالك ، ثم كيف نوفق بين تحريضك على الشيعة الذي هو تحريض عـلى الاسلام بالذات ، وبين ادعائك بأنك مسلم ؟!..

أما قول صاحب الخطوط بأن الشيعة يعتبرون جميع الحكومات الاسلامية

غير شرعية فجوابه ان الامامية لا يحكمون على اية سلطة بأنها شرعية إلا بعد ان ينظروا باسم من تحكم هذه السلطة ، وماذا تدعي لنفسها ، هل تدعي انها تحكم باسم الله ، او باسمها هي او باسم المحكومين ؟!

فان ادعت انها تحكم باسم الله ، وانه هو الذي اختارها وسلطها على دماء الناس واموالهم واعراضهم ، سواء ارضوا أم كرهوا كما فعل الامويون والعباسيون من قبل ، فان كانت هذه هي الحال فالامامية لا يعترفون بهذه الحكومة ولا بشرعيتها الا اذا ترأسها نبي يوحى اليه او من اختاره النبي لذلك ، ونص عليه صراحة .

وان حكمت باسمها لا باسم الله ، ولا باسم المحكومين فذاك هو الاستبداد والظلم بعينه .

وان حكمت باسم المحكومين لا باسم الله ، ولا باسمها اقرها الامامية واعترفوا بها إذا اختارها لذلك المحكومون بملء ارادتهم واختيارهم ، وحققت أمانيهم ورغباتهم[1] .

إما مفتاح الجنان الذي نقل عنه هذا الشيخ ، فلا تعترف بـه علماء الامامية ، لأن جامعه غير معلوم ، وهو لذلك لا يحمل اسماً لأحد ، ثم لماذا تركت يا شيخ الخطوط المرسومة الصحيفة السجادية ، والاقبال لابن طاووس ، وغيرها من كتب الأدعية والأوراد المعتبرة عند الامامية وتشبثت بهذا الكتاب المجهول ؟!. على ان في كتاب مفتاح الجنان أدعية تتجسم

---

١ ـ فصلنا ذلك في كتاب « الشيعة والحاكمون » وأثبتنا بالارقام ان السنة لا يجيزون الخروج على الحاكم الجائر ، وان فعل ما فعل . اما الامامية فمن مبدئهم الثورة على الظلم والفساد بجميع مظاهرها وصورها ، ومن اجل هذا قال احمد امين واضرابه بأن التشيع كان ملجأ لمن أراد هدم الاسلام . لان الاسلام في منطق احمد امين وشيخ الخطوط يتمثل في الحاكم ، وان كان جائراً ، فمن خرج عليه فقد خرج على الاسلام بالذات .

فيها المثل العليا ومكارم الأخلاق ، لكن الشيخ الخطيب اعرض عنها ، واتبع الجبت والطاغوت ...

هل يرضى الله ؟!

وبالتالي ، هل يرضى الله والرسول ان يشتم بعضنا بعضاً ، وان نلهو بهذه السفاسف والسخافات ؟! أفي هذا الظرف الذي تحتل فيه اسرائيل ارضنا المقدسة ، ويقتل الفرنسيون والانكليز اخواننا في الجزائر وعمان ، ويرسل كنيدي مبعوثه الخاص جنسون الى البلاد العربية ليساوم ويعمل على تثبيت اسرائيل ، ودفن قضية العرب اللاجئين نهائياً تكتب وتنشر وتنفذ الخطوط المرسومة يا شيخ ؟!.

كان البسطاء يتساءلون : لماذا تأخر المسلمون ، وذهبت هيبتهم واصبحوا أكلة لكل طامع ؟!. وكيف انتصرت شرذمة من اليهود على العرب مجتمعين ؟!. ولماذا حقق الاستعمار اهدافه في البلاد العربية والاسلامية ، ولماذا اعرض النشء عن الدين ، حتى اعتنق بعضهم مبادىء لا تمت الى الاسلام بصلة ؟!

وبعد ان كتب الخطيب والحفناوي والجبهان اتضح كل شيء ، ولم يعد هناك من سر .

ان الناس اليوم يجرون في سباق مع الزمن ، ويهتمون بالعلم واخباره ، بانتصار الشعوب المتقدمة على مستقبلها ومصيرها ، ويتسابق الحفناوي والخطيب والجبهان الى توزيع السباب واللعنات على الأحياء والأموات ، وبث الفتن ، واحداث الفجوات ، واثارة النعرات بين المؤمنين والآمنين .

والله سبحانه المسؤول ان يعصمنا من الاتجار بالعواطف والدين .

من اقوال الامام

نقلنا فيما سبق جملة من أقوال الامام وحكمه . ونذكر هنا جملة ثانية لمناسبة ما سنذكره من اقوال الائمة الاحد عشر من اولاده واحفاده عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . قال :

● اليأس احدى الراحتين ، وقلة العيال احدى اليسارين ، والعلم احدى الحياتين ، والمودة احدى القرابتين ، والذكر الجميل احد العمرين ، والجهل احدى الميتتين ، والزوجة الصالحة احدى الراحتين . والهم احد الهرمين ، والشهوة احدى الغوايتين .

الراحة الثانية التي تقابل اليأس تتحقق ببلوغ المطلوب ، واليسار الثاني يكون بوجود المال ، والحياة التي تقابل العلم هي الحياة الاخروية ، والقرابة الثانية قرابة النسب ، والعمر الثاني هو عمر الانسان الذي عاشه ، والراحة الثانية المقابلة لراحة الحياة الزوجية هي الراحة من تكاليف الزواج ومتاعبه. والغواية الثانية غواية الجهل ، لان الانسان يحيد عن طريق الحق امـــا

.. وعدم معرفته واما لشهوة في نفسه .

● الناس بامرائهم اشبه منهم بآبائهم .
لان الانسان باخلاقه وعاداته يقلد اصحاب الثراء والجاه والسلطان

● اسوأ الناس حالا من لم يثق باحد لسوء ظنه ، ولم يثق به احد لسوء فعله .

● الايمان ان نؤثر الصدق ، حيث يضرك على الكذب ، حيث ينفعك .

● لا تقولوا قوس قزح ، وقولوا قوس الله ، وامان من الغرق .
وهذا من علومه التي سبق بها زمانه .

● ربما اخطأ البصير قصده ، وابصر الاعمى رشده .

● نعم الناصر الجواب الحاضر .
اذا كان الجواب بعد النظر والتفكير لم يكن بشيء ، قال عمرو بن العاص : ما اتقيت جواب احد من الناس غير جواب ابن عباس لبداهته .

● من فسدت بطانته كان كمن غص بالماءلو غص بغيره لاساغ الماء غصته .

● من طلب الدين بالجدل تزندق .

● المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا خائفاً ، وان كان محسناً ، لانه بين امرين : بين وقت قد مضى لا يدري ما الله به صانع ، وبين اجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات .

● ادنى الانكار ان تلقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرة .

● ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد ، نفس دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم ، مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه .

● يظهر في آخر الزمان ، وهو شر الازمنة نسوة كاشفات عاريات ، متبرجات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات الى الشهوات ، مشرعات الى اللذات ، مستحلات للمحرمات في جهنم خالدات .

وهذا اخبار بالغيب ، لانه صورة طبق الأصل عن نساء هذا العصر .

● لا تزال هذه الامة بخير ما لم يلبسوا لباس العجم ، ويطعموا اطعمة العجم ، فاذا فعلوا ذلك ضربهم الله بالذل .

وصدقت نبوءة الامام علي (ع) فقد ضربت الذلة والمسكنة على امة محمد (ص) منذ تخلفت باخلاق الاجانب .

● مسكين ابن آدم ، مكتوم الاجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقة ، وتقتله الشرقة ، وتنتنه العرقة .

ان في الانسان قوة تجعله « يشارك السبع الشداد » يسخرها لحاجاته وأغراضه ، ويواجه بها أهم الأحداث بكل بساطة ، وان فيه

ضعفاً يعجز معه عن مقاومة الاشياء التافهة ، كالبقة والشرقة ، امـا الحكمة من وجود هذا الضعف الى جنب تلك القوة فهي ان لا يطمئن الانسان الى قوتـه فيطغى ، ولا يستسلم لضعفه فينصرف عن الجهـاد والعمل ، والعـاقل من يناضل في هذه الحيـاة ، وهو على حذر من المخبآت والمفاجآت .

وهذه النظرة العميقة الصائبة الى الانسان لا تكون إلا بتعلم من ذي علم ، او بوحي من عقل معصوم عن الزلل والاخطاء [1] .

● قال الراغب الاصبهاني في الجزء الاول من « محاضرات الأدباء » ص ٢١٦ طبعة ١٩٦١ : روي عن امير المؤمنين علي انه قال : ما أحسنت لأحد قط ، ولا اسأت الى احد . فرفع الناس رؤوسهم تعجباً !.. فقرأ قوله تعالى : « ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » .

---

١ ـ انظر صفحة ٥١ من هذا الكتاب .

الامام الحسن

ولد بالمدينة ليلة النصف من رمضان المبارك سنة ثلاث من الهجرة ، وهو اول ولد علي وفاطمة(ع) .

كنيته ابو محمد ، ولقبه الزكي ، سماه وكناه جده رسول الله (ص) .

صفته :

كان ربعة ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، ابيض اللون مشرباً بحمرة ، أدعج العينين[1] ، كث اللحية ، كأن عنقه ابريق فضة ، كعنق جده وابيه بعيد ما بين المنكبين ، وكان جعد الشعر حسن البدن ، ويخضب بالسواد.

اولاده

كان له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وانثى ، وهم زيد ، وام الحسن وأم الحسين ، وأمهم ام بشير بنت ابي مسعود الخزرجية ، والحسن ، وامه خولة بنت منصور الفزارية ، وعمر ، والقاسم ، وعبد الله ، وامهم ام ولد ، والحسين الملقب بالاثرم ، وطلحة ، وفاطمة ، وامهم ام اسحق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي ، وام عبد الله ، وام سلمة ، ورقية ،

ـ الدعج شدة سواد العين مع سعتها .

لامهات شتى ، ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد [1] .

وفاته :

دس معاوية له السم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس [2] فانتقل الى ربه مسموماً في السابع من صفر سنة خمسين من الهجرة .

قال المسعودي : توفي الحسن ، وهو ابن خمس وخمسين سنة .

من أقواله :

قال في وصف اخ له .

● كان لا يقول ما لا يفعل ، ويفعل ما يقول .

واذا عرض له امران لا يدري ايهما اقرب الى ربه نظر اقربهما من هواه فخالفه .

ولا يلوم احداً على ما قد يقع العذر فيه .

قال الله تعالى : « كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ــ ٢ الصف »

وقال بعضهم : ان الرجال كالاشجار ، منهم من يقول ولا يفعل ، وكذلك الصفصاف يحمل الزهر ولا يثمر . ومنهم من يقول ويفعل ، كالتفاح والرمان يحمل الزهر ويثمر ، ومنهم من يفعل ولا يتكلم ، كشجرة التين تثمر ، ولا تحمل الزهر .

ومن ابرز صفات المؤمن ان يؤثر مرضاة الله سبحانه على هواه ،

---

١ ــ أعيان الشيعة ص ٩ ج ٤ طبعة ١٩٤٨

٢ ــ قال الامام الصادق : اشترك الاشعث في دم امير المؤمنين ؛ وجعدة ابنته سمت الحسن وابنه محمد اشترك في دم الحسين .

قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربـــه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ـ ٤١ النازعات » . وقـــد رأيت من يتظاهر بالدين ويؤثر هواه في كل شيء ، ثم يكيف الدين حسب أغراضه ، ويقول : هذا تكليفي الشرعي بموجب ما أدى اليه نظري وكل ما ادى اليه نظري فهو حكم الله في حقي فهذا حكم الله في حقي ..

ومن صفات المؤمن ان يعـــذر اخاه المؤمن ، ولا يسارع الى اتهامه واساءة الظن به . قال امير المؤمنين : لا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءاً ، وانت تجد لها من الخير محملاً » .

● بالعقل تُدرك الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً .

أراد بالعقل العـــلم والعمل ، فان اهل البيت كثيراً ما يطلقون لفظ العاقل على العالم العامل ، وقد جاء في الحديث : « قسم العقل ثلاثة اجزاء ، فمن كن فيه كمل عقله ، ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة لله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على امر الله » .

● اذا أردت عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان فأخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته جل وعلا ، واذا نازعتك الى صحبة الرجال حاجة ، فأصحب من اذا صحبته زانك ، واذا خدمته صانك ، واذا اردت معونة اعانك ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان بدت منك ثلمة سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته اعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملات واساك ، لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وان تنازعتما منقسماً آثرك .

الامام الحسين

ولد في الخامس من شعبان سنة اربع من الهجرة ، وبين ميلاده وميلاد اخيه الحسن عشرة اشهر وعشرون يوماً .

صفتـه :

جاء في الجزء الرابع من اعيان الشيعة انه لم يرد في وصفـه شيء مفصل ، وانما ورد كلام مجمل علمنا منه انـه كان ذا حسن باهر ، ونور زاهر ، وطلعة غراء ، لم يغير الموت والقتل شيئاً من جمال طلعته ، وكمال هيئته ، وزاهر وجهه ، وباهر نوره ، حتى اخذ ذلك بقلب عدوه ابن مرجانة ، وحمله على ان يقول : ما رأيت مثله حسناً .

اولاده :

كان له من الاولاد ستة ذكور ، وثلاث بنات : علي الاكبر شهيد

كربلاء ، وامـــه ليلى بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، وعلي الأوسط ، وعلي الاصغر زين العابدين ، وامـــه شاهزنان بنت كسرى ، ومحمد ، وجعفر مات في حياة ابيه ، وامه قضاعية ، وعبد الله الرضيـــع ذبح في حجر ابيه ، وسكينة امهـــا ، وام عبدالله الرضيع الرباب بنت امريء القيس ، وفاطمة ، وامها ام اسحق التميمية ، وزينب ، ونسل الحسين (ع) من الامام زين العابدين (ع) .

استشهاده .

قتل في عاشر المحرم سنة ٦١ من الهجرة ، وكان عمره الشريف ٥٦ سنة واشهراً ، عاش منهـــا مع جده رسول الله (ص) ست سنـــين ، ومع ابيـــه ٣٦ سنة ، ومع اخيه الحسن ٤٦ ، وبقي بعـــد اخيه نحو عشر سنين .

من أقواله :

● من دلائل العالم انتقاده لحديثه ، وعلمه بحقائق فنون النظر .

الجاهل يستصوب رأيه ، ويخطىء سواه ، والعالم بالعكس يتهم نفسه . ويحتمل الصواب في رأي غيره ، فيبحث ويدقق ، ويهتم بكل رأي مخالف له ، حتى يكون على بينة مما يقول ، قال الامام الصادق : المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل . اما العلم بحقائق فنون النظر فهو التميز بين اسباب المعرفة التي تثبت الحق وتكشف عن الواقع ، وبين الادلة الخطابية الجدلية التي لا تثبت حقاً ، ولا تزيل شكاً ، وهذا بالذات ما ذهب اليه

بعض الفلاسفة الجدد ، من ان الفلسفة ليست بشيء سوى البحث عن اسباب المعرفة .

● المؤمن لا يسيء ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيء ، ويعتذر .

● رب ذنب احسن من الاعتذار منه .

● من احبك نهاك ، ومن ابغضك اغراك .

وقد اشتهر بين الشيعة ان سيد الشهداء (ع) كان يدعو يوم عرفة بدعاء طويل ، وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل تحت السماء ، وما زال شيعة اهل البيت يداومون على الدعاء بـه في نفس الموقف ، وما قراه قارىء وتأمل معانيه ، وما يهدف اليها إلا خشع قلبه ، واستيقظ عقله ، وشعر بالقرب من الله سبحانه ، والتعلق به ونقتطف منه الجمل التالية :

لو حاولت واجتهدت مدى الاعصار والاحقاب – لو عمرتها – ان أؤدي شكر واحدة من نعمك مـا استطعت ذلك إلا بمنك الموجب علي شكراً جديداً [١] .

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك [٢]

---

(١) في مقدور الانسان ان يؤدي شكر نعمة انعمها عليه انسان مثله ، بـل في مقدوره ان يرد الاحسان اضعافاً ، فيصبح هو المنعم المستوجب للشكر ، اما تأدية الشكر لله فمحال ، لان منحه القدرة على الشكر نعمه تستدعي الشكر ايضاً ، وهكذا الى ما لا نهاية .

(٢) هذا مبدأ أهل البيت الذي لا يحيدون عنه في قول او فعل ، فهم ابدا ودائماً كأنهم ينظرون الى الله عز وجل وجهاً لوجه .

اللهم اجعل غناي في نفسي ، واليقين في قلبي ، والاخلاص في عملي ، والنور في بصري ، والبصيرة في ديني .

اللهم حاجتي التي ان اعطيتنيها لم يضرني ما منعتني ، وان منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني ، اسألك فكاك رقبتي من النار[1] .

الهي انا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرا في فقري ؟!.. وانا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولا في جهلي[2] ؟!.

إلهي مني ما يليق بلؤمي ، ومنك ما يليق بكرمك .. إلهي كلما آخرسني لؤمي ، انطقني كرمك ، وكلما آيستني اوصافي اصمعني مَنّك .

كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ؟ ! . . أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ؟!.. متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟!. ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ؟!.. عميت عين لا تراك عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً ..

ماذا وجدك من فقدك ؟!. وما الذي فقد من وجدك ؟!..

يقول الامام سيد الشهداء : ان معرفة الله تحصل بالضرورة والبديهة ، لا بالاستدلال والنظر ، لان الاستدلال انما يكون بالمعلوم على المجهول ، ولا شيء اوضح وأظهر من وجود الله ، حتى يستدل به عليه عز وعلا .

وقد اخذ الصوفية هذا المعنى من الحسين ، واطالوا فيه الشرح والتفصيل ، وتفننوا في عرضه ، وعبروا عنه باساليب شتى ، وقال قائل

---

(١) وهذا مبدأ آخر من مبادىء آل الرسول ، فمثلهم الاعلى مرضاة الله ، والنجاة في دار البقاء ، اما هذه الحياة فليست عندهم بشيء ما لم تكن وسيلة لهذه الغاية .

(٢) ليس في وسع الانسان ان يعرف كل شيء ، ومهما بلغت درجته من العلم لا بد ان تخفى عليه أشياء وأشياء لا يبلغها الاحصاء ، بل ان كثيراً من معارفه تكون مجرد اوهام ، فهو اذن جاهل في علمه ، ولكنه جاهل معذور .

منهم : ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه ، وقال آخر : ما رأيت شيئاً غير الله .

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو ان الضرورة يشترك في معرفتها العالم والجاهل ، ولا يمكن ان ينكرها منكر ، لانها تماماً كالقول ان الاثنين أكثر من الواحد ، مع ان الايمان بوجود الله قد تعرض لكثير من الهجمات ، لا من الجهال فحسب ، بل ومن بعض العلماء والفلاسفة .

ونجد الجواب عن ذلك في قول الحسين (ع) « إلهي ماذا وجد من فقدك ؟! وماذا فقد من وجدك ؟! » اي ان من لا يرى الله لا يمكن ان يرى شيئاً على حقيقته ، ما دام جاهلا بسببه وعلة ايجاده ، فان كل ما لديه من « المعارف » ليست في الواقع الا جهلا ووهماً ، حتى الضرورات والبديهيات ، واني على علم اليقين انه ما انكر من انكر وجود الله الا لأنه معرض عن الله . اما من يتجه اليه فانه واجده لا محالة

وقرأت في بعض الكتب موعظة بالغة نسبها صاحب الكتاب الى ابراهيم بن ادهم ، ولاهمية تلك الموعظة وتأثيرها في نفوس الغافلين وقساوة القلوب نقلتها في كتاب « الاخرة والعقل » وحين باشرت بكتابة هذا الموضوع بحثت ونقبت عن كلمات الحسين (ع) فوجدتها بين حكمه ومواعظه في المجلد السابع عشر من كتاب بحار الانوار للعلامة المجلسي صفحة ٢١١ طبعة ١٢٩٧ ، فايقنت ان ابن أدهم اخذها من الامام الحسين (ع) وحمدت الله سبحانه على الهداية والتوفيق الى تصحيح هذا الخطأ :

جاء رجل الى الحسين ، وقال له :

انا رجل عاص ، ولا اصبر عن المعصية ، فعظني بموعظة يا ابن رسول الله .

قال الامام : افعل خمسة اشياء ، واذنب ما شئت .

« قال الرجل : هات يا ابن رسول الله »

قال الامام : لا تأكل رزق الله ، واذنب ما شئت .

« قال الرجل : كيف ؟! ومن اين آكل ، وكل ما في الكون من رزق . هات الثانية »

قال الامام : الثانية اخرج من ارض الله ، واذنب ما شئت .

« قال الرجل : هذه أعظم من تلك ، فأين أسكن ؟! هات الثالثة » .

قال الامام : الثالثة أطلب موضعاً لا يراك الله فيه ، واذنب ما شئت .

« قال الرجل : كيف ؟! ولا تخفى على الله خافية »

قال الامام : الرابعة اذا جاء ملك الموت . ليقبض روحك . فادفعه عن نفسك ، واذنب ما شئت .

« فاضطرب الرجل ، وقال : بقيت الخامسة ، عساها أهون الجميع » .

قال الامام : الخامسة اذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل فيها ، واذنب ما شئت .

« قال الرجل : حسبي حسبي !.. لن يراني الله بعد اليوم فيما يكره »



الامام زين العابدين

ولد بالمدينة في شهر شعبـــان سنة ٣٨ هـ ، وتوفي سنة ٩٥ في ايام عبد الملك . ودفن بالبقيع عند عمه الحسن (ع) .

كنيته ابو محمد ، وأشهر ألقـــابه زين العـــابدين ، والسجاد ، وامه شاهزنان بنت كسرى[1] ولم أجد فيما لدي من المصادر شيئــاً في وصفه وملامحه سوى انه كان له في موضع سجوده آثار ثابتة كثفنات البعير ، وانه لذلك سمي ذا الثفنات .

اولاده

كان له خمسة عشر ولداً ، احد عشر ذكراً ، وأربع بنات ؛ وهم . محمد الباقر ، وامه فاطمة بنت الحسن السبط (ع) ، والحسن ، والحسين

---

(١) قال الراغب الاصفهاني في « محاضرات الادباء » ج ١ ص ٣٤٧ : أن امير المؤمنين قال لولده الحسين : خذها فستلد لك سيداً في العرب ، سيداً في العجم ، سيداً في الدنيا والآخرة .

الاكبر ، والحسين الاصغر ، وزيد ، وعمر ، وعبدالله ، وسليمان ، وعلي ، ومحمد الاصغر ، وخديجه ، وفاطمة ، وعلية ، وام كلثوم من امهات شتى

من اقواله

● قيل له : من اعظم الناس خطرا ؟.
قال : من لم يكن للدنيا خطر في نفسه
فمقياس العظمة عند الله تحقير الدنيا وحطامها ، وتعظيم الآخرة ونعيمها ، اما منطق الناس ، اي شرار الناس فبالعكس تحقير هذه ، وتعظيم تلك .

● لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يقبل ؟!.

● كفى بنصرك ان ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك .

● أبغض الناس الى الله من يقتدي بسنة امام ، ولا يقتدي باعماله .

● كم من مفتون بحسن القول فيه ؟!. وكم من مغرور بحسن الستر عليه ؟! وكم من مستدرج بالاحسان اليه ؟!.

● خف الله لقدرته عليك ، واستحي منه لقربه منك ، ولا تعادين احدا ، وان ظننت انه لا يضرك ، ولا تزهدن بصداقة احد ، وان ظننت انه لا ينفعك ... ولا يعتذر اليك احد إلا قبلت عذره ، وان علمت انه كاذب .

● الكريم يبتهج بفضله ، واللئيم يفتخر بملكه .

● هلك من ليس له حكيم يرشده ، ولا سيفه يعضده

●اكبر ما يكون ابن ادم في اليوم الذي يلد من امه .
لأن حياته تبتدىء من هذا اليوم ، فكلما تقدمت به السن كلما قلت ونقصت ، تماماً كقاطع المسافة كلما تقدم خطوات كلما قصرت .
قال الحكماء : ما سبقه الى هذا المعنى احد .

ثلاث ساعات

قال : أشد ساعات ابن آدم ثلاث :
الساعة التي يعاين فيها ملك الموت .
والساعة التي يقوم فيها من قبره .
والساعة التي يقف فيها بين يدي ربه ، إما إلى جنة ، اما إلى نار .
هذه الساعات الثلاث آتية لا ريب فيها ، ولا شيء أشد منها ، قال الغزالي في الجزء الرابع من « احياء العلوم » : لما جاء النزع الى رسول الله (ص) اشتد كربه ، وظهر انينه ، وترادف قلقه ، وارتفع حنينه ، وتغير لونه وعرق جبينه ، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره .
وقال بعض العارفين : من اظرف الاشياء افاقة المحتضر عند موته ، فانه ينتبه انتباهاً لا يوصف ، ويقلق قلقا لا يحد ، ويتلهف على زمانه الماضي ، ويود لو ترك ، كي يتدارك ما فاته ، ويصدق في توبته على

مقدار يقينه بالموت ، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف ، ولو وجدت ذرة من تلك الاحوال في اوان العافية حصل كل مقصـود مـن العمل بالتقوى .

واما الساعة الثانية فقد جاء الحديث في وصفها « يبعث الناس حفاة عراة قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحمة الآذان » .

وقال الامام زين العابدين : يا ابن آدم انـك ميت ، ومبعوث ، وموقوف ، ومسئول ، فاعد جوابا . ومن دعائه :

ابكي لخروجي من قبري عريانا ذليلا حاملا ثقلي على ظهري .

وجاء في وصف الساعة الثالثة قوله تعـالى : « يوم تشهـد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ـ ٢٤ النور » وقوله : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ومـا عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيدا ـ ٣٠ آل عمران » .

وقال الامام زين العابدين : ان الله عند الحساب لا يصدق كاذباً ، ولا يكذب صادقاً ، ولا يرد عذر مستحق ، ولا يعذر غير معذور .

خطوتان وجرعتان ودمعتان

وقال رواية عن جده رسول الله (ص) :

ما خطوة احب الى الله من خطوتين : خطوة يسدي بها صنعاً في سبيل الله ، وخطوة الى ذي رحم قاطع يصلها .

وما جرعة احب الى الله من جرعتين : جرعة غيظ يردها مؤمن بحلم وجرعة جزع يردها مؤمن بصبر .

وما من قطرة احب الى الله من قطرتين : قطرة دم في سبيل الله ،

وقطرة دمع في سواد الليل من خشية الله

المناجاة

اما مناجاة الامام زين العابدين ، وادعيته ، وتضرعه لله سبحانه فهي نوع خاص مستقل في ذاته لا يشبه في عظمته شيئاً ، ولا يشبهه شيء من كلام الناس ، ويحتاج الحديث عنه الى كتاب ضخم ، وقد تكلمت عن تلك المناجاة بشيء من التفصيل في كتاب « مع الشيعة الامامية » وكتاب « اهل البيت » وكتاب « الاسلام مع الحياة » وكتاب « الآخرة والعقل» وكتاب « المجالس الحسينية » ولا جديـــد لدي الآن ، لذا اكتفي بنقل الفقرة التالية من بعض ادعيته :

« سيدي ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني ايدي احبتي ، وارحمني مطروحاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي ، وارحمني محمولا قـــد تناول الاقرباء اطراف جنازتي ، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي ووحدتي »

ما هذه الزفرات المضطربة ، وهـــذا الاحتراق العميـــق الذي يلهب القلوب والافئدة ؟! هل هذا تأمل وتفكير ، وخوف من العذاب والعقاب او ان الامام شاهد ورأى ما لم نر ونشاهد ، او هذا ضرب من عبادة الصفوة الاخيار ، او درس وموعظة ؟!

اجل ،. انه عبادة العارفين بالله حقاً ، والعاملين لله وحده ، والراغبين اليه دون سواه ، وهو في الوقت نفسه درس ، ولكنه ليس مـــن نوع الدراسات اللفظية ، والشطحات الخيالية التي لا تمت الى الحياة بصلة ، وهو عظة ، ولكن ليس من نوع العظات التي يلقيها الشيوخ مـــن على

منابر المساجد ، وفي محطة الاذاعة والتي لا تتجاوز الحناجر والالسن ، انه درس عملي يحول هذا المخلوق من شيطان مجرم الى ملاك طاهر ، وهل في الدنيا نفع وخير لولا هذا الاحساس ؟! وهل هذه المعامل والمصانع ، تساوي شيئاً لولا هذا الشعور الطاهر ؟!

وبالتالي ، فقد رأينـا وشاهدنا ، تماماً كما رأى الامـام وشاهد ان الانسان اذا بلغ هذه الحال انقطعت صلته من كل شيء إلا من رحمة الله وحدها ، اما السبيل الى هذه الرحمة فقد بينها الامـام بقوله ثلاث من كن فيه كان في كنف الله ، واظله في ظل عرشه يوم القيامة ، وأمنه من الفزع الأكبر ، وهي :

من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه .

ولا يقدم يداً ولا رجلاً ، حتى يعلم انه في طاعة الله قدمها ، وعن معصية الله أخرها .

ولم يعب اخـاه بعيب ، حتى يترك ذلك العيب من نفسه ، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس

الامام محمد الباقر

ولد بالمدينة في رجب سنة ٥٧ من الهجرة ، وتوفي بالمدينة ايضاً سنة ١١٤ ، عاش منها مع جده الحسين اربع سنين ، ومع ابيه ٣٩ ، وبعده ١٨ سنة ، ودفن بالبقيع مع ابيه علي بن الحسين ، وعمه الحسن (ع) .

وكنيته ابو جعفر ، ولقبه الباقر ، وامه فاطمة بنت الحسن بن علي

صفته :

كان ربع القامة ، رقيق البشرة ، جعد الشعر ، اسمر ، له خال على خده ، ضامر ، حسن الصوت ، مطرق الرأس .

اولاده :

كان له سبعة اولاد : الامام جعفر الصادق ، وعبد الله ، وامهما ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر ، وابراهيم وعبيد الله ، وامهما ام

حكيم بنت اسد بن المغيرة الثقفية ، وعلي وزينب ، وامهما ام ولد ، وام سلمة ، وامها ام ولد

من أقواله :

● كم من رجل لقي رجلاً ، فقال له : كبت الله عدوك ، وما له من عدو الا الله .

● عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد .

● لا يكون العبد عالماً ، حتى لا يكون حاسدا لمن فوقه ، ولا محتقراً لمن دونه .

يريد الامام انه لا يكون عالماً من علماء اهل البيت (ع) بدليل ما ذكره في وصف الشيعة بالفقرة التالية :

● والله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون الا بالتواضع ، والتخشع ، واداء الامانة ، وذكر الله ، والصوم والصلاة ، والبر بالوالدين ، وتعهد الجيران من الفقراء ، وذوي المسكنة ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الالسن عن الناس .

● لا يقبل عمل الا بمعرفة ، ولا معرفـة الا بعمل ، ومن عرف دلته معرفته على العمل ، ومن لم يعرف فلا عمل له .

● اعرف المودة في قلب اخيك بما له في قلبك .

● اياك والكسل والضجر ، فانهما مفتاح كل شر ، من كسل لم يؤد حقاً ، ومن ضجر لم يصبر على حق .

● والايمان ما كان في القلب ، والاسلام ما عليه التناكح والثورات وحقنت به الدماء .

وقد أفتى المحققون من علمائنا بان من قال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » حقن دمه ، وجاز عليه التناكح والثورات ، حتى ولو علمنا بكذبه وعدم اعتقاده .

● ان لله عباداً ميامين ، مياسير يعيشون ، ويعيش الناس في أكنافهم وهم في عباده مثل القطر ، ولله عباد ملاعين مناكيد ، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم ، وهم في عباده بمنزلة الجراد لا يقعون على شيء إلا اتوا عليه .

● قال لشيعته : إنا لا نغني عنكم من الله شيئاً إلا بالورع ، وان ولايتنا لا تدرك إلا بالعمل ، وان أشد الناس يوم القيامة حسرة من وصف عدلاً ، وأتى جوراً .

اي ان من يدعي التشيع لآل الرسول ، ثم يعصي الله فهو كمن يقول ولا يفعل ، ويأمر ولا يأتمر .

● لا تذوقن بقلة – اي نبتة – ولا تشمها ، حتى تعلم ما هي ؟ ولا

تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه ؟ ولا تسير إلا مع من تعرف

العلم

قال : تعلموا العلم ، فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وبذله لاهله قربة .

وهو ثمار الجنة ، وانس الوحشة ، وصاحب في الغربة ، ورفيق في الخلوة ، ودليل على السراء ، وعون على الضراء .

ودين عند الاخلاء ، وسلاح على الاعداء ، يرفع الله به قوماً ، فيجعلهم في الخير سادة ، وللناس ائمة ، يقتدى بافعالهم ، ويقتص آثارهم ويصلي عليهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وانعامه .

فالعالم عند اهل البيت كالانبياء اذا نفع الناس بعلمه ، تصلي عليه سكان الارض والسماء ، حتى حيتان البحر ، وسباع البر ، اما العالم في هذا العصر فلا قيمة له إلا اذا صنع القنابل الذرية والهيدروجينية ، والمدمرات والمهلكات للدول الاستعمارية ، يخوفون بها الشعوب الآمنة ، ويستعبدون المستضعفين ، وإلا إذا استغله واستعبده ارباب الثراء والمصانع ، مثل فورد وروكفلر .

وقد اشار اهل البيت الى علماء هذا العصر بقولهم : « من العلماء من يضع علمه عند ذوي الثروة والشرف ، اولئك في دركات الجحيم » وفي حديث آخر هم أضر على الاسلام من جيش يزيد على الحسين بن علي .

الامام جعفر الصادق

ولد بالمدينة في رجب سنة ٨٠ من الهجرة ، وتوفي سنة ١٤٨ ودفن في البقيع مع ابيه وجده زين العابدين ، وعمه الحسن (ع) .

وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر ، وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر ، وهذا معنى قول الصادق ولدني ابو بكر مرتين ، وفي ذلك يقول الشريف الرضي .

وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم   بمولد بنت القاسم بن محمد .

وكنيته ابو عبدالله ، ولقبه الصادق .

صفته

كان ربع القامة ، ازهر الوجه ، جعد الشعر ، اشم الانف ، رقيق البشرة ، على خده خال اسود .

اولاده

كان له عشرة اولاد ، سبعة ذكور ، وثلاث اناث ، وهم : اسماعيل ، وعبدالله ، واسماء ، وتكنى بام فروة . وامهم فاطمة بنت الحسين بن

علي بن الحسين ، والامام موسى الكاظم ، ومحمد المعروف بالديبـــاج ، واسحق وفاطمة الكبرى ، وامهم حميدة البربرية ، والعبـــاس ، وعـــلي ، وفاطمة الصغرى لامهات شتى .

من اقواله

● المؤمن اشد في دينه من الجبال الراسية ، لان الجبل قد ينحت منه ، والمؤمن لا يقدر احد ان ينحت من دينه شيئاً ، لضنه بدينه وشحه عليه .

وفي حديث آخر : المؤمن اشد من زبر الحديد ، ان الحديد اذا دخل النار تغير ، وان المؤمن لو قتل ، ثم نشر ، ثم قتل لم يتغير قلبه .

● يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يُغفر للعالم ذنب واحد .

● من استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه ، ومن سلّ سيف البغي قتل بـــه ، ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها .

● اذا بلغك عن اخيك ما يسوؤك فلا تغتم ، فان كان كما يقول ، كانت عقوبة عجلت ، وان كانت على غير ما يقـــول كانت حسنة لم تعملها .

من اعقد المشاكل الاجتماعية التي لم يجد المشترعون ، وواضعو القوانين لها حلا ، الخصومة التي تقع بين الناس بسبب الغيبة ، وانتقاص بعضهم بعضاً ، فلقد وضع القانون حداً للاتجار بالخمر والبغاء ، وما اليهما ، وعجز ان يضع حداً للغيبة ، حيث لا سبيل الى منعها الا بوازع من النفس ورادع من الداخل ، وكلنا يعلم ما للغيبة من اسواء اجتماعية .

لذلك اهتم اهل البيت ان يثيروا آثامها في ضمير الانسان ، كما أغروا في الوقت نفسه الذي تبلغه الغيبة في ان يتجاهل ويصفح ويقبل المعذرة ، سداً لباب النزاع والخصومة بين الناس ، وبثاً للالفة والوئام .

ولا شيء أروع وانجع من هذا الاسلوب الذي استعمله الامام الصادق مع الذي تبلغه الغيبة ، حيث جعلها خيراً بالنسبة اليه في سائر الاحوال ، فان كانت حقاً اذهبت السيئات ، وان كانت باطلا زادت في الحسنات .

● لا يتم المعروف الا بثلاث خلال : تعجيله ، وتقليل كثيره ، وترك الامتنان به .

● من أوثق عرى الايمان ان تحب في الله ، وتبغض في الله ، وتعطي في الله ، وتمنع في الله .

● الرجل يجزع من الذل الصغير ، فيدخله ذلك في الذل الكبير .

وقد رأيت الف شاهد وشاهد على هذه الحقيقة ، يبتلى الانسان بمصيبة فلا يصبر عليها ، فيقع بما هو أشد واعظم .

● لا تنسب احدا الى الصداقة الا اذا جمع خمس خصال :

(١) ان تكون سريرته وعلانيته واحدة (٢) ان يرى زينك زينه ، وشينك شينه . (٣) ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال . (٤) ان لا يمنعك شيئاً يقدر عليه . (٥) ان لا يسلمك عند النكبات .

● ثلاثة اشياء يحتاج اليها جميع الناس : الأمن ، والعدل ، والخصب .

وقد ذكرت هذه الكلمة وشرحتها في كتاب « مفاهيم انسانية في كلمات الامام جعفر الصادق » وأعدتها هنا ، لأنها تعبر عن أمنية الناس في كل زمان ومكان . وعما فيه قوام الحياة .

الامام موسى الكاظم

ولد بالابواء ، وهو مكان بين مكة والمدينة في شهر صفر سنة ١٢٨ من الهجرة ، واستشهد في بغداد بالسم في سجن هارون الرشيد سنة ١٨٢ من الهجرة ، ودفن في الجانب الغربي من بغداد ، وتعرف المدينـــة التي فيهـــا قبره الشريف بالكاظمية ، نسبة اليه ، وهي متصلة ببغداد ، وامه حميدة البربرة وكنيته ابو ابراهيم ، ولقبه الكاظم ، والعبد الصالح .

صفته

كان ربعة ، اسمر شديد السمرة ، كث اللحية .

اولاده

كان له سبعة وثلاثون ولداً ، ١٨ ذكرا ، و١٩ أنثى ، وهم : الامام علي الرضا ، وابراهيم ، والعباس ، والقاسم ، واسماعيـــل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن ، واحمد ، ومحمد ، وحمزة ، وعبدالله ، واسحـــق ، وعبيدالله ، وزيد ، والحسن ، وسليمان ، وفاطمة الكبرى ، وفاطمة الصغرى

ورقية ، وحكيمة ، وام ابيها ، ورقيـــة الصغرى ، وكلثم ، وام جعفر ، ولبابة ، وزينب ، وخديجة ، وعلية ، وآمنة ، وحسنة ، وبريهة ، وعائشة ، وام سلمة ، وميمونة ، وام كلثوم ، من امهات شتى .

من اقواله

● رأى قبراً يحفر ، فقال : ان شيئاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله ، وان شيئاً هذا اوله لحقيق ان يخاف من آخره .

للانسان حياتان ، بينهما من البعد والتباين ما بين الوجود والعدم ، فهو حين يخرج الى حياته الاولى يجد فضاء شاسعاً واسعاً ، وشمساً وقمراً وطعاماً وشراباً ، واما وابا واهلا يهتمون بشأنه ، ويكونون له عونا في اموره ، كما انه يستطيع ان يختار لنفسه ، فيفعل ويترك ويحترس ، اما في حياته الثانية فاول ما يستقبله القبر وظلمته ووحشته ، وربما كان خيراً من سائر مواقفه الاخرى في المحشر وبين يدي الله سبحانه حيث لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

● قال : ليس حسن الجوار كــف الاذى ، ولكـــن حسن الجوار الصبر على الاذى .

● اذا كان يوم القيامة ينادي المنادي : الا من كان له على الله اجر فليقم ، فلا يقوم الا من عفا ، واصلح ، فاجره على الله .

● لا تكن امعه ، فتقول : انا مع الناس ، ان رسول الله قال : انما هما نجدان : نجد خير ، ونجد شر ، فلا يكن نجد الشر أحب اليك من نجد الخير .

يقول الامام : ان الله سبحانه بين لك طريق الخير ، وطريق الشر ، وامرك بفعل الخير ، وان تركه الناس ، وبترك الشر ، وان فعله الناس ، ونهاك عن التقليد ، ولا يقبل منك الاعتذار بان الناس قد فعلوا او تركوا ما دام الحق واضحاً بيناً .

● رأى الامام رجلاً فقيراً ذميم المنظر ، فسلم عليه ، وطايبه ، وحادثه طويلا ، ثم قال له : ان كانت لك حاجة فأنا اقوم بها .
فقال له قائل : يا ابن رسول الله انت تتواضع لهذا ، وتسأله عن حاجته ؟!
فقال : هذا عبد من عبيد الله ، واخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم ، وأفضل الاديان الاسلام ، ولعل الدهر يرد حاجتنا اليه ، فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه .

● المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان .

لقد تكرر هذا المعنى في كلمات اهل البيت (ع) ، واهتموا به اهتماماً كبيراً ، والهدف من وراء هذا الاهتمام ان يخففوا عن الناس آلامهم ويبعثوا القوة والامل في النفوس ، فيجابهوا الاحداث بصبر وجلد ، ويحلوا المشكلات بروية وتعقل .

● اولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل الابه ، واوجب العمل عليك ما انت مسؤول عنه .

● ان لله عرشاً لا يسكن تحت ظله إلا من اسدى لاخيه معروفاً ، او نفس عنه كربة ، او قضى له حاجة .

الامام علي الرضا

ولد بالمدينـــة في شهر ذي الحجة سنة ١٥٣ من الهجرة ، وتوفي في صفر سنة ٢٠٢ ، ودفن بطوس من ارض خراسان ، وامـــه ام ولد[١] تسمى الخيزران .

وكنيته ابو الحسن ، وأشهر القابه الرضا ، ولم اجد شيئاً في صفته سوى انه كان معتدل القامة .

اولاده :

عن الشيخ المفيد في الارشاد ، وابن شهراشوب في المناقب ، والطبرسي في اعلام الورى انه لم يترك ولداً الا الامام محمد الجواد .

من أقواله :

● لا يتم عقل امرىء ، حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ،

١ ــ ام الولد هي الامة اذا وطأها المالك وحملت منه ، فتصبح بحكم الحرة لا يجوز بيعها ، ولا هبتها .

والشر منه مأمون ، ويستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، ولا يسأم من طلب الحوائج اليه ، ولا يمل من طلب العلم طول دهره ، والفقر في الله أحب اليه من الغنى ، والذل في الله أحب اليه من العز ، والخمول أشهى اليه من الشهرة ، والعاشرة ان لا يرى احداً الا قال : هو خير مني واتقى .

ورب قائل : ان هذه الصفات لا توجد إلا في اهل البيت ، وعليه ينبغي ان لا يكون في الناس عاقل غيرهم .

الجواب :

ان الامام لم يسلب العقل كلية عمن لا يجمع هذه الخصال وانما نفى عنه العقل من جهة خاصة ، أي ان من يسيء ، ولا يحسن ، ويستقل من غيره ما يستكثره من نفسه فهو ناقص العقل من هذه الجهة ، وان كان كاملاً من جهات اخرى ، وبديهة ان النقص من جهة لا يستدعي النقص من كل الجهات ، كما ان كمال الانسان في صفة لا يستلزم كماله في جميع الصفات .

● سئل عن معنى التوكل ، فقال : ان لا تخاف احداً الا الله .

● يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة اجزاء تسعة في اعتزال الناس ، وواحد في الصمت .

● احسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه .

اي أن من تحيا الناس بوجوده حياة طيبـــة ، وتعيش بفضل جهوده عيش الامن والهناء فهو اسعد النـــاس ، واحسنهم حالا ، حتى ولو لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، تماماً كما كانت الحال بالنسبـــة الى الرسول الاعظم (ص) وامير المؤمنين (ع) .

● من صدق الناس كرهوه .

● المؤمن اذا غضب لم يخرج عن حق ، واذا رضي لم يدخـــل في باطل ، واذا قدر لم يأخذ اكثر من حقه .

● من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل.

وأخشى اذا اطلع على هذه الكلمة الذين كتبوا وألفوا في « الاشتراكية في الاسلام » ان يجعلوهـــا مستنداً للاشتراكيين الذين قالوا : « لكل حسب عمله » .

● ان للقلوب اقبالاً وادباراً ، ونشاطاً وفتورا ، فاذا أقبلت بصرت وفهمت ، واذا أدبرت كلت وملت ، فخذوها عند اقبالهـــا ونشاطها ، واتركوها عند ادبارها وفتورها .

الامام محمد الجواد

ولد بالمدينة في شهر رمضان سنة ١٩٥ من الهجرة ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٢٠ ، ودفن مع جده الامام موسى الكاظم في الكاظمية .

وامه ام ولد ، واسمها سكن .

كنيته ابو جعفر ، ولقبه الجواد

صفته

جاء في صفته انه شديد الادمة معتدل القامة .

اولاده

قال المفيد ، كان له اربعة اولاد : ذكران ، وهما الامام علي الهادي وموسى ، وبنتان ، وهما فاطمة ، وامامة .

من اقواله

● اوحى الله الى بعض انبيائه : اما زهدك في الدنيا فيعجل لـك

الراحـــة ، واما انقطاعك الي فيغرزك بي – اي ان عبادتك تقربـــك مني – ولكن هل عاديت لي عدواً ، او واليت لي ولياً ؟! .

أشرنا فيما تقدم ان كثيراً من الناس يؤمنون نظرياً ، ويجحدون عملياً ، ومن ذلك انهم يعتقدون ان زيـــداً على حق ، وان عمراً على باطل ، ولكنهم لا يناصرون المحق ، ولا يؤاخذون المبطل ، بل لا يجاهرون بعقيدتهم حذراً من غضب المبطلين . ولو كانوا مؤمنين حقـــاً لعملوا بما يعتقدون مهما تكن النتائج .

● من انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة .

● كفى بالمرء خيانة ان يكون اميناً للخونة .

● نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر .

● لا يضرك سخط من رضاه الجور .

● من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

● القصد الى الله بالقلوب ابلغ من اتعاب الجوارح بالاعمال .

● من اطاع هواه اعطى عدوه مناه .

● من لم يعرف الموارد أعيته المصادر .

حين كنت طالباً في النجف الأشرف خرجت للنزهة مع بعض الرفاق مساء احدى الجمع الى وادي السلام ـ كما هي عـادة الطلاب آنذاك ـ وبينا نحن نسير بين القبور التي تعد بالالوف واذا بمعدي من سواد العراق يسألنا : اين قبر جدتي ؟!

وكان مفروضاً ان نجيب بالايجاب على كل حال ، وإلا اسمعنا ما نكره ، لأن من يلبس العمة في مفهوم هذا السائل وأمثاله يجب ان يعرف كل شيء ، ولا تخفى عليه كبيرة ولا صغيرة .

فقلت له : أمامك هذه المقبرة .

فقال صاحبي : وماذا فهم من جوابك ؟!

قلت : ما فهمته انت من قبر جدته .

وهذا بالذات حال من يبحث عن مصدر مسألة عرضت له قبل ان يعرف من اي علم هي .. ومن اي باب من ابوابه ..



الامام علي الهادي

ولد بقرية في ضواحي المدينة تسمى صريا في شهر ذي الحجة سنة ٢١٤ ، وتوفي ودفن في سامراء في شهر رجب سنة ٢٥٤ ، وامه ام ولد واسمها ام الفضل .

كنيته ابو الحسن ، واشهر القابه الهادي والنقي ، وجاء في صفته انه كان اسمر اللون .

اولاده

كان له اربعة ذكور ، وبنت واحدة ، وهم الامام الحسن العسكري ، والحسين ، ومحمد ، وجعفر[1] ، وعلية .

من اقواله

- ان المحق السفيه يكاد يطفىء نور حقه بسفهه .

---

(١) ويلقب بجعفر الكذاب ، لانه ادعى الامامة بعد اخيه الحسن العسكري .

● من اطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق

● من رضي عن نفسه كثر عليه الساخطون .

● بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين ، يطري اخـــاه شاهداً ، ويأكله غائباً .

● اورع الناس من وقف عند الشبهة ، اعبد الناس من أقام الفرائض . ازهد [illegible]س من ترك الحرام .

● رياضة الجاهل ، ورد المعتاد عن عادته كالمعجز

● من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ، ولو قرض ونشر .

الامام حسن العسكري

ولد بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣١ مـــن الهجرة ، وتوفي ودفن بسامراء سنة ٢٦٠ ، وأمه أم ولد ، وتسمى سوسن .

كنيته ابو محمد ، ولقبه العسكري ، لانه كان يسكن في محلة تعرف بالعسكر

صفته

كان اسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، له جلالة وهيبة .

اولاده

ليس له من الولد غير محمد بن الحسن ، وهو الحجة المنتظر .

من اقواله

- من التواضع السلام على كل من تمر به ، والجلوس دون المجلس .
- بغض الفجار للابرار زين للابرار .
- خصلتان ليس فوقهما شيء : الايمان بالله ، ونفع الاخوان .
- من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم .
- أضعف الاعداء كيداً من اظهر عداوته .
- من كان الورع سجيته ، والعلم حليته انتصر من اعـــدائه بحسن الثناء عليه .

الامام الحجة محمد بن الحسن

قال العلامة المجلسي في المجلد الثالث عشر من كتاب البحار :

ولد للنصف من شعبان سنة ٢٥٥ من الهجرة ، وامه نرجس ، وحين وضعته تلقى الأرض بمساجده ، وهو نظيف منظف .

ونقل في صفحة ١١٥ من المجلد المذكور ان ابراهيم بن مهزيار اجتمع بالامام في مكة ، ووصفه بقوله :

ناصع اللون ، واضح الجبين ، ابلج الحاجب [١] مسنون الخد [٢] اقنى الانف [٣] اشم اروع [٤] ، كأنه غصن بان ، وكأن غرته كوكب دري ، في خده الايمن خال ، كأنه فتات مسك على بياض الفضة ، وله وفرة [٥]

---

(١) مفترق الحاجبين

(٢) طويل

(٣) مستوى

(٤) الاشم مرفوع الرأس ، والاروع من يعجبك بحسنه

(٥) الوفرة ما سال من الشعر على الاذن .

سمحاء تطالع شحمة اذنه ، ما رأت العيون اقصــد منه ، ولا اكثر حسنا ، وسكينة ، وحياء .

ومما قاله لابن مهزيار :

ان الله لا يخلي الارض من حجة ، يستعلي بها ، واماما يؤتم به ، ويقتدى بسننه ، ومنهاج قصده .

قال عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب « صيد الخاطر » صفحة ٥٦ مطبعة السعادة بالقاهرة .

« ان الله لا يخلي الارض من قائم له بالحجة ، جامع بين العلم والعمل عارف بحقوق الله تعالى ، خائف منه ، فذلك قطب الدنيا ، ومتى مات أخلف الله عوضه ، وربما لم يمت ، حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبة ، ومثل هذا لا تخلو الارض منــه ، فهو بمقام النبي (ص) في الامة .

وهذا الذي أصفه يكون قائماً بالاصول ، حافظاً للحدود .



شيعة علي والمنصفون

كان مفروضاً لهذا الكتاب ان تنتهي صفحاته مع الفهرست برقم ٢٤٨ ، لأن المواد التي سلمتها للمطبعة لا تتجاوز هذا الرقم ، ولكن بعد الانتهاء من طبع المواد بكاملها ووضع الفهرست قرأت في جريدة « الجمهورية المصرية » تاريخ ٢ آذار سنة ١٩٦٢ مقالاً قيماً بعنوان : « حاجتنا الى نظرة جديدة في التراث » للاستاذ احمد عباس صالح ، وهو من كبار الصحفيين في القاهرة ، والأدباء المعروفين في البلاد العربية ، والمقال على ايجازه بالـغ الخطورة ، كثير الفوائد ، فلقد كشف الغطاء عن حقائق أخفاها مدونو التاريخ القديم ، أو حرفوها عن مواضعها ، تبعاً لأهواء الساسة والحكام ، وتجاهلها المتأخرون من حملة الاقلام وقادة الفكر ، لأنها من الموضوعات الدينية الشائكة التي يثير النظر فيها رجال الأزهر ، وغيرهم من المحافظين على كل قديم ، ولو كان بدعة وضلالة .

قرأت هذا المقال فوجدت افكار كاتبه وآراءه تتفق تماماً مع ما سجلته في كتاب « الشيعة والحاكمون » الذي صدر في العام الماضي ، وأثرت فيه التساؤل حول اسلام بعض الصحابة ، وأثبت بالارقام ان الخلاف الذي

حصل بين علي وشيعته من جهـة ، وبين خصومه وأتباعه من جهة ، لم يكن خلافاً شخصياً ، ومن أجل الحكم والسلطان ، بل كان خلافاً مبدئياً وصراعاً بين مبادىء الاسلام ، والعمل على كتاب الله وسنة نبيـه الذي دعا اليه علي وابناء علي ، ومن أجـله استشهدوا وشردوا ، ونكل بهم وبشيعتهم ، وبين اعـداء الاسلام الذين حاولوا ان يطفئوا نور الكتاب والسنة ، ولا يبقوا للدين من باقية الا الاسم ، صراعاً بين من يريد الحكم للسلب والنهب ، والتحكم بمصير الناس ، وبين من يريد ان يسود العدل والاصلاح الاجتماعي .

رأيت كاتب المقال الاستـاذ صالحا يتفق معي في الفكرة والشعور والهدف ، فشعرت بالغبطة ، وحمدت الله سبحانه على ان فتح طريق النظر في تراثنا الذي يحتاج الى كثير من التعديل والتصحيح ، حمدت الله الذي فتح هذا الطريق بيد نزيهة مجردة من كل غاية ، وتترفع عن كل شائبة من شوائب الجهل والتقليد ، وتأثير التربية والمحيط .

لقـد أخذني هذا المقال بحقائقه وآرائـه ، وخشيت ان ينطوي مع الصحيفة التي نشرته ، ويذهب دون ان يُنتفع به ، ودون ان يحقق الهدف الذي يرمي اليه ، فرأيت ان اقتطف منه الجمل الـتي تنسجم مع اهداف هذا الكتاب ، وأسجلها مع مـا تستدعيه من التعليق والتوضيح ، فطلبت من صاحب المطبعة ان يتوقف عن طبع الفهرست بعد ان كمل ، وتهيأ للطبع ، لأضيف هذا الفصل الى الفصول التي من جملتها فصل مطول في الرد على منفذ « الخطوط العريضة » الذي اسفر عن وجهـه ، وأعلن التحدي السافر للحق وأهله ، وتمنيت لو ان الاستاذ صالحا نشر مقـاله قبل ان تنتهي المطبعة من الكتاب لا نشر هذا الفصل الى جانب فصل

« شيعـــة علي والمفترون » دون ان يكون بينهما اي فاصل ، على انهما قـد جمعا في كتاب واحد ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على انـــه اذا وجـــد في مصر عملاء ، أهـــل للازدراء والاحتقار ، كمحب الدين الخطيب منفـــذ « الخطوط العريضة » ومحمد السباعي الحفناوي صاحب « ابو سفيان شيخ الامويين » [1] ، فان فيهـــا أيضاً منصفين يستحقون الاحترام والتقدير : كالاستاذ احمد عباس صالح ، وفي هذا يجد القراء السر لاختيـــار « شيعة علي والمنصفون » عنواناً لهذا الفصل بعـــد ان اخترت « شيعة علي والمفترون » عنواناً للفصل الذي رددت به على محب الدين الخطيب .

قال الاستاذ صالح :

ان اذاعة صوت العرب بالقاهرة كلفته بكتابة برنامج تمثيلي عن الصحابي الكبير ابي ذر[2] وانه لم يكن يعرف عنه إلا انه كان صحابيـــاً جليلاً زاهداً يحض المسلمين على عدم كنز المال .

وقال الاستاذ صالح معتذراً عن جهله بان رجـــال الازهر يفرضون الحراسة العـــاتية على البحث في الاصول الاولى للاسلام ، وان الكتاب المحدثين تحرجوا عن النظر فيها ، لأن الذين حاولوا ذلك من امثال علي عبد الرزاق اشتبكوا في معارك دامية مع رجال الأزهر تركت اعظم الاثر في نفوسهم ، ثم في نفوس الاجيـــال التي تلتهم ، فلم يعد احد يخوض

---

(١) رددت على هذا السفياني في فصل مطول من كتـــاب « الشيعة والحاكمون » بعنوان « كتاب السفياني » .

(١) كلفته اذاعة صوت العرب بذلك ترويجاً للقرارات الاشتراكية التي أصدرهـــا الرئيس جمال عبد الناصر ، فكان من نتيجة تكليفها هذا المقال اليتيم :

فيها إلا من بعيد [1] .

ثم قال الاستاذ صالح :

« قرأت كتاباً صغيراً ولكنه ذو قيمة كبيرة للاستاذ العقاد عن مصرع الحسين بن علي ، وفيه نقطة هامة تخطاها العقاد بمهارة عن الصراع بين بيت ابي سفيان ، وبين بيت النبي من قبل الاسلام ، وامتد هذا الصراع بين البيتين بعد الاسلام ممثلا في الانقلاب الاموي الذي وثب فيه معاوية على الحكم ، ولكن هذه النقطة الهامة لم تأخذ مداها في كتاب العقاد لانها تجر الى اثارة الشكوك حول اسلام بعض بني امية [2] وانه لم يكن – اي اسلام بعض الامويين – إلا لانتهازية ، الغرض منها التمكن من قيادة التحول الجديد الذي اتى به الاسلام ... » اي ان بعض بني امية أبطن الكفر ، واظهر الاسلام طمعاً ان يتولوا الحكم بعد الرسول، تماماً كما يفعل الانتهازيون في عصرنا حين يسايرون الحركات الوطنية ، ويحملون شعاراتها

---

(١) يشير الى كتاب « الاسلام واصول الحكم » لعلي عبد الرزاق الذي صدر سنة ١٩٢٦ ، وقال فيه المؤلف فيما قال : « ان التاريخ يثبت بالارقام ان كل خلافة وجدت بعد الرسول – بما في ذلك خلافة ابي بكر وعمر – قامت على القوة والرهبة، وعلى اساس المادة المسلحة ، فلم يكن للخليفة ما يحيط مقامه إلا الرماح والسيوف » فثار شيوخ الأزهر على صاحب كتاب « الاسلام واصول الحكم » وانتزعوه العمة ، وجردوه من وظائفه الشرعية ، ونفوه من مصر ، ويقول الكاتب : ان هذا كان سبباً لسكوت العقاد عن كثير من الحقائق في كتاب « ابو الشهداء » وسكوت طه حسين في كتاب « الفتنة الكبرى » :

(٢) في ص ٢١٨ من كتاب « اصول الفقه » للخضري الطبعة الثالثة : « قال جمهور المسلمين – يريد السنة – ان اصحاب الرسول جميعهم عدول لا يسأل عنهم ، ولا تطلب تزكيتهم » : وفي عقيدتي ان هذا المبدأ من وضع الامويين وامثالهم ، والغاية منه ان يصونوا انفسهم عن النقد والجرح .

على امل ان يتولوا السلطة ، حتى اذا وصلوا تنكروا لمبادئها ، وانقلبوا على اصحابها اعداء ألدّاء .

وقال الاستاذ صالح :

« لم يكن الخلاف بين علي وخصومه خلافاً على الامامة ، بل خلافاً على المبادىء الأساسية للاسلام ، بخاصة الاصلاح الاجتماعي .. وكان وراء خلافة علي رجال كبار من الصحابة يوازون في المرتبة رسل المسيح من حيث روحهم الدينية ، وشدة ايمانهم ، وقوة مراسهم مثل ابي ذر وسلمان الفارسي وغيرهما من الذين لم تذكر عنهم المدونات التي كتبت في العصر الاموي إلا الشيء القليل ، او التجريح المدقع الذي اخمد حقيقتهم واوشك ان يلغي وجودهم من تاريخنا الديني والسياسي » .

ولكن الشيعة ايها الاستاذ الصالح قد اثبتوا وجود ابي ذر وسلمان وعمار والمقداد وعبدالله بن عباس وغيرهم ، ورفعوهم فوق رسل السيد المسيح ، فهذه كتبهم المطبوعة والمنتشرة كالبحار للمجلسي ، والارشاد للمفيد ، ودلائل الصدق للمظفر ، واعيان الشيعة للامين وغيرها قد انصفت الذين وصفتهم بانهم يوازون رسل المسيح إلا ان الاستاذ صالحا وغيره كثير من الشباب لم يعرفوا شيئاً عن هذه المؤلفات الشيعية التي بحثت التراث الاسلامي الديني والسياسي على اساس العلم ، ونطقت بالصدق وكلمة الحق . ومهما يكن فان هذه الشهادة من الكاتب الصالح تؤيد ما قاله الشيعة في التمييز بين الذين ثبتوا على الاسلام من اصحاب الرسول ، وبين الذين انقلبوا على اعقابهم خاسرين .

وقال :

« الذي حدث ان المؤرخين الذين كتبوا تاريخنا العربي القديم كتبوه في عهد الدولة الاموية ، ثم في الغهود التي تلت ذلك العهد بعد ان أصبح

الحكم مدنياً لا دينياً . والمحاولات التي بذلت لدمغ التيار الذي كان يقوده علي بالشعوذة وبالانحراف عن جـادة الاسلام كانت من الحذق والمهارة بحيث نفرت المسلمين منه .. ولقد ظلت هذه النقطة بالذات أخطر النقاط ، وأصبح محرماً على أي انسان ان يخوض فيها ، لأن الخوض فيها معناه ادانة دول كثيرة لم تأخذ من الاسلام الا العبادات ، وتجنبت كل ما عدا ذلك ، او أغلب ما عداه » .

أي ان المؤرخين في العهد الاموي والعهود الاخرى نسبوا الى الشيعة اشياء وأشياء لا يعرفون منها شيئاً ، ولكن البسطاء من المسلمين صدقوا تلك الافتراءات والاكاذيب ، لأنها من صنع حاذق ماهر في فن التلفيق والتزوير ، و « ظلت هـذه النقطة » وهي تزوير التاريخ والافتراء على الابرياء مجهولة حتى الآن ، لأن الكشف عنها يؤدي حتماً الى ادانة دول كانت تتظاهر بالاسلام لا لشيء الا لتحتفظ بالسلطة والعبث بدماء الناس ومقدراتهم .

وهذا ما أثبته بالارقام في كتاب « الشيعة والحاكمون » ، والحمد لله الذي هدانا الى الحق ، وثبتنا على الولاء لأهله ، وأتاح لنصرته اقلاماً لا يرقى اليها الشك . وصلى الله على محمد وآل محمد ، وهو سبحانه المسؤول ان يحشرنا في زمرتهم ، انه ارحم الراحمين .

ختام

قال نصير الدين الطوسي الفيلسوف الشهير صاحب مرصد مراغة ، والذي ظلت كتبه تدرس في جامعات اوروبا مئات السنين ، وكتب عنها علماء الغرب والشرق :

لو ان عبداً أتى بالصالحات غداً ... وود كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صوام بلا ضجر ... وقام ما قام قوام بلا ملل
وحج ما حج من فرض ومن سنن ... وطاف ما طاف حاف غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي الى احد ... وغاص في البحر مأموناً من البلل
يكسو اليتامى من الديباج كلهم ... ويطعم الجائعين البر بالعسل
وعاش في الناس آلافاً مؤلفة ... عار من الذنب معصوم من الزلل
ما كان في الحشر عند الله منتفعاً ... إلا بحب امير المؤمنين علي

فهرست

للمؤلف

- الوضع الحاضر في جبل عامل — نفد
- الفصول الشرعية — طبعة ثانية
- مع الشيعة الامامية — طبع مرتين ونفد
- اهل البيت — نفد
- الاسلام مع الحياة — طبعة ثانية
- الله والعقل — طبعة ثالثة
- النبوة والعقل — طبعة ثانية
- الآخرة والعقل — نفد
- علي والقرآن — طبعة ثانية
- مفاهيم انسانية في كلمات الامام الصادق
- المجالس الحسينية
- الفقه على المذاهب الخمسة
- معالم الفلسفة الاسلامية
- الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة
- نظرات في التصوف
- الشيعة والحاكمون
- الوصايا والمواريث على المذاهب الخمسة
- فضائل الامام علي

قريباً للمؤلف :

فلسفة المبدأ والمعاد

اعيـان الشيعة

تأليف المغفور له السيد محسن الامين

أضخم دراسة عن نشأة التشيع وتاريخه وتطوره، ومناقشة ما قيل فيه، واتجاهاته الفكرية والعقائدية، وبلدانه وتغلغله في الصحابة والتابعين والملوك والامراء، وبحوث مستفيضه عن أئمته ورجاله من صدر الاسلام الى اليوم مرتبة على حروف المعجم.

يصدره في طبعته الجديدة السيد الفاضل حسن الامين نجل المؤلف في أجزاء متتابعة، بلغ ما صدر منها حتى الآن ١٧ مجلداً بالاضافة الى ٣٦، وقد بلغ مجموع ما طبع ٥٣، وكل مراجعة بشأن الكتاب تكون على عنوان الناشر:

بيروت – ص. ب ٢٥٥